



المجلة العلمية

تتألف من فصلين وكل أربعة أشهر

إدارة المصاحف

١ بيان الشريعة للمكلفين مدير التحرير البغدادي

٢ تحقيق القول في عمل أهل المدينة

د. عبد الله الشافعي

٣ ضوابط شرعية للألعاب الرياضية

د. سعيد عبد العظيم

٤ تحقيق مخطوطتين تراشيخين - المقريفي السيوطي

٥ وبحوث أخرى مفيدة

الحكمة
مجلة علمية شرعية تصدر كل أربعة أشهر
تعنى بالبحوث والدراسات الإسلامية
وتحقيق المخطوطات

الحكمة

مجلة علمية شرعية تصدر كل أربعة أشهر في الكويت والدول الإسلامية ومختلف النواحيات
رئيس التحرير : د. عبد الله بن محمد السبيح (أبو عبد الله الزبيدي)
مدير التحرير : المهندس أبو بكر بن عبد العزيز البغدادي

بريطانيا - ليدز

P.O : BOX: CR 35

LEEDS Tel - Fax: 741829

LS 7 IXF

U.K

أسعار المجلد

السعودية	١٥	ريال سعودي	الكويت	١,٥٠٠	دينار كويتي
الإمارات	١٥	درهم إماراتي	الأردن	١,٥٠٠	دينار أردني
أمريكا	٥	دولار أمريكي	كندا	٦	دولار كندي
بريطانيا	٣	جنيه استرليني	فرنسا	٦٠	فرنك

المهتمة

الاستشارية

محكمة

الحكم

١- الشيخ الدكتور عمر بن سليمان الله شقر

الأستاذ المشارك بالجامعة الأردنية في كلية الشريعة

٢- الشيخ عبد الرحمن عبد الوهاب

رئيس لجنة البحوث العلمية بمجموعة إحصاء التراث الإسلامي والكردية

٣- الشيخ الدكتور ناصر بن عبد الله القفاري

أستاذ في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - قسم العقيدة

٤- الشيخ الدكتور سعد بن عبد الله الحميد

أستاذ في جامعة الملك سعود - كلية التربية - قسم الدراسات الإسلامية في الرياض

٥- الشيخ الدكتور محمد بن صالح المنجد

أستاذ في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

الموزعون المعتمدون للمجلة

١- السعودية - الدمام - مكتبة دار ابن الجوزي

ص.ب: ٢٩٨٢ ، ت: ٨٤٢٨١٤٦

٢- الكويت - حولي - شارع الحسن البصري - مكتبة دار النفائس

ص.ب: ٧٠٣٧ ، ت: ٢٦١٦٠٣٦

٣- الإمارات العربية المتحدة - عجمان - ص.ب: ٤٤٤٦ ، ت: ٤٢١٩٨٧

9747 SHORE ROAD, # F4

٤- أمريكا - نيويورك

BROOKLYN, NEWYORK 11209

TEL 718-748-8755

2268 DUNDAS ST.W

٥- كندا - تورنتو

P.O.BOX 59009

TORONTO, ONT. M 6R 3B5 - TEL: (416) 242-9464

P.O.BOX: CR35 - LEEDS

٦- بريطانيا - ليدز

LS7 1XF - U.K

٧- فرنسا - الجامعة الإسلامية في باريس

C.E.R.I.S.I

UNIVERSITE ISLAMIQUE DE FRANCE

22 FRANCOIS BONVIN

75015 PARIS

TEL: 43061446 FAX: 43060008

٨- الأردن - عمان: ص.ب: ٦٢٠٥٢٠ ، ت: ٧٥١٢١١

سُورَةُ الْبَقَرَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يُؤْتِ الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ
وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ
أُوفِيَ حَظًّا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ
إِلَّا أُولُوا الْأَلْبَابِ

الْأَيَةُ ٢٦٩

منهج المجلة ولأهدافها

- ١- تبصير المسلمين بدينهم الحق ، وذلك بالرجوع إلى الكتاب والسنة الصحيحة ، وفهمها على أصول أهل السنة والجماعة من السلف الصالح ، رضوان الله عليهم أجمعين .
- ٢- نشر المقالات والبحوث الشرعية التي من شأنها إنضاج فهم المنهج الشرعي وحسر الخلاف والفرقة المذمومة بين الأمة الإسلامية وصولاً إلى الائتلاف والأخوة المحمودة .
- ٣- تحذير المسلمين من الانحرافات الشركية والبدعية ، وتحذيرهم من المعاصي لما تورثه هذه الذنوب من المصائب والضعف والتفريق .
- ٤- تفرص المجلة على نشر البحوث والمقالات العلمية والشرعية والمخطوطات المحققة ، التي لم يسبق نشرها في كتاب أو مجلة .
- ٥- تعتذر المجلة عن نشر البحوث والمقالات التي لا تتفق مع توجه المجلة وسياستها كالبحوث والمقالات السياسية أو الحزبية أو غير ذلك .
- ٦- المجلة لا تمثل حزباً معيناً أو طائفة معينة ، بل هي منبر لجميع المسلمين المخلصين .

٧ ■ تـحـرـص المـجـلـة مـن خـلـال بـحـوثـها عـلى تـقـديـم حـلـول إـسـلامـيـة
عـمـلـيـة لـلـمـشـكـلـات الفـقـهـيـة المـعـاصـرة ، و تـسـمـى نـحـو حـيـاة
إـسـلامـيـة رـاشـدة عـلى مـنـهـاج النـبـوة .

٨ ■ المـقـالـات و البـحـوث الـتي تـنـشـر فـي المـجـلـة تـعـبـر عـن رآي كـاتـبـيـها ،
و لا يـلـزم أن تـكـون مـعـبـرة عـن رآي القـائـمـين عـليـها .

٩ ■ لا يـجـوز لأصـحـاب البـحـوث الـتي تـنـشـر فـي مـجـلـة الحـكـمة أن
يـعـيـدوا نـشـرـها فـي مـؤـلف أو مـجـلـة أـخـرى إـلا بـعـد مـضـي سـتـة
أشـهـر عـلى نـشـرـها فـي مـجـلـة الحـكـمة .

إلى الباحثين الأفاضل

توجه المجلة عناية الباحثين الذين يودون الاسهام في مجلتنا إلى
ما يأتي :

أ- أن تكون البحوث متسمة بالعمق والأصالة بحيث يضيف كل
بحث جديداً إلى المعرفة .

ب - أن تكون البحوث موثقة من الناحية العلمية بالمصادر
والمراجع .

ج - أن تكون منسقة مقسمة وفق أصول البحث العلمي .

د - أن تكون مكتوبة على الآلة الكاتبة أو بخط واضح مقروء .

هـ - أن تكون مكتوبة على وجه واحد من الورق .

و - أصول البحوث المرسلة للمجلة لا ترد لأصحابها نشرت أم
لم تنشر .

الفهرس

- ١١ الافتتاحية : بقلم هيئة التحرير
بيان الشريعة للمكلفين
- ١٧ إعداد مدير التحرير : أبو بكر بن عبدالعزيز البغدادي
حقيقة التوحيد والشرك
- بقلم : المفتي العام للمملكة العربية السعودية
رئيس هيئة كبار العلماء الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز ٨٧
تحقيق القول في عمل أهل المدينة
- ١٠٧ بقلم الدكتور/ عمر سليمان الأشقر
ضوابط شرعية للألعاب الرياضية
- ١١٥ بقلم الدكتور: سعيد عبدالعظيم
مهمات المسائل في المسح على الخفين
- ١٦٩ بقلم الشيخ: سليمان بن عبدالله العلوان
دعوة الحق (الجزء الثاني والآخر)
- ١٧٩ بقلم الدكتور: عبدالرحمن أمين
نصيحة الملك الأشرف: للإمام الحافظ ضياء الدين المقدسي
حققتها وعلق عليها: علي حسن علي عبدالحميد الحلبي الأثري ... ٢١٥
أصول الرفق في الحصول على الرزق
- جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي
تحقيق: عبدالقادر أحمد عبدالقادر ٢٤٩
الأقلية المسلمة في يوغسلافيا « سابقاً » (الجزء الأول)
- ٢٧١ أعد هذا التقرير وحرره : سيد عبد المجيد بكر
الجديد في عالم الكتب المطبوعة
- ٢٣٥

افتتاحية العدد الموقف الواجب على علماء الدين نحو المقطوع به والمظنون في الشريعة الإسلامية

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على عبده ورسوله ..
وبعد ، ،

فإن الأمة الإسلامية قد ورثت الكتاب والسنة ، وكلاهما
بحمد الله معصوم عن الخطأ فالقرآن هو الكتاب المجيد ، والذكر
الحكيم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل
العزیز الحمید سبحانه وتعالى ، والسنة النبوية معصومة لأنها عن
المعصوم الذي لا ينطق عن الهوى .

وقد نقل إلينا الكتاب والسنة بحمد الله بنقل العدول الذين
زكاهم الله سبحانه وتعالى ، ورسوله ، وكانوا خير أمة أخرجت
للناس ، فأصحاب رسول الله خير أصحاب الأنبياء ..

ثم كان إجماع هذه الأمة معصوماً لأن الأمة الإسلامية لا
تجتمع على ضلالة ؛ كما قال النبي المعصوم ﷺ .

وقد ورثت أمة الإسلام بعد الكتاب والسنة والإجماع ، فقه
الصحابة ، واجتهاد العلماء من التابعين وتابعيهم بإحسان إلى يومنا
هذا ، وفهم من آتاه الله فهماً في كتاب الله ..

وهذا الاجتهاد يصيب ويخطئ كما قال ﷺ : (إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران ، وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر)^(١).

ومن أجل ذلك فإن تراث المسلمين ينقسم إلى قسمين : مقطوع به ، ومظنون . فالمقطوع بثبوته كتاب الله ، وما أجمع عليه المسلمون من السنة النبوية ، وتلقته بالقبول كأحاديث الإمام البخاري ومسلم ...

وأما المعاني والأحكام المقطوع بها ؛ فأصول الإيمان ، وأركان الإسلام ، وعموم المحرمات ، وأصول المباحات . وعامة أحكام الشريعة وحدودها .

وإذا أمعنا النظر في دائرة المقطوع به ، والمظنون ، نجد أن دائرة المقطوع به واسعة عظيمة ، وأما المظنون من أمور الاجتهاد ، فهو قليل بالنسبة للمقطوع ، وإن كان كثيراً من حيث الكثرة العددية . لأن معظمه هو التفريعات الفقهية ، والأحداث ، والنوازل التي تحتاج إلى إلحاق بنظائرها فيما ورد النص فيه ...

ومن أجل ذلك قال ﷺ : (وأيم الله لقد تركتم على مثل البيضاء ليلها ونهارها سواء)^(٢) . فالصراط المستقيم الذي يجب على الأمة السير فيه واضح المعالم كل الوضوح ..

(١) متفق عليه عن عمرو بن العاص .

(٢) رواه البخاري . أنظر فتح الباري : ٣١٨/١٣ . ورقمه : ٧٣٥٢ .

فأصول الإسلام وقواعد الشريعة ، وعامة أحكام الملة مقطوع بها ، ولا خلاف عليها بين أهل الحق ، وهم أهل السنة والجماعة ، ومجال النظر والاجتهاد إنما هو في إنزال نصوص الشريعة منازلها ، وتطبيق الشريعة في أماكنها ، وهو ما يسميه علماء الأصول بتحقيق مناط الحكم .

وكذلك في إلحاق الفروع الجديدة بأمثالها فيما ورد فيه النص ، وفي الموازنة بين المصالح ، والمفاسد الشرعية ؛ لاتخاذ موقف ما على الأمة أو الأفراد .

والواجب على علماء الدين والملة نحو المقطوع به ، والمظنون في الشريعة الإسلامية ما يأتي:

١- الإيمان بالمقطوع وتجليته للأمة ، حسب ما وردت به النصوص في الكتاب والسنة وإجماع الأمة .

٢- رد الشبهات والإلحاد عن هذا المقطوع ، ووجوب التصدي لكل محاولة تجعل هذه الأحكام المقطوعة موضع نظر واجتهاد... فلا اجتهاد في أسماء الله وصفاته ، ومسائل الإيمان به ، ولا في مسائل الإيمان بالملائكة والرسل واليوم الآخر ، والقدر خيره وشره من الله تعالى .

وكذلك في فرض الصلاة والزكاة ، والحج والصوم ، وفي تحريم الخمر ، والربا ، والزنى ، والفواحش ...

ولا اجتهاد في كمال القرآن ، وصيانتة من الزيادة والنقص ،
ولا اجتهاد في حجية سنة رسول الله ﷺ ، وأنها كالقرآن في
وجوب الإيمان والعمل بها ، ولا اجتهاد في عدالة الصحابة ؛
لأن الله عدلهم في آيات كثيرة من القرآن ، وعدلهم الرسول ﷺ
.. ولا اجتهاد في صحة خلافة الصديق ، والفاروق ، وعثمان
وعلي ، ومروق الخوارج ، وانحراف القدرية بشقيها ، وتبديع
الجهمية ، والرافضة والمرجئة .

ولا اجتهاد في أن كل واحد بعد رسول الله يؤخذ من قوله
ويرد، ولا اجتهاد في أنه يجب على الأمة أن ترد كل تنازع
تنازعت فيه إلى كتاب الله وسنة رسوله ...

والأمور المقطوعة في الشريعة كثيرة جداً وإنما المقصود هنا
ضرب المثال فقط...

والواجب على علماء الأمة هو رد الشبهات التي ترد على هذه
الأمور المقطوعة بها ، التي ثبتت بنصوص القرآن ونصوص السنة ،
وإجماع سلف الأمة بما لا يدع مجالاً للشك..

٣- إعمال النظر في الأمور الاجتهادية سواء أكان الاجتهاد قديماً أم
حديثاً ، والتصدي للحوادث النازلة بأمة الإسلام، من أجل
الوصول إلى الحكم الشرعي الذي نعتقد أو نظن أنه حكم الله
في هذه النازلة ، وهذا ميدان عظيم جداً .

وقد نزل بأمة الإسلام من الأحداث الجسام ، والأمور العظام ما يعجز كاهل علماء الإسلام ويثقلهم . ومن أعظم ما نزل بهم في العصر الراهن: تفرق كلمتهم ، وغلبة أعدائهم عليهم ، وتبدل شرائع الإسلام بشرائع الشيطان ، وشيوع معاملات في السياسة والمال والاجتماع لم يكن لها نظير فيما سبق ، ولا يكفي في مثل هذا الدعوة العامة إلى وجوب الرجوع إلى الكتاب والسنة ، وإنما تحتاج الأمة إلى تفصيل ذلك ، وبيان كيفية الرجوع والتطبيق ، وإنزال النصوص منازلها ، وهو ما أسلفنا أنه يعرف بتحقيق المناط ...

٤- الواجب على علماء الشريعة سعة الصدر ، والحلم في سماع الاجتهاد المضاد والرأي الآخر في كل هذه القضايا ، وفسح المجال أمام كل ذي بصر وعلم بإبداء وجهة نظره ، وسماع ما أداه إليه اجتهاده ، وتقبل الرد والمعارضة بكل رحابة صدر؛ لأن القضايا التي يجب فيها الاجتهاد اليوم قضايا كبيرة متشعبة عظيمة ، والقضية الواحدة قد تكون لها جوانب متعددة تختلف وجهات النظر فيها .

ومجلتنا (الحكمة) هي ملتقى لهذه الأفكار والاجتهادات ووجهات النظر ... نأمل أن تنير الدرب ، وتوضح السبيل في كل أو بعض ما يعترض المسلمين في وقتهم الحاضر .

والحمد لله أولاً وأخيراً

لهبة التحرير

بيان الشريعة للمكفين

إعداد: مدير التحرير

أبو بكر بن عبدالعزيز البغدادي

الفصل الأول: البيان

ليس الغرض من عرض البيان في هذا المبحث هو تفصيل أصولي لمصطلح «البيان» الذي يقابل «المجمل»، مع أن فيه من هذا التفصيل قدر ما يتعلق بالغرض: الذي هو عرض مفهوم البيان الشرعي الذي جعله الله تعالى سمة ظاهرة لآياته وشرطاً لازماً لبلاغ أنبيائه، حيث قال الله تعالى: ﴿وما على الرسول إلا البلاغ المبين﴾^(١).

فقد ذكر الله تعالى كلمة «البيان» ومشتقاتها في القرآن الكريم (٢٥٧) مرة واصفاً بها آياته ودعوة رسله .

إن البيان شرط لازم في الدعوة إلى الله ، وإن كل ما يترتب على الدعوة من حق أو باطل في تدين وسلوك وعلاقات الدعاة والمدعوين على حد سواء مرتبط بقدر أو بآخر بحسن أو سوء البيان ، وإن اجتماع صحة البيان مع صحة العلم مع صحة القصد لا يأتي إلا بالهدى والألفة والمحبة والقوة في دين الله تعالى .

(١) سورة النور: ٥٤ ، سورة العنكبوت: ١٨

١- تعريف البيان :

قال السرخسي في أصوله^(١) : اختلفت عبارة أصحابنا في معنى البيان ، قال أكثرهم : هو إظهار المعنى وإيضاحه للمخاطب منفصلاً عما تستر به . وقال بعضهم : هو ظهور المراد للمخاطب والعلم بالأمر الذي حصل له عند الخطاب . قال السرخسي : والأصح هو الأول أن المراد هو الإظهار ، فإن أحداً من العرب لا يفهم من إطلاق لفظ البيان العلم الواقع للمبين له ، ولكن إذا قال الرجل : بين فلان كذا بياناً واضحاً فإنما يفهم منه أنه أظهره إظهاراً لا يبقى معه شك ، وإذا قيل : فلان ذو بيان ، فإنما يراد به الإظهار أيضاً ، وقول رسول الله ﷺ : (إن من البيان لسحراً) ، وقوله تعالى : ﴿ هذا بيان للناس ﴾^(٢) ، وقوله تعالى : ﴿ علمه البيان ﴾^(٣) ، المراد الإظهار . أ.هـ . وعرفه أبو بكر الباقلاني والغزالي وإمام الحرمين وغيرهم بأنه : الدليل الذي حصل به الإيضاح^(٤) .

وعرف شيخ الإسلام التبيين بأنه : التعريف والتعليم^(٥) .

٢- هل يشترط في البلاغ ألا يشكل على أحد؟

إن الأصل في البلاغ المبين أنه متعلق بالداعي وما يجب عليه من بذل أسباب العلم الذي أمر الله ببلاغه من جهة ، وبذل الأسباب العامة لإفهام الناس هذا العلم من جهة أخرى ، آخذاً بالضوابط المتعلقة بكلتا الجهتين . ثم إن على الداعي أن يراعي ما أمكن أحوال أعيان الناس - حسب ما هو ظاهر - بلا تكلف بالتنقيب عن أحوال كل واحد من هؤلاء الأعيان . ثم إن وقوع الإشكال واللبس عند بعض الناس بعد ذلك لا يؤاخذ عليه الداعي، بل

(١) ٢٦/٢ .

(٢) سورة آل عمران : ١٣٨ .

(٣) سورة الرحمن : ٤ .

(٤) البرهان للجويني : ١٥٩/١ ، والمنخول للغزالي : ص ٦٣ ، والأحكام للآمدي : ١٧٧/٢ .

(٥) المجموع : ٥٨/١٠ .

يرد ذلك إلى المدعو من جهة تفريطه فيؤاخذ، أو من جهة عجزه فلا يؤاخذ.
قال شيخ الإسلام^(١) : ليس شرط البلاغ المبين ألا يشكل على أحد ، فإن
هذا لا ينضبط ، وأذهان الناس وأهواؤهم متفاوتة متفاوتاً عظيماً ، وفيهم من
يلغى العلم وفيهم من لا يبلغه ، إمّا لتفريطه ، وإمّا لعجزه .

وإنما على الرسول البلاغ المبين الممكن ، وهذا - والله الحمد - قد حصل
منه ﷺ ، فإنه بلغ البلاغ المبين ، وترك الأمة على البيضاء ، ليلها كنهارها ،
لا يزيغ عنها بعده إلا هالك ، وما ترك من شيء يقرب إلى الجنة إلا أمر
الخلق به ، ولا من شيء يقربهم من النار إلا نهاهم عنه فجزاه الله عن أمته
أفضل ما جرى نبياً عن أمته . أ.هـ .

٣- البيان على وجهين : الأدلة العقلية والأدلة الخبرية :

إن الخطاب بين اثنين لا بد أن يكون له مقصود ، وإن هذا المقصود لا
يتحقق إلا إذا كان مفهوماً ، وإن هذا الفهم لا يتحقق إلا إذا كان هناك قدر
مشترك بين المتخاطبين .

إن هذا القدر - وإن كان قليلاً - فإن لوازمه الصحيحة توجب على
المخاطب قدراً أكبر من الاشتراك ، ثم بالتالي الاتفاق . إن هذا التسلسل
ينطبق على كلّ خطاب ؛ سواء أكان شرعياً أم غير شرعي . إن القدر
المشترك في خطاب القرآن مع الناس ، بما فيهم المشركين ، هو توحيد
الربوبية والأدلة العقلية والفطرية عليه . على هذا ، فإن البيان لا بد أن
تسبقه مقدمة مشتركة ، ثم إن هذه المقدمة تختلف بحسب المدعو أو المبين له ؛
فقد تكون عقلية محض وقد تكون شرعية محض وقد تكون بينهما ، ولهذا
نقل عن علي رضي الله عنه أنه قال : حدثوا الناس بما يعرفون ، أتحبون أن
يكذب الله ورسوله^(٢) ؟

(١) المنهاج : ٥٧٦/٨ .

(٢) رواه البخاري تعليقاً في العلم : ٤٩ .

قال شيخ الإسلام ^(١) : وبيان الرسول على وجهين : تارة يبين الأدلة العقلية الدالة عليها « يعني المطالب الدينية » ، والقرآن مملو من الأدلة العقلية والبراهين اليقينية على المعارف الإلهية والمطالب الدينية .

وتارة يخبر بها خبراً مجرداً لما قد أقامه من الآيات البينات والدلائل اليقينية على أنه رسول الله المبلغ عن الله ، وأنه لا يقول عليه إلا الحق وأن الله شهد له بذلك ، وأعلم عباده وأخبرهم أنه صادق وصدوق فيما بلغه منه .

والأدلة التي نعلم بها أنه رسول الله كثيرة متنوعة ، وهي أدلة عقلية نعلم صحتها بالعقل . وهي أيضاً شرعية سمعية ؛ لكن الرسول بينها ودل عليها وأرشد إليها ، وجميع طوائف النظار متفقون على أن القرآن اشتمل على الأدلة العقلية في المطالب الدينية ، وهم يذكرون ذلك في كتبهم الأصولية وفي كتب التفسير ، وعامة النظار أيضاً يحتجون بالأدلة السمعية الخبرية المجردة في المطالب الدينية ، فإنه إذا ثبت صدق الرسول وجب تصديقه فيما يخبر به . أ.هـ .

ثم بين شيخ الإسلام أن أحسن الأدلة العقلية هي التي بينها القرآن وأرشد إليها الرسول ﷺ .

ثم بين أن الأنبياء والرسل إنما بعثوا ببيان وتعريف الدين بأدلة العقلية والخبرية ، وأنهم أعلم الناس بذلك وأولاهم بالحق ، وأن من جرب ما يقولونه ويقول غيرهم وجد الصواب معهم والخطأ مع مخالفهم ، واستشهد بقول الرازي : « لقد تأملت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية فما رأيتها تشفي عليلاً ولا تروي غليلاً » ، ووجدت أقرب الطرق طريقة القرآن ؛ اقرأ في الإثبات ﴿ إليه يصعد الكلم الطيب ﴾ ^(٢) ، ﴿ الرحمن على العرش

(١) المجموع : ١٣٦/١٣ .

(٢) سورة فاطر : ١٠ .

استوى ﴿^(١)﴾ ، واقرأ في النفي : ﴿ ليس كمثله شيء ﴾ ﴿^(٢)﴾ ، ولا يحيطون به علماً ﴿^(٣)﴾ ، قال (الرازي) : ومن جرب مثل تجربتي عرف مثل معرفتي « . أ.هـ .

ثم قال شيخ الإسلام : وأيضاً فمن اعتبر ما عند طوائف الذين لم يعتصموا بتعليم الأنبياء وإرشادهم وإخبارهم ، وجدهم كلهم حائرين ضالين شاكين مرتابين ، أو جاهلين جهلاً مركباً ؛ فهم لا يخرجون عن المثلين اللذين في القرآن : ﴿ والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء ، حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب ، أو كظلمات في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور ﴾ ﴿^(٤)﴾ . أ.هـ .

٤- البيان بالقول والفعل :

عقد الشاطبي في الموافقات فصلاً في البيان والإجمال ، ذكر في المسألة الأولى منه أن النبي ﷺ كان مبيناً بقوله وفعله وإقراره فقال ﴿^(٥)﴾ : فكان يبين بقوله عليه الصلاة والسلام كما قال في حديث الطلاق : (فتلك العدة التي أمر الله أن يطلق لها نساء) وقال لعائشة حين سألته عن قول الله تعالى : ﴿ فسوف يحاسب حساباً يسيراً ﴾ ﴿^(٦)﴾ : (إنما ذلك العرض) ، وقال لمن سألته عن قوله : (آية المنافق ثلاث) : (إنما عنت بذلك كذا وكذا) ، وهو لا يحصى كثرة .

(١) سورة طه : ٥ .

(٢) سورة الشورى : ١١ .

(٣) سورة طه : ١١٠ .

(٤) سورة النور : ٣٩ - ٤٠ .

(٥) ١٧٥/٣ .

(٦) سورة الانشقاق : ٨ .

وكان أيضاً يبين بفعله : (ألا أخبرته أنني أفعل كذا وكذا) ، وقال تعالى : ﴿ زوجناكمها لكي لا يكون على المؤمنين حرج ﴾^(١) ، وبين لهم كيفية الصلاة والحج بفعله ، وقال عند ذلك : (صلوا كما رأيتموني أصلي) ، و(خذوا عني مناسككم) إلى غير ذلك .

وكان إقراره تبياناً أيضاً إذا علم بالفعل ولم ينكره مع القدرة على إنكاره لو كان باطلاً أو حراماً ، حسبما قرره الأصوليون في مسألة مجزئ المدلجي وغيره. أ.هـ .

ثم بين أن اجتماع البيانين : القولى والفعلى ، هو غاية البيان ، ثم فصل في الفرق بين البيانين أيهما أبلغ ؟ وبين بدقة بالغة أن لكلا البيانين وجهها يكون فيه أبلغ من الآخر ، فقال^(٢) : فالفعل بالغ من جهة بيان الكيفيات المعينة المخصوصة التي لا يبلغها البيان القولى ، ولذلك بين عليه الصلاة والسلام الصلاة بفعله لأتمه كما فعل به جبريل حين صلى به . وكما بين الحج كذلك ، والطهارة كذلك ، وإن جاء فيها بيان بالقول ؛ فإنه إذا عرض نص الطهارة في القرآن على عين ما تلقى بالفعل من رسول الله عليه الصلاة والسلام ، كان المدرك بالحس من الفعل فوق المدرك بالعقل من النص لا محالة ، مع أنه إنما بعث ليبين للناس ما نزل إليهم . أ.هـ .

ثم علل الشاطبي ذلك بأنه يندر تحقيق فعل موصوف بالقول فقط وليس له مثال في الواقع بشكل ليس فيه خلل من وجه عن الشكل الحقيقى المطلوب ، فقال : يبعد في العادة أن يوجد قول لم يوجد لمعنائه المركب نظير في الأفعال المعتادة المحسوسة ، بحيث إذا فعل الفعل على مقتضى ما فهم من القول كان هو المقصود من غير زيادة ولا نقصان ولا إخلال . أ.هـ .

ثم بين الوجه الذي يكون فيه القول أبلغ من الفعل ، وهو أنه يصلح لبيان

(١) سورة الأحزاب : ٣٧ .

(٢) ١٧٧/٣ .

العموم والخصوص وأنواع الأحكام في الأحوال والأزمان والأشخاص ، بخلاف الفعل الذي لا يصلح لذلك ، حيث إنه مقصور على فاعله وزمانه وحالته ، لا يتعدى محله البتة ، فقال: وذلك أن القول بيان للعموم والخصوص في الأحوال والأزمان والأشخاص ، فإن القول ذو صيغ تقتضي هذه الأمور وما كان نحوها بخلاف الفعل ؛ فإنه مقصور على فاعله وعلى زمانه وعلى حالته وليس له تعد عن محله البتة . فلو تركنا والفعل الذي فعله النبي ﷺ مثلاً ، لم يحصل لنا منه غير العلم بأنه فعله في هذا الوقت المعين وعلى هذه الحالة المعينة ، فيبقى علينا النظر هل ينسحب طلب هذا الفعل منه في كل حالة ، أو في هذه الحالة ؟ أو يختص بهذا الزمان ، أو هو عام في جميع الأزمنة ؟ أو يختص به وحده أو يكون حكم أمته حكمه ؟ ثم بعد النظر في هذا يتصدى نظر آخر في حكم هذا الفعل الذي فعله ، من أي نوع هو من الأحكام الشرعية ؟ (أي أحكام التكليف الخمسة : الوجوب والاستحباب والتحريم والكراهة والإباحة) وجميع ذلك وما كان مثله لا يتبين من نفس الفعل ؛ فهو من هذا الوجه قاصر عن غاية البيان ، فلم يصح إقامة الفعل مقام القول من كل وجه ، وهذا بين بأدنى تأمل ، ولأجل ذلك جاء قوله تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾^(١) ، وقال حين بين بفعله العبادات : (صلوا كما رأيتموني أصلي) ، و (خذوا عني مناسككم) ونحو ذلك ؛ ليستمر البيان إلى أقصاه .

ثم قال الشاطبي: وإذا ثبت هذا لم يصح إطلاق القول بالترجيح بين البيانين، فلا يقال أيهما أبلغ في البيان ؛ القول أم الفعل ؟ إذ لا يصدقان على محل واحد إلا في الفعل البسيط المعتاد مثله أن اتفق فيقوم أحدهما مقام الآخر . وهناك يقال أيهما أبلغ ؟ أو أيهما أولى ؟ كمسألة الغسل من التقاء الحثانين مثلاً ، فإنه بين من جهة الفعل ومن جهة القول عند من جعل هذه المسألة من ذلك .

(١) سورة الأحزاب: ٢١.

ثم قال : أما حكم الغسل : من وجوب ، أو ندب ، أو تأسي الأمة به فيه فيختص بالقول . أ.هـ .

٥- البيان بالكتابة :

من وسائل البيان المهمة عندما يعز البيان القولي أو الفعلي لأي سبب كان هو الكتابة . وقد فعل رسول الله ﷺ ذلك مع هرقل والمقوقس والنجاشي وكسرى والمنذر بن ساوى والهرمزان عامل كسرى وغيرهم ، لدعوتهم إلى الإسلام .

وكذلك بالنسبة لبيان الأحكام الشرعية للمسلمين ، فقد كتب رسول الله ﷺ إلى أبي بكر الصديق كتاباً في بيان الزكاة (البخاري : كتاب الزكاة : ٣٨ ، وأبو داود : ١٥٦٧ ، من طريق ثمامة بن عبدالله بن أنس عن أنس أن أبا بكر كتب له هذا الكتاب لما وجهه إلى البحرين ، ووقع عند أبي داود قول حماد بن سلمة : أخذت من ثمامة بن عبدالله بن أنس كتاباً زعم أن أبا بكر كتبه لأنس وعليه ختم رسول الله ﷺ) . وكتب رسول الله ﷺ لعمر بن الخطاب كتاباً في الديات (الموطأ كتاب العقول ١ ، والنسائي في الديات رقم : ٤٨٥٠ وما بعده ، والروايات وإن اختلفت فلإنها تؤكد أصل الحديث في الكتاب) وغير ذلك من الأحاديث .

وفي عصرنا الحاضر فإن البيان في الكتابة له شأن عظيم في دعوة الخلق إلى الحق ، بل في كل دعوة ، حيث إن نمط الحياة العصرية والارتباطات المعقدة للإنسان المعاصر تعيق سماع كثير من الناس للدعاة أو ملاحظة أفعالهم بما يحصل به الفهم ، بخلاف ما يدرك من قراءة الكتب ، حيث لا يحصل باقتنائها وقراءتها حرج ؛ لا في وقت ولا في مكان وغير ذلك .

ومثل ذلك يقال بالنسبة إلى وسائل الإعلام المرئية والمسموعة عبر أجهزة الاتصالات الحديثة .

الفصل الثاني : وجوب البيان

١- وجوب بيان الشريعة :

إن من رحمة الله تعالى على عباده أن أرسل الرسل ، وبعث الأنبياء مبشرين ومنذرين ، ومبينين لعباد الله حق الله تعالى عليهم في عبادته وحده لا شريك له ، وأيدهم بالبينات والحجج بما أنزل من الكتب والمعجزات . ومن رحمة الله أنه أعان العباد على قبول دعوة رسله بما جعل فيهم من فطرة التوحيد التي فطر الناس عليها ؛ ﴿ فطرة الله التي فطر الناس عليها ﴾^(١) . وأعانهم كذلك بأن جعلهم يعقلون ما يسمعون بالعقل الذي هو شرط التكليف . ومن رحمته تعالى أنه لا يعذب من لم يبلغه البيان ؛ ﴿ وما كنا معذيين حتى نبعث رسولا ﴾^(٢) ، حيث جعل البيان حجة الله على خلقه . ثم إن الله جعل المعرفة والعلم بدينه الكريم الأصل في العبادة ؛ ﴿ فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك ﴾^(٣) . وطلب من عباده بمن فيهم الرسل العلم بما يعينهم ويقويهم ويزيدهم معرفة بعبادة الله ؛ ﴿ وقل رب زدني علماً ﴾^(٤) . وجعل العلم عند البشر درجات متفاوتة بعضها فوق بعض ؛ ﴿ وفوق كل ذي علم عليم ﴾^(٥) . وجعل كل هذه الدرجات مجتمعة جزءاً قليلاً من العلم ؛ ﴿ وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً ﴾^(٦) .

ولكن الله تعالى جعل من هذا القليل حجته على خلقه ، وأوجب بيان هذه الحجة رحمة بعباده وابتلاء حيث قال تعالى : ﴿ وأنزلنا إليك الذكر لتبين

(١) سورة الروم : ٣٠ .

(٢) سورة الإسراء : ١٥ .

(٣) سورة محمد : ١٩ .

(٤) سورة طه : ١١٤ .

(٥) سورة يوسف : ٧٦ .

(٦) سورة الإسراء : ٨٥ .

للناس ما نزل إليهم ﴿١﴾ .

﴿ وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه ﴾ ﴿٢﴾ .
﴿ يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته ﴾ ﴿٣﴾ .

﴿ إن الذين يكتُمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون ﴾ ﴿٤﴾ .
﴿ وما على الرسول إلا البلاغ المبين ﴾ ﴿٥﴾ .
﴿ فهل على الرسل إلا البلاغ المبين ﴾ ﴿٦﴾ .

﴿ قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين ﴾ ﴿٧﴾ .

﴿ وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم ﴾ ﴿٨﴾ .
﴿ ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون ﴾ ﴿٩﴾ .
﴿ وقال يا قوم لقد أبلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم ﴾ ﴿١٠﴾ .

(١) سورة النحل: ٤٤ .

(٢) سورة آل عمران: ١٨٧ .

(٣) سورة المائدة: ٦٧ .

(٤) سورة البقرة: ١٥٩ .

(٥) سورة النور: ٥٤ .

(٦) سورة النحل: ٣٥ .

(٧) سورة يوسف: ١٠٨ .

(٨) سورة إبراهيم: ٤ .

(٩) سورة آل عمران: ١٠٤ .

(١٠) سورة الأعراف: ٧٩ .

﴿ أبلغكم رسالات ربي وأنا لكم ناصح أمين ﴾^(١) .

وهذه طائفة من أحاديث رسول الله ﷺ في ذلك :

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : (نضر الله امرأ سمع منا شيئاً فبلغه كما سمعه ، فرب مبلغ أوعى من سامع)^(٢) .

عن عبدالله بن عمرو عن النبي ﷺ قال : (بلغوا عني ولو آية)^(٣) .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (من سئل عن علم فكتمه ألجم يوم القيامة بلجام من نار)^(٤) .

عن جرير بن عبدالله قال : (أتيت النبي ﷺ ، قلت : أبايعك على الإسلام ، فشرط علي النصح لكل مسلم فبايعته على هذا)^(٥) .

عن تميم الداري ، أن النبي ﷺ قال : الدين النصحية قلنا لمن ؟ قال : لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم^(٦) .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص من أجورهم شيئاً ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص من آثامهم شيئاً)^(٧) .

(١) سورة الأعراف : ٦٨ .

(٢) رواه أبو داود والترمذي وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب ص : ٤٠ .

(٣) رواه أحمد والبخاري والترمذي وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم : ٢٨٣٧ .

(٤) رواه أبو داود والترمذي وحسنه . وصححه الألباني في صحيح الترغيب ، ص : ٥٢ .

(٥) رواه البخاري في كتاب الإيمان باب : ٤٢ .

(٦) رواه مسلم في كتاب الإيمان حديث رقم : ٩٥ .

(٧) رواه أحمد ومسلم والأربعة .

٢- لا يجوز تأخير البيان عن وقت الحاجة :

لا شك في أن من يدعو إلى الإسلام يقصد بدعوته هداية المدعو إلى الإيمان الشرعي ، بحيث يفعل ما أوجه عليه هذا الإيمان ؛ سواء أكان هذا الفعل قلبياً أم قولياً أم عملياً . ومباشرة الفعل تستلزم قبلها حصول العلم البين الذي دونه لا يتحقق الفعل على الوجه المطلوب ، وبالتالي لا تتم مهمة الدعوة ، ولا يتحقق مقصودها ، إلا بعدم تأخير البيان عن وقت الحاجة إليه .

ولا يقال هنا إن هذا يوجب بيان الشريعة جملة واحدة ، فإن هذا باطل ، بل الحاجة هنا تتعلق بأركان الإسلام وأصوله ابتداء ، ثم بفروعه على الوجوه المذكورة في هذا البحث .

وقد بين علماء الإسلام هذه القاعدة وتفصيلها المتعلقة بالأحكام الشرعية على وجه العموم .

قال الشوكاني في الإرشاد ^(١) : قال ابن السمعاني لا خلاف في امتناع تأخير البيان عن وقت الحاجة إلى الفعل ، ولا خلاف في جوازه إلى وقت الفعل ، لأن المكلف قد يؤخر النظر وقد يخطئ إذا نظر . أ.هـ .

وكذلك اللفظ العام ، الذي يتناول جميع أفرادها ، إذا أريد به عند الخطاب فرد من أفرادها فإنه يكون بمثابة المجمع ويجوز تأخير بيانه من وقت الخطاب إلى وقت الحاجة . وأما العام دون القيد المذكور فلا يجوز تخصيصه إلا بدليل ؛ سواء في وقت الخطاب أو في وقت الحاجة ، وهذا التخصيص هو نوع من النسخ كما هو مفصل عند أهل العلم .

قال شيخ الإسلام ^(٢) : واللفظ العام إذا أريد به الخاص ، فلا بد من نصب

(١) ص : ٢٩٤ .

(٢) ٢٧١/٢٠ .

دليل يدل على التخصيص ؛ إما مقترن بالخطاب عند من لا يجوز تأخير البيان (يعني وقت الخطاب) ، وإما موسع في تأخيره إلى حين الحاجة عند الجمهور . أ.هـ .

وقد اختار شيخ الإسلام أنه لا يجوز تأخير البيان عن وقت الحاجة إليه في مواضع منها^(١) .

واختار أنه يجوز تأخير بيان اللفظ العام الذي يراد به فرد من أفرادهِ عن وقت الخطاب ، لكن بعد البحث عن دليل التخصيص ، كما ذكر ذلك في المجموع^(٢) .

ورد على من زعم أن الظاهر الذي لم يقصد به ما يدل عليه ظاهره أنه قد يؤخر بيانه فقال^(٣) : فإن الذين قالوا : الظاهر الذي لم يرد به ما يدل عليه ظاهره قد يؤخر بيانه ، احتجوا بقوله تعالى : ﴿ إِنْ أَمَرَ اللَّهُ بِأَمْرٍ ﴾ تذبحوا بقره^(٤) .

وادعوا أنها كانت معينة وآخر بيان التعيين ، وهذا خلاف ما استفاد عن السلف من الصحابة والتابعين لهم بإحسان من أنهم أمروا بقره مطلقه ؛ فلو أخذوا بقره من البقر فذبحوها أجزأ عنهم ، ولكن شددوا ، فشدد الله عليهم . والآية نكرة في سياق الإثبات ، فهي مطلقه . والقرآن يدل سياقه على أن الله ذمهم على السؤال بـ « ما هي » ولو كان المأمور به معيناً لما كانوا ملومين ، ثم إن مثل هذا لم يقع قط في أمر الله ورسوله أن يأمر عباده بشيء معين ويبيهم عليهم مرة بعد مرة ، ولا يذكره بصفات تختص به ابتداء . واحتجوا بأن الله آخر بيان لفظ الصلاة والزكاة والحج ، وأن هذه الألفاظ

(١) المجموع : ٣٦٩/٢٠ ، ٥٥٩/٢١ .

(٢) المجموع : ٣٦٣/٤ - ٣٦٤ .

(٣) ١٠٤/٧ - ١٠٥ .

(٤) البقرة : ٦٧ .

لها معان في اللغة بخلاف الشرع ، وهذا غلط ؛ فإن الله أمرهم بالصلاة بعد أن عرفوا المأمور به ، وكذلك الصيام ، وكذلك الحج ، ولم يؤخر الله قط بيان شيء من هذه المأمورات .

ثم قال : وأيضاً ، فقد بينا في غير هذا الموضع أن الله ورسوله لم يدع شيئاً من القرآن والحديث إلا بين معناه للمخاطبين ، ولم يحوجهم إلى شيء آخر . أ.هـ .

٣- الأحكام التي تحتاج إليها الأمة لا بد من بيانها بياناً عاماً :

قال رسول الله ﷺ : (قد تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها ، لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك)^(١) .

وقال ﷺ : (ما بقي شيء يقرب من الجنة ويباعد عن النار إلا وبين لكم)^(٢) .

ذلك أن الرسالة الربانية لا تحقق مقصدها إلا بذلك البيان والإظهار . ولا شك في أن رسول الله ﷺ قد بلغ الرسالة ، ونصح الأمة ، وأشهد الله على ذلك في حجة الوداع ، ثم إن الأمة حملت الدين ونقلته كما حفظته ؛ كما قال ﷺ : (يحمل هذا الدين من كل خلف عدوله)^(٣) ، وقال : (لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق ، لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك)^(٤) .

(١) رواه أحمد : ١٢٦/٤ ، وابن ماجه : ٤٣ ، عن العرياض ، وصححه الألباني في الصحيحة : ٩٣٦ .

(٢) رواه الطبراني في الكبير ، وصححه الألباني في الصحيحة رقم : ١٨٠٣ .

(٣) جمع طرقه وحسنه سليم الهلالي في رسالة لم تطبع بعد .

(٤) رواه مسلم رقم : ١٩٢٠ عن ثوبان .

من هذا يعلم شيثان :

الأول: هو وجوب تبليغ الدين أداء للأمانة .

والثاني: أن ما لم تنقله الأمة من الدين ولم تدل عليه أصوله فإنه ليس من الدين .

قال شيخ الإسلام^(١): إن الأحكام التي تحتاج الأمة إلى معرفتها لا بد أن يبينها الرسول ﷺ بياناً عاماً ، ولا بد أن تنقلها الأمة ، فإذا انتفى هذا علم أن هذا ليس من دينه ، وهذا كما يعلم أنه لم يفرض صيام شهر غير رمضان ، ولا حج بيت غير البيت الحرام ، ولا صلاة مكتوبة غير الخمس ، ولم يوجب الغسل في مباشرة المرأة بلا إنزال ، وأوجب الوضوء من الفزع العظيم وإن كان فيه مظنة خروج الخارج .أ.هـ .

٣- ١- ما تعم به البلوى ينبغي أن يبين :

ثم قال^(٢): وإذا كانت الأحكام التي تعم بها البلوى لا بد أن يبينها الرسول ﷺ بياناً عاماً ، ولا بد أن تنقل الأمة ذلك ، فمعلوم أن الكحل ونحوه (بالنسبة للصائم) مما تعم به البلوى ، كما تعم بالدهن والاعتسال والبخور والطيب ، فلو كان هذا مما يفطر لبينه النبي ﷺ كما بين الإفطار بغيره ؛ فلما لم يبين ذلك علم أنه من جنس الطيب والبخور والدهن . والبخور قد يتصاعد إلى الأنف ويدخل في الدماغ وينعقد أجساماً ، والدهن يشربه البدن ويدخل إلى داخله ويتقوى به الإنسان ، وكذلك يتقوى بالطيب قوة جيدة . فلما لم يبين الصائم عن ذلك دل على جواز تطيبه وتبخيره وادھانه ، وكذلك اكتحاله .

وقد كان المسلمون في عهده ﷺ يجرح أحدهم ؛ إما في الجهاد أو في

(١) ٢٣٦/٢٥ .

(٢) ٢٤١/٢٥ .

غيره من مأمومة أو جائفة ، فلو كان هذا يفطر لبين لهم ذلك ، فلما لم ينه عن ذلك علم أنه لم يجعله مفطراً . أ.هـ .

يؤكد شيخ الإسلام أن البيان أصل في التشريع ويستدل على ذلك استدلالاً عكسياً حيث يكون عدم البيان دليل على عدم التشريع ، ثم يؤكد بدعية التشريع إذا كان المقتضى أو العلة لهذا التشريع المزعوم موجوداً في زمن النبي ﷺ ولم يشرعه ، فإن ذلك دليل على بطلان وسقوط هذا المقتضى بعده ومن ثم بطلان التشريع . وقد قعد شيخ الإسلام هذه القاعدة وذكرها في مواضع عدة من كتبه . ومن المعلوم أن هذا يختلف عن القياس الصحيح ، حيث إنه يعتمد على النص الشرعي وعلته الصحيحة من جهة ، وعلى عدم وجود المقتضى أو الحاجة إلى التشريع للأمر المراد قياسه في زمن النبي ﷺ من جهة أخرى . وهذا الباب يختلف أيضاً عن باب المعاملات التي يكون الأصل فيها الحل إلا ما عارض المحرمات منها ، وهي معلومة محدودة ، حيث تتعلق بالربا والغرر والظلم ونحو ذلك .

٤- التدرج في البيان وأن الدين أول ما يبنى من أصوله ويكمل بفروعه :

قال الله تعالى: ﴿ وَقرآن فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلاً ﴾ ^(١).

قال تعالى: ﴿ وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلاً ﴾ ^(٢).

إن التدرج في البيان إنما يقصد به تهيئة النفس لقبول ما لو عرض عليها جملة واحدة لردته أو ثقل عليها ، فهو من الله تعالى رحمة بعباده ، إذ هو خالق النفس وهو أعلم بها منها ، فلم يكلفها إلا وسعها ، وهو يحب لها

(١) سورة الإسراء: ١٠٦ .

(٢) سورة الفرقان: ٣٢ .

الدين والإيمان ويسر لها ذلك ، ويكره لها الكفر والفسوق والعصيان ويحذرهما من ذلك .

ومن المعلوم أن الله تعالى بعث جميع الرسل ببيان الإيمان بالله وحده لا شريك له أول كل شيء ، دون لوازم ذلك على وجه التفصيل . فقد مكث رسول الله ﷺ في مكة يدعو إلى التوحيد - دون غيره من تفاصيل الشريعة التي هي من لوازمه كتفاصيل العبادات - ثلاث عشرة سنة ، ليثبت الإيمان والتوحيد في النفوس من جهة ، وتتهياً لقبول تكاليف الشريعة من جهة أخرى .

فالصلاة أول ما فرضت ركعتان ؛ كما في حديث عائشة رضي الله عنها قالت: (فرض الله الصلاة حين فرضها ركعتين في الحضر والسفر ، فأقرت صلاة السفر وزيد في صلاة الحضر) ^(١) ، وكذلك الصوم ، فإن أول ما فرض يوم عاشوراء ، ثم نسخ بعد أن فرض رمضان ؛ كما في حديث عائشة أيضاً قالت: (كان رسول الله ﷺ أمر بصيام يوم عاشوراء ، فلما فرض رمضان كان من شاء صام ومن شاء أفطر) ^(٢) .

وكذلك الخمر ، حصل التدرج في تحريمها ، حيث بين الله تعالى رجحان ضررها على نفعها ، ثم تحريم تناولها عند الصلاة ، ثم تحريمها مطلقاً . وغير ذلك من الأحكام الشرعية .

قال شيخ الإسلام ^(٣) : والدين القائم بالقلب من الإيمان علماً وحالاً هو الأصل ، والأعمال الظاهرة هي الفروع ، وهي كمال الإيمان ..

(١) البخاري ، كتاب الصلاة: ١ ، ومسلم مسافرين: ١ .

(٢) البخاري الصوم: ٦٩ ، وفي الباب عند البخاري عن ابن عباس وسلمة بن الأكوع ، وعند مسلم في الصيام عن سلمة بن الأكوع رقم: ١١٣٥ ، وعن الربيع بنت معوذ رقم: ١١٣٦ .

(٣) ٣٥٥/١٠ .

فالدین أول ما یبنی من أصوله ویكمل بفروعه ، كما أنزل الله بمکنا
أصوله: من التوحید ، والأمثال التي هي المقایس العقلية ، والقصص ،
والوعد والوعید ، ثم أنزل بالمدينة - لما صار له قوة - فروعه الظاهرة: من
الجمعة ، والجماعة ، والأذان ، والإقامة ، والجهاد ، والصيام ، وتحريم
الخمر والزنى والمیسر ، وغير ذلك من واجباته ومحرماته.

فأصوله تمد فروعه وتثبتها ، وفروعه تکمل أصوله وتحفظها ، فإذا وقع فيه
نقص ظاهر فإنما يقع ابتداء من جهة فروعه ، ولهذا قال ﷺ : (أول ما
تفقدون من دينکم الأمانة وآخر ما تفقدون من دينکم الصلاة) وروي عنه
أنه قال: (أول ما یرفع الحكم بالأمانة و« الحكم » هو عمل الأمراء
وولاية الأمور ، كما قال تعالى: ﴿ إِنْ اللَّهُ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَوَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى
أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ﴾^(١) . وأما الصلاة : فهي
أول فرض ، وهي من أصول الدين والإيمان ، مقرونة بالشهادتين ، فلا
تذهب إلا في الآخر ، كما قال ﷺ : (بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً
كما بدأ فطوبى للغرباء) « فأخبر » أن عودته كبذته . أ.هـ .

(١) سورة النساء: ٥٨.

الفصل الثالث : مقاصد البيان

١- الهدى والضلال لا يكون إلا بعد البيان :

قال تعالى : ﴿ وما تفرقوا إلا من بعد ما جاءهم العلم بغياً بينهم ﴾^(١)
وقال تعالى : ﴿ وما اختلف الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءهم العلم بغياً بينهم ﴾^(٢).

وقال تعالى : ﴿ ولقد أرسلنا إلى ثمود أخاهم صالحاً أن اعبدوا الله فإذا هم فريقان يختصمون ﴾^(٣).

وقد سمى الله تعالى القرآن فرقاناً لأنه يفرق بين الحق والباطل . ثم إن الله تعالى ابتلى الإنسان بالسمع والبصر ، لما يكون بعد البلاغ من حصول الفهم ثم اختيار سبيل الهدى أو سبيل الضلال ، فقال تعالى : ﴿ إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعاً بصيراً ﴾^(٤).

ولهذا قال تعالى : ﴿ وما كنا معذيين حتى نبعث رسولا ﴾^(٥) . فلا يحكم على أعيان الناس بكفر أو فسوق أو نحو ذلك ، بمجرد عمل الكفر أو الفسوق ، إلا بعد إقامة الحجة على الوجه الشرعي ، ثم انتفاء موانع تلك الأحكام . قال شيخ الإسلام^(٦) : الهدى والضلال إنما يكون بعد البيان ؛ كما قال تعالى : ﴿ وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم فيضل

(١) سورة الشورى : ١٤ .

(٢) سورة آل عمران : ١٩ .

(٣) سورة النمل : ٤٥ .

(٤) سورة الإنسان : ٢ .

(٥) سورة الإسراء : ١٥ .

(٦) ٥٧٩/١٠ .

الله من يشاء ويهدي من يشاء وهو العزيز الحكيم ﴿١﴾ وقال: ﴿وما كان الله ليضل قوماً بعد إذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون﴾ (٢).

١- ١ - المشرك معذور إذا لم تقم عليه الحجة بالبيان:

قال شيخ الإسلام بعد كلامه على ثواب من فعل المنهي عنه - لوصفه . جاهلاً - مما جنسه مشروع (٣): بخلاف ما لم يشرع جنسه مثل الشرك ، فإن هذا لا ثواب فيه ، وإن كان الله لا يعاقب صاحبه إلا بعد بلوغ الرسالة، كما قال تعالى: ﴿وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا﴾ (٤)، لكنه وإن كان لا يعذب فإن هذا لا يثاب عليه .

ثم قال : وهذا لا يكون مجتهداً ، لأن المجتهد لا بد أن يتبع دليلاً شرعياً ، وهذا لا يكون عليه دليل شرعي ، لكن قد يفعله باجتهاد مثله (يعني من العوام الذين لا يجتهدون إلا بالتقليد) وهو تقليده لمن فعل ذلك من الشيوخ والعلماء . والذين فعلوا ذلك قد فعلوه لأنهم رأوه ينفع أو لحديث كذب سمعوه ؛ فهؤلاء إذا لم تقم عليهم الحجة لا يعذبون . وأما الثواب فإنه قد يكون ثوابهم أنهم أرجح من أهل جنسهم ، وأما الثواب بالتقرب إلى الله فلا يكون بمثل هذه الأعمال . أ.هـ .

١- ٢ - عدم الإلزام والعقاب في الدنيا إلا بعد البيان:

وقال (٥): إذا تنازع بعض المسلمين في شيء من مسائل الدين - ولو كان المنازع من آحاد طلبة العلم - لم يكن لولاية الأمور أن يلزموه باتباع حكم

(١) سورة إبراهيم: ٤ .

(٢) سورة التوبة: ١١٥ .

(٣) المجموع: ٣٢/٢٠ - ٣٣ .

(٤) سورة الإسراء: ١٥ .

(٥) ٣٧٨/٣٥ .

أمشاج نبتليه فجعلناه سميعاً بصيراً ﴿١﴾ .

ومتى تعتمد المرء البقاء على الجهل مع إمكان العلم انتقل إلى حال المعرض والعياذ بالله تعالى . وكذلك بالنسبة للمسلم الذي من الله عليه بشيء من العلم ، لا يجوز له أن يحجم عما يراه من الجهل ، بل هو مأمور بالدعوة والبيان . كما لا يجوز له أن يظن أن بقاء الجاهل على جهله هو رحمة له لأنه معذور ، فإن هذا خلاف مقاصد الشريعة وأحكامها من وجه ، ثم إن الرحمة والراحة والسعادة والأمن والأمان لجميع البشر إنما يكون ذلك كله بالدين ومعرفته ؛ كما قال تعالى : ﴿ وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ﴾ (٢) ، وقوله تعالى : ﴿ ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين ﴾ (٣) . وإذا فرض أن من المدعويين من يتضرر بسبب دعوته ، ثم إعراضه فاستحقاقه للعذاب ، فإن دفع هذا الضرر عن هذا البعض المعرض يستلزم أعظم الضرر للأمة جميعاً ، بتعطيل البيان والدعوة التي جعله الله مهمة الرسل والأنبياء وأتباعهم إلى قيام الساعة .

قال شيخ الإسلام (٤) : إن بيان الحكم سبب لزوال الشبهة المانعة من حقوق العقاب ، فإن العذر الحاصل بالاعتقاد ليس المقصود بقاءه ، بل المطلوب زواله بحسب الإمكان . ولولا هذا لما وجب بيان العلم ، ولكان ترك الناس مع جهلهم خيراً لهم ، ولكان ترك دلائل المسائل المشتبهة خيراً من بيانها . ثم قال : إن بيان الحكم والوعيد سبب لثبات المجتنب على اجتنابه ولولا ذلك لانتشر العمل بها . أ. هـ .

ثم تكلم عن بعض ضوابط العذر بالجهل فقال : إن هذا العذر لا يكون

(١) سورة الإنسان : ٢ .

(٢) سورة الأنبياء : ١٠٧ .

(٣) سورة النحل : ٨٩ .

(٤) المجموع : ٢٧٩/٢٠ .

حاكم ، بل عليهم أن يبينوا له الحق كما يبين الحق للجاهل المتعلم ، فإن تبين له الحق الذي بعث الله به رسوله وظهر وعانده بعد هذا استحق العقاب. أ. هـ .

وقال ^(١) : وليس لأحد أن يحكم على عالم بإجماع المسلمين ، بل يبين له أنه قد أخطأ ، فإن يبين له بالأدلة الشرعية التي يجب قبولها أنه قد أخطأ وظهر خطؤه للناس ، ولم يرجع ، بل أصر على إظهار ما يخالف الكتاب والسنة ، والدعاء إلى ذلك ، وجب أن يمنع من ذلك ويعاقب إن لم يمتنع ، وأما إذا لم يبين له ذلك بالأدلة الشرعية لم تجز عقوبته باتفاق المسلمين. أ. هـ .

٢- ضوابط العذر بالجهل ، وإن عدم حصول البيان للمكلف - وإن كان عذراً - فإنه لا يجوز بقاءه :

إن الجهل من العوارض التي اعتبرها الشرع عذراً في الانتقال من الأحكام الراتبة إلى الأحكام العارضة ، شأنه في ذلك شأن بقية العوارض الطارئة على المكلف ؛ كالإكراه ، والضرورة ، وغير ذلك مما هو معروف عند العلماء . ومن المعلوم أن هذه العوارض غير مطلوبة شرعاً ، ولكنها واقعة قدرأ ، ولا يجوز للمكلف أن يقصدها ، بل إذا أمكنه رفعها وجب عليه ذلك ، كما قال تعالى : ﴿ فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا إثم عليه ﴾ ^(٢) .

والجهل لا يجوز أن يتعمده المرء ، بل الأصل أن يقصد العلم ، لما جعل الله للإنسان من آلة العقل والسمع والبصر؛ كما في قوله تعالى : ﴿ والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئاً وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون ﴾ ^(٣) ، وقوله تعالى : ﴿ إنا خلقنا الإنسان من نطفة

(١) ٣٨٢/٣٥ .

(٢) سورة البقرة: ١٧٣ .

(٣) سورة النحل: ٧٨ .

عذراً إلا مع العجز عن إزالته ؛ وإلا : فمتى أمكن الإنسان معرفة الحق فقصر فيها لم يكن معذوراً .

ثم تكلم عن ضوابط الاجتهاد في ارتكاب المحرم فقال : قد يكون في الناس من يفعله غير مجتهد اجتهداً يبيحه ، ولا مقلداً تقليداً يبيحه . فهذا الضرب قد قام فيه سبب الوعيد من غير هذا المانع الخاص ، فيتعرض للوعيد ويلحقه ، إلا أن يقوم فيه مانع آخر من توبة أو حسنات ماحية أو غير ذلك ، ثم هذا مضطرب قد يحسب الإنسان أن اجتهداه أو تقليده مبيح له أن يفعل ، ويكون مصيباً في ذلك تارة ومخطئاً أخرى ، لكن متى تحرى الحق ولم يصده عنه اتباع الهوى فلا يكلف الله نفساً إلا وسعها .أ.هـ .

٣- الرد على أهل البدع إذا لم يقصد به بيان الحق وهدى الخلق لم يكن عملاً صالحاً :

إن العلم بأن المقصود من البيان والدعوة هو هداية الخلق هو معلوم من الدين بالضرورة . ثم إن مقاصد الشريعة نصبت لها وسائل لتحقيقها . وإن هذه الوسائل غير مقصودة لذاتها ، بل هي مقصودة لغيرها ؛ فهي حتى للمقصد الواحد ، متنوعة من جهة ، ومتفاوتة من جهة ثانية ، ثم إنها منضبطة بضوابط شرعية من جهة ثالثة ، ومحكومة بالمقصد من جهة رابعة وبالتالي فلا يباشر بتلك الوسائل إلا مقترنة باستحضار المقاصد والضوابط ، فهي لا تستقل بنفسها البتة ، فإن تمت مباشرتها مستقلة لم تكن مما أمر الله ولم تكن من الأعمال الصالحة . فإن أصبحت هي المقصودة لذاتها كانت ظلماً ، لأن الظلم وضع الشيء في غير موضعه . فإن اقترن بها ما يشينها من تعصب أو مقصد دنيوي لم تنصب له كانت فساداً .

والدعوة إلى الله تعالى وبيان دينه من أعظم الوسائل لأعظم المقاصد ، وبالتالي فالحفاظ عليها وعلى مقصدها الذي هو هداية الخلق من أعظم الطاعات لله تعالى .

وبيان الحق لأهل البدع لا يخرج عن ذلك ، فإن مقصد الدعوة في أهل البدع والضلال أولى منها في أهل الحق وأعظم أجراً عند الله تعالى ، ولذلك قال رسول الله ﷺ لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه حين أعطاه الراية يوم خيبر : (انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم ثم ادعهم إلى الإسلام وأخبرهم بما يجب عليهم . فوالله لئن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من أن تكون لك حمر النعم)^(١) .

قال شيخ الإسلام^(٢) : الرد على أهل البدع من الرافضة وغيرهم إن لم يقصد فيه بيان الحق وهدى الخلق ورحمتهم والإحسان إليهم ، لم يكن عمله صالحاً . وإذا غلظ في ذم بدعة ومعصية كان قصده بيان ما فيها من الفساد ليحذرها العباد ، كما في نصوص الوعيد وغيرها . وقد يهجر الرجل عقوبة وتعزيراً والمقصود بذلك ردعه وردع أمثاله للرحمة والإحسان لا للتشفي والانتقام . أ.هـ .

ولا يفهم من كلام شيخ الإسلام أن مجرد حسن القصد يسوغ الغلظة والشدة ، بل المقصود رجحان كون تلك الغلظة والشدة مظنة الإصلاح والإصلاح لذلك الشخص بعينه ، وفي ذلك الوقت وفي تلك الحال ، إذ الأصل عدم الغلظة والشدة في الدعوة ، بل اللين والرحمة ؛ كما في قوله تعالى : ﴿ اذهبوا إلى فرعون إنه طغى ، فقولوا له قولاً لينا ﴾^(٣) ، وقوله تعالى : ﴿ فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك ﴾^(٤) . ولا يعدل عن الأصل إلا في حال معين عارض يكون فيه هذا العدول أرجح .

(١) البخاري في الجهاد: ١٤٣ ، عن سهل بن سعد .

(٢) المنهاج: ٢٣٩/٥ .

(٣) سورة طه: ٤٣ - ٤٤ .

(٤) سورة آل عمران: ١٥٩ .

الفصل الرابع: البيان والشرعة

أركان البيان :

- ١- المبيّن وهو الشرعة .
- ٢- المبيّن وهو الداعي .
- ٣- المبيّن له وهو المدعو .

وربما أمكن إضافة ركن رابع وهو « الوسيلة » مع أنها تدخل في الركنين الأولين : الشرعة والداعي .

سأقتصر في هذا الفصل على ما يتعلق بالركن الأول ، أما الركنان الآخران فسأفرد لهما فصلاً آخر لاحقاً في غير هذا العدد بإذن الله تعالى .

ضوابط الشرعة من جهة البيان :

المقصود في هذا الباب هو ذكر القواعد والأصول الشرعية التي يمكن أن تعتبر ضوابط في حسن بيان الشرعة للمكلفين ، بحيث يتم بلاغ تفاصيل الدين بلاغاً تراعى فيه الأحوال الراتبية والعارضة والمتفاوتة للأفراد والمجتمعات ، سواء أكان هذا العارض بسبب الفرد على وجه الخصوص ، أو المكان أو الزمان ، أو غير ذلك من الأسباب .

ولا أدعي أنني قد حصرت تلك الضوابط في هذا الباب ، بل فاتني ما لم أعلمه أو أتنبه إليه ، ولكنني اجتهدت ما استطعت في اختيار أهمها مما هو بحاجة إلى بيان من جهة ، وما أغفل من كثير ممن يتصدى للعلم والدعوة في عصرنا الحاضر من جهة أخرى ، ولم أتعرض بتفصيل لما هو ظاهر معروف لا لبس فيه عند الدعاة المتبعين للكتاب والسنة ، على نهج سلف الأمة الصالح ، رضوان الله تعالى عليهم وعلى من اتبعهم إلى يوم الدين ، من مسائل التوحيد والإيمان ، ومسائل الشرك والبدع ، وغيرها مما هو مفصل في كتب أئمة السلف قديماً وحديثاً ، ولكنني ذكرت ما يتعلق بها مما

هو مناسب .

ولا بد هنا من الإشارة إلى أنّ شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى - قد اعتنى كثيراً في دعوته وفتاويه بحمل النصوص الشرعية على ما تقتضيه القواعد والأصول المتعلقة بالأحوال العارضة ، حيثما وجدت ، بخلاف كثير ممن هو على منهج السلف الصالح ولكنه اعتنى بالنصوص والأصول العامة وقصر في مراعاتها مع تلك القواعد والأصول .

وقبل الشروع في ذكر الضوابط أذكر طريقة شيخ الإسلام في عرض الأحكام الشرعية محمولة على تلك الأصول:

قال شيخ الإسلام عند كلامه على الدين المستحب^(١) : وهو مبني على أربعة أصول:

أحدها: معرفة مراتب الحق والباطل ، والحسنات والسيئات ، والخير والشر ، ليعرف خير الخيرين وشر الشرين .

الثاني: معرفة ما يجب من ذلك وما لا يجب ، وما يستحب من ذلك وما لا يستحب .

الثالث: معرفة شروط الوجوب والاستحباب من الإمكان والعجز . وأن الإمكان والعجز قد يكون مشروطاً بإمكان العلم والقدرة .

الرابع: معرفة أصناف المخاطبين وأعيانهم ، ليؤمر كل شخص بما يصلحه أو بما هو الأصلح له من طاعة الله ورسوله ، وينهى عما ينفع نهيه عنه ، ولا يؤمر بخير يوقعه فيما هو شر من المنهي عنه مع الاستغناء عنه . أ.هـ .

(١) ٤٣٤/١٤ .

١- العلم :

١- ١ معرفة الدين وأصوله من أعظم العلوم :

قال تعالى : ﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ﴾^(١).

إن أعظم الوسائل لا تكون إلا لأعظم الغايات ، فإذا كانت الغاية من الخلق هي عبادة الله تعالى التي هي أعظم غاية ، فإن وسائل وأسباب تحقيق هذه الغاية لا تكون إلا متناسبة في الدرجة معها . وكذلك فإن العبادة ليست مجرد مطلق الإيمان ومطلق الحب ومطلق الذل ، بل هي الإيمان الشرعي والحب الشرعي والذل الشرعي . ولقد أرسل الله الرسل وأنزل الكتب إلى المشركين الذين كانوا يؤمنون بالله ويعبدونه ؛ ولكن بأهوائهم وقياساتهم الفاسدة . وقد اتفقت الأمة على أن للعبادة أصليين : ألا يعبد إلا الله ، وألا يعبد إلا بما شرع ، فلا يعبد بالأهواء أو بوجهات النظر ، ولذلك أيضاً أجمعوا على أن الأصل في العبادة التحريم . فإذا كانت العبادة منضبطة ومقيدة إلى هذا الحد ، وهي في الوقت نفسه مطلوبة من العبد كأعظم غاية ، كان لا بد لتحقيقها من معرفة أصولها وقواعدها ، ومعرفة ضوابطها وقيودها الشرعية ، ودون هذه المعرفة يكون العبد واحداً من اثنين : إما عابداً ضالاً مبتدعاً ، بصرف النظر عما قد يكون به معذوراً في نفس الأمر ، أو لا يكون له حظ يذكر في العبادة . ولهذا كان لا بد من تقرير أن العلم الشرعي هو أعظم العلوم ، وأن سائر العلوم النافعة لا بد أن تكون تابعة محكومة له دالة عليه .

وفي هذا يقول شيخ الإسلام^(٢) : معرفة أصول الأشياء ومبادئها ، ومعرفة الدين وأصله وأصل ما تولد فيه من أعظم العلوم نفعاً ، فإذا لم يحط المرء علماً بحقائق الأشياء التي يحتاج إليها يبقى في قلبه حسكة .

(١) سورة الذاريات : ٥٦ .

(٢) ٣٦٨/١٠ .

١- ٢- العلم قبل العمل :

قال تعالى: ﴿ فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات ﴾^(١).

إن كل عمل يعمل به الإنسان العادي يكون مسبوقاً بإرادة تسبب هذا العمل، وكل إرادة تكون مسبقة بعلم يسبب هذه الإرادة . فليس هناك عمل إلا هو مسبوق بعلم ، إن كان خيراً فخير أو كان شراً فشر . وإذا كان الكلام على الأعمال الشرعية فهي - على هذا الأساس - لكي تكون شرعية يجب أن تكون مسبقة بعلم شرعي صحيح ، ولا يمكن تصور فعل شرعي يكون متقدماً على العلم به ، ولذلك يقول شيخ الإسلام^(٢): فمن علم عملاً لم يعلم أنه مشروع فقد تذرّع إلى بدعة ، وإن كان ذلك العمل تبين له فيما بعد أنه مشروع . أ.هـ .

وفي المعنى الأول يقول^(٣): العلم قبل العمل ، والإدراك قبل الحركة ، والتصديق قبل الإسلام ، والمعرفة قبل المحبة . أ.هـ .

ويقول^(٤): والعلم قبل العمل ، والإدراك قبل الحركة ، والتصديق قبل الإسلام ، والمعرفة قبل المحبة ، وإن كانا يتلازمان ، لكن علم القلب موجب لعمله ما لم يوجد معارض راجح ، وعمله يستلزم تصديقه ، إذ لا تكون حركة إرادية ولا محبة إلا عن شعور ، لكن قد تكون الحركة والمحبة فيها فساداً إذا لم يكن الشعور والإدراك صحيحاً .

ثم قال : قال عمر بن عبدالعزيز : « من عبد الله بغير علم كان ما يفسد أكثر مما يصلح » فأما العمل الصالح بالباطن والظاهر فلا يكون إلا عن علم،

(١) سورة محمد: ١٩ .

(٢) الدرر: ٢٤٤/١ .

(٣) المجموع: ١٣٢/١٩ .

(٤) المجموع: ٣٨٢/٢ .

ولهذا أمر الله ورسوله بعبادة الله والإنابة إليه وإخلاص الدين له ونحو ذلك ، فإن هذه الأسماء تنتظم العلم والعمل جميعاً : علم القلب وحاله ؛ وإن دخل في ذلك قول اللسان وعمل الجوارح أيضاً ، فإن وجود الفروع الصحيحة مستلزم لوجود الأصول ، وهذا ظاهر . أ.هـ .

١-٣ - العمل مقيد بالعلم :

إن قاعدة أن العلم قبل العمل معروفة ظاهرة ، بل إن كل عمل في الدنيا لا بد أن يكون مسبوقاً بشيء من العلم . ولكن الأمر الذي يلتبس عند الكثير أن العمل لا بد أن يتناسب مع العلم ؛ لا من جهة القدر ، ولكن من جهة التفصيل ؛ فمن كان قليل العلم بتفاصيل الشريعة فهذا ينبغي له أن يتحدد بالقدر المعلوم ولا يفعل ما لا علم له به ؛ كما قال تعالى : ﴿ ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولاً ﴾^(١) ، على أن عليه أن يتعلم ما لم يعلم بالقدر الممكن ، وله أن يجتهد بالطاعة في هذا القدر القليل ما شاء بلا تعد لحدود الله تعالى . أما من سوغ لنفسه أن يعمل ما يشاء من التفاصيل ، على الرغم من حظه المتواضع من العلم ، فهذا يخشى عليه من الفتنة والبدعة . وأما إذا تصدى على هذا الحال للدعوة فإن الفتنة تكون أعظم . ولهذا كان من أضر الناس من المسلمين على المسلمين هم أنصاف العلماء ممن غفل عن هذا التفصيل ، وظن أن مجرد العلم يسوغ مطلق العمل . وفي هذا يستشهد شيخ الإسلام على ذلك بقول القائل^(٢) : أكثر ما يفسد الدنيا : نصف متكلم ، ونصف متفقه ، ونصف متطبب ، ونصف نحوي : هذا يفسد الأديان ، وهذا يفسد البلدان ، وهذا يفسد الأبدان ، وهذا يفسد اللسان . أ.هـ .

(١) سورة الإسراء : ٣٦ .

(٢) المجموع : ١١٩/٥ .

١-٤- النقل المصدق والنظر المحقق :

إن مجرد التوكيد على العلم الشرعي لا يكفي حتى يتم التوكيد على مداخله وأسبابه ، وذلك لكثرة الشبهات التي تحيط بالعلم ، حيث إن الشبهة لا تكون شبهة حتى تشتمل على شيء من العلم الصحيح ثم تكون هي مدخلاً إلى الجهل العظيم .

إن مدخل الشبهة لا يخلو من أمرين : إما في النقل المشوش ، أو في الفهم المتشابه . فكان لا بد من الاحتراز من ذلك بقطع مدخلها عن طريق النقل المصدق والفهم المحقق .

قال شيخ الإسلام رداً على من ذكر أقوالاً باطلة في الأسماء والصفات^(١) : لا ريب أن للناس فيها من الأقوال أكثر مما ذكره ، والموجود بأيدي الأمة من الروايات الصادقة والكاذبة والآراء المصيبة والمخطئة لا يحصيه إلا الله . والكلام في تفسير آيات الله وصفاته وكلامه فيه من الغث والسمين ما لا يحصيه إلا رب العالمين . وإنما الشأن في الحق والعلم والدين .

وقد كتبت قديماً في بعض كتبي لبعض الأكابر : أن العلم ما قام عليه الدليل ، والنافع منه ما جاء به الرسول . فالشأن في أن نقول علماً وهو النقل المصدق والبحث المحقق ، فإن ما سوى ذلك ، وإن زخرف مثله بعض الناس ، خزف مزوق ، وإلا فباطل مطلق . أ.هـ^(٢) .

١-٥- الجهل مرجع السيئات :

بما تقدم : ندرك أن العمل الصالح لا يكون إلا بالعلم الصالح ، وأنه ليس هناك عمل صالح نتج عن جهل إلا على سبيل الاتفاق العارض ، فالأصل أن الجهل لا يأتي بالشرعيات ؛ لأن الشرع مبني على العلم ، ثم إنه ليس

(١) ٣٨٨/٦ .

(٢) وانظر أيضاً المجموع : ٦٣/١٢ .

ثمت شيء بعد الحق إلا الباطل ؛ كما قال تعالى : ﴿ فماذا بعد الحق إلا الضلال ﴾^(١).

وقال ﷺ : (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد) . وقد بين الله تعالى أن سبب تضييع الإنسان للأمانة التي أمر الله هو الظلم والجهل ؛ كما قال تعالى : ﴿ إنا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوماً جهولاً ﴾^(٢).

ولا يقتصر الأمر على المسائل الشرعية، فإن الجهل بالنافع مما في هذه الحياة سبب للأذى والعذاب فيها، بخلاف ما في معرفته من الخير والقوة؛ كما قال تعالى : ﴿ هو الذي جعل لكم الأرض ذلولاً فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور ﴾^(٣) ، ولهذا أمر الله تعالى بالأخذ بالأسباب بعد معرفتها.

قال شيخ الإسلام^(٤) : وأما السيئات فمنشؤها الجهل والظلم ، فإن أحداً لا يفعل سيئة قبيحة إلا لعدم علمه بكونها سيئة قبيحة ، أو لهواه وميل نفسه إليها ، ولا يترك حسنة واجبة إلا لعدم علمه بوجوبها أو لبغض نفسه لها .

وفي الحقيقة فالسيئات كلها ترجع إلى الجهل ، وإلا ؛ فلو كان عالماً علماً نافعاً بأن فعل هذا يضره ضرراً راجحاً لم يفعله ، فإن هذا خاصية العاقل . ولهذا إذا كان من الحسنات ما يعلم أنه يضره ضرراً راجحاً ؛ كالسقوط من مكان عال ، أو في نهر يغرقه ، أو المرور بجانب حائط مائل ، أو دخول نار متأججة ، أو رمي ماله في البحر ، ونحو ذلك، لم يفعله لعلمه بأن هذا ضرر لا منفعة فيه . ومن لم يعلم أن هذا يضره ؛ كالصبي ، والمجنون ، والساهي ، والغافل ، فقد يفعل ذلك .

(١) سورة يونس : ٣٢ .

(٢) سورة الأحزاب : ٧٢ .

(٣) سورة الملك : ١٥ .

(٤) ٢٨٧/١٤ .

ومن أقدم على ما يضره مع علمه بما فيه من الضرر عليه فلظنه أن منفعته راجحة ؛ فإما أن يجزم بضرر مرجوح ، أو يظن أن الخير راجح . فلا بد من رجحان الخير إما في الظن وإما في المظنون ، كالذي يركب البحر ويسافر الأسفار البعيدة للربح ، فإنه لو جزم بأنه يغرق أو يخسر لما سافر ، لكنه يترجح عنده السلامة والربح ، وإن كان مخطئاً في هذا الظن .

وكذلك الذنوب ، إذا جزم السارق بأنه يؤخذ ويقطع لم يسرق ، وكذلك الزاني إذا جزم بأنه يرجم لم يزن ، والشارب يختلف حاله ، فقد يقدم على جلد أربعين وثمانين ويديم الشرب مع ذلك ، ولهذا كان الصحيح أن عقوبة الشارب غير محدودة ، بل يجوز أن تنتهي إلى القتل إذا لم ينته إلا بذلك ، كما جاءت بذلك الأحاديث ، كما هو مذكور في غير هذا الموضع .

وكذلك العقوبات ، متى جزم طالب الذنب بأنه يحصل له به الضرر الراجح لم يفعله ، بل : إما أن لا يكون جازماً بتحريمه ، أو يكون غير جازم بعقوبته ، بل يرجو العفو بحسنات أو توبة ، أو بعفو الله ، أو يغفل عن هذا كله ولا يستحضر تحريماً ولا وعيداً فيبقى غافلاً غير مستحضر للتحريم ، والغفلة من أضداد العلم .

ثم قال : فالغفلة والشهوة أصل الشر؛ قال تعالى : ﴿ ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطاً ﴾^(١) ، والهوى وحده لا يستقل بفعل السيئات إلا مع الجهل ، وإلا فصاحب الهوى إذا علم قطعاً أن ذلك يضره ضرراً راجحاً انصرفت نفسه عنه بالطبع . فإن الله تعالى جعل في النفس حباً لما ينفعها وبغضاً لما يضرها ، فلا تفعل ما تجزم بأنه يضرها ضرراً راجحاً ، بل متى فعلته كان لضعف العقل . أ.هـ .

(١) سورة الكهف : ٢٨ .

٢- المقاصد الشرعية :

٢- ١- الشريعة الحكيمة وبيان أنه ليس في الشرع على العموم فعل مأمور به ليس فيه مصلحة إلا مجرد الطاعة:

وصف الله تعالى نفسه بالحكمة في (٩٢) موضعاً في كتابه ، وكذلك وصف الكتاب الذي أنزل بالحكمة ، وجعل مهمة رسله تعليم الناس الكتاب والحكمة ؛ كما قال تعالى: ﴿ كما أرسلنا فيكم رسولاً منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون ﴾^(١)

إن المسلمين جميعاً يدركون حكمة الشريعة ، ولكنهم يتفاوتون في معرفة تفاصيلها ومتعلقاتها من الأحكام الشرعية . وقد بين شيخ الإسلام - كما سيأتي - أن الحكمة في الأحكام الشرعية تنقسم إلى قسمين : حكمة في المأمور به ، وحكمة في نفس الأمر . وبين أن عامة الشريعة تشتمل اجتماع القسم الأول والثاني معاً . وأما الثاني فهو يكون في الابتلاء الذي قد يتجرد عن الحكمة في المأمور به ، لكنه يتعلق بالحكمة الناشئة من نفس الأمر ، مع ملاحظة أن هذا القسم لا يثبت بمجرد الجهل بالحكمة في المأمور به ، كما أن الأحكام الشرعية لا تعلق بمعرفة الحكمة ، ولكن يجتهد أهل العلم لمعرفة لضبط الأحكام الشرعية .

قال شيخ الإسلام^(٢) : والمقصود أن كل ما أمر الله به أمر به لحكمة ، وما نهى عنه نهى لحكمة ، وهذا مذهب أئمة الفقهاء قاطبة وسلف الأمة وأئمتها وعامتها ، فالتعبد المحض بحيث لا يكون فيه حكمة لم يقع . نعم ، قد تكون الحكمة في المأمور به ، وقد تكون في الأمر ، وقد تكون في كليهما . فمن المأمور به ما لو فعله العبد دون الأمر حصل له منفعة ،

(١) سورة البقرة: ١٥١ .

(٢) المجموع: ١٤/١٤٤ .

كالعدل والإحسان إلى الخلق وصلة الرحم وغير ذلك ، فهذا إذا أمر به صار فيه حكمتان : حكمة في نفسه وحكمة في الأمر ، فيبقى له حسن من جهة نفسه ومن جهة أمر الشارع ، وهذا الغالب على الشريعة وما أمر الشارع به بعد أن لم يكن ، إنما كانت حكمته لما أمر به .

ثم تكلم شيخ الإسلام على الفعل الذي ليس فيه منفعة أصلاً ، إذ أمر به من باب الابتلاء والامتحان فقال: والتحقيق أن الأمر الذي هو ابتلاء وامتحان يحض عليه من غير منفعة في الفعل متى اعتقده العبد وعزم على الامتثال حصل المقصود وإن لم يفعله ، كما إبراهيم لما أمر بذبح ابنه ، وكحديث أقرع وأبرص وأعمى لما طلب منهم إعطاء ابن السبيل ، فامتنع الأبرص والأقرع فسلبا النعمة ، وأما الأعمى فبذل المطلوب فقليل له أمسك مالك ، فإنما ابتليتم ، فقد رضي عنك وسخط على صاحبيك . وهذا هو الحكمة الناشئة من نفس الأمر والنهي لا من نفس الفعل .

ثم قال : وأما فعل مأمور ليس فيه مصلحة ولا منفعة ولا حكمة إلا مجرد الطاعة والمؤمنون يفعلونه فهذا لا أعرفه .

قال: فإن مذهب السلف والأئمة أن الله يخلق الحكمة ويأمر لحكمة ، ومذهب السلف والأئمة أن الله يحب الإيمان والعمل الصالح ويرضى ذلك ولا يحب الكفر والفسوق والعصيان ، وإن كان شاء وجود ذلك (الحكمة). أ.هـ .

ولشيخ الإسلام تقسيم آخر للحكمة الناشئة عن الأمر لا يخرج عما ذكرنا^(١).

(١) انظر المجموع: ٢٠١/١٧ .

٢-٢ - المقاصد الشرعية ودرجاتها:

قال الشاطبي^(١): المقاصد لا تعدو ثلاثة أقسام:

أحدها: أن تكون ضرورية .

والثاني: أن تكون حاجية .

والثالث: أن تكون تحسينية .

قال: فأما الضرورية فمعناها أنها لا بد منها في قيام مصالح الدين والدنيا، بحيث إذا فقدت لم تجر مصالح الدنيا على استقامة بل على فساد وتهاريج وفوت حياة ، وفي الأخرى فوت النجاة والنعيم .

ثم قال: ومجموع الضروريات خمسة وهي: حفظ الدين والنفس والنسل والمال والعقل ، وقد قالوا إنها مراعاة في كل ملة .أ.هـ.

ومثل الشاطبي لكل ضروري فقال: فأصول العبادات راجعة إلى حفظ الدين من جانب الوجود ؛ كالإيمان ، والنطق بالشهادتين ، والصلاة ، والزكاة ، والصيام ، والحج وما أشبه ذلك .

والعادات راجعة إلى حفظ النفس والعقل من جانب الوجود أيضاً: كتناول المأكولات والمشروبات والملبوسات والمسكنات وما أشبه ذلك .

والمعاملات راجعة إلى حفظ النسل والمال من جانب الوجود ، وإلى حفظ النفس والعقل أيضاً ولكن بوساطة العادات .

والجنايات ، ويجمعها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ترجع إلى حفظ الجميع من جانب عدم .أ.هـ .

ثم بين معنى الحاجيات فقال: وأما الحاجيات فمعناها أنها مفترقة إليها من

(١) الموافقات: ٣/٢.

حيث التوسعة ورفع الضيق المؤدي في الغالب إلى الحرج .
قال: ففي العبادات ؛ كالرخص المخففة بالنسبة إلى حقوق المشقة بالمرض
والسفر .

وفي العادات ؛ كإباحة الصيد والتمتع بالطيبات مما هو حلال مأكلاً
ومشرباً وملبساً ومسكناً ومركباً وما أشبه ذلك .

وفي المعاملات ؛ كالقراض والمساواة والسلم وإلغاء التوابع في العقد على
المتبوعات كثمرة الشجر ومال العبد .

وفي الجنايات ؛ كالحكم باللوث والتدمية والقسامة وضرب الدية على
العاقلة وتضمن الصناع وما أشبه ذلك .

ثم بين معنى التحسينات فقال: وأما التحسينات فمعناها الأخذ بما يليق من
محاسن العادات وتجنب الأحوال المندسات التي تأنفها العقول الراجحات .

قال: ففي العبادات ؛ كإزالة النجاسة ، وبإجملة الطهارات كلها، وستر
العورة ، وأخذ الزينة ، والتقرب بنوافل الخيرات من الصدقات والقربات
وأشبه ذلك .

وفي العادات ؛ كآداب الأكل والشرب ، ومجانبة المآكل النجسات
والمشارب المستخبثات ، والإسراف والإقتار في المتناولات .

وفي المعاملات ؛ كالمنع من بيع النجاسات ، وفضل الماء والكأ ، وسلب
العبد منصب الشهادة والإمامة ، وسلب المرأة منصب الإمامة وإنكاح نفسها ،
وطلب العتق وتوابعه من الكتابة والتدبير وما أشبهها .

وفي الجنايات ؛ كمنع قتل الحر بالعبد ، أو قتل النساء والصبيان والرهبان
في الجهاد . أ.هـ .

٢- ٣ - مقاصد الشريعة والأمة الأمية :

قال تعالى: ﴿ وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ﴾^(١).

وقال : ﴿ قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً ﴾^(٢).

إن الإسلام هو دين العلماء والعوام ، وهو دين الحاضرين والبادين والأمين ، وهو دين الأغنياء والفقراء ، ودين الناس جميعاً مهما علوا في مراتب ذلك أو سفلوا ، يكفي أنهم يشتركون بفطرة الله وعقل الإنسان ، فهو دين الفطرة التي فطر الله الناس عليها ؛ كما في قوله تعالى: ﴿ فطرة الله التي فطر الناس عليها ﴾^(٣) ، وقوله ﷺ : (كل مولود يولد على الفطرة).

لقد جعل الله تعالى التوحيد أعظم ما في هذا الدين ، ودل على ذلك بالفطرة والبلاغ ، فهو يسع الأمي وغيره ، فجعل أعظم الأمور ميسرة لأبسط الناس . وكذلك في سائر الأحكام الشرعية ، راعى الأضعف من الناس ؛ فقال ﷺ لمن طلب أن يكون إمام قومه : (أنت إمامهم واقتد بأضعفهم)^(٤).

وغير ذلك كثير . ولذلك سمى الله نبيه (النبي الأمي) ، وسمى بذلك المسلمين ؛ كما قال تعالى: ﴿ هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم ﴾^(٥). قال الشاطبي^(٦): التكليف الاعتقادي والعملية مما يسع الأمي تعقلها ليسعه

(١) سورة الأنبياء: ١٠٧ .

(٢) سورة الأعراف: ١٥٨ .

(٣) سورة الروم: ٣٠ .

(٤) رواه أبو داود والنسائي ، ورواه مسلم بمعناه رقم: ٤٦٨ .

(٥) سورة الجمعة: ٢ .

(٦) الموافقات: ٥٨/٢ .

الدخول تحت حكمها . أما الاعتقادية بأن تكون من القرب للفهم والسهولة على العقل بحيث يشترك فيها الجمهور ، من كان منهم ثاقب الفهم أو بليداً ، فإنها لو كانت مما لا يدركه إلا الخواص لم تكن الشريعة عامة ، ولم تكن أمية ، وقد ثبت كونها كذلك ، فلا بد أن تكون المعاني المطلوب علمها واعتقادها سهلة المأخذ ، وأيضاً ، فلو لم تكن كذلك لزم بالنسبة إلى الجمهور تكليف ما لا يطاق ، وهو غير واقع كما هو مذكور في الأصول .

٤- الشريعة ضمن طاقة الخلق :

قال شيخ الإسلام^(١) : في كلامه على قوله تعالى : ﴿ لا يكلف الله نفساً إلا وسعها ﴾^(٢) : فتفى بذلك ما توهموه من أنه يعذبهم بالخطرات التي لا يملكون دفعها وأنها داخله تحت تكليفه ، فأخبرهم أنه لا يكلفهم إلا وسعهم ، فهذا هو البيان الذي قال فيه ابن عباس وغيره : فنسخها الله عنهم بقوله : ﴿ لا يكلف الله نفساً إلا وسعها ﴾^(٣) .

وقد تضمن ذلك أن جميع ما كلفهم به أمراً ونهياً فهم مطيقون له قادرون عليه ، وأنه لا يكلفهم ما لا يطيقون ، وفي ذلك رد صريح على من زعم خلاف ذلك .

ثم قال : والله أمرهم بعبادته وضمن أرزاقهم فكلفهم من الأعمال ما يسعونه ، وأعطاهم من الرزق ما يسعهم ، فتكليفهم يسعونه ، وأرزاقهم تسعهم ، فهم في الوسع في رزقه وأمره ، وسعوا أمره ووسعهم رزقه ، ففرق بين ما يسع العبد وما يسعه العبد ، وهذا هو اللائق برحمته وبره وإحسانه وحكمته وغناه ، لا قول من يقول إنه كلفهم ما لا قدرة لهم عليه البتة ولا يطيقونه ثم يعذبهم على ما لا يعملونه .

(١) ١٣٧/١٤ .

(٢) سورة البقرة : ٢٨٦ .

(٣) سورة البقرة : ٢٨٦ .

وتأمل قوله عز وجل ﴿إلا وسعها﴾ كيف تجد تحته أنهم في سعة ومنحة من تكاليفه ، لا في ضيق وحرَج ومشقة ، فإن الوسع يقتضي ذلك ، فاقتضت الآية أن ما كلفهم به مقدور لهم من غير عسر لهم ولا ضيق ولا حرج ، بخلاف ما يقدر عليه الشخص ، فإنه قد يكون مقدوراً له ولكن فيه ضيق وحرَج عليه . وأما وسعه الذي هو منه في سعة فهو دون مدى الطاقة والمجهود ، بل لنفسه فيه مجال ومتسع ، وذلك مناف للضيق والحرَج : ﴿وما جعل عليكم في الدين من حرج﴾^(١) ، بل : ﴿يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر﴾^(٢) ، وقال سفيان بن عيينة في قوله : ﴿إلا وسعها﴾ إلا يسرها لا عسرها ، ولم يكلفها طاقتها ، ولو كلفها طاقتها لبلغ المجهود. أ. هـ.

٥- الأحكام الشرعية:

١-٥- معرفة الأحكام الشرعية:

عرّف العلماء الحكم الشرعي بأنه: خطاب الله تعالى المتعلق بأفعال المكلفين اقتضاء أو تخيراً أو وضعاً^(٣) ، ثم إن الأحكام الشرعية تنقسم إلى قسمين: الأحكام التكليفية ، والأحكام الوضعية .

والأحكام التكليفية خمسة:

الوجوب ، والتحریم ، والاستحباب ، والكراهة ، والإباحة .
الوجوب: هو طلب الشارع من المكلف الفعل على وجه الحتم والإلزام ، بحيث يترتب على تركه إثم .

(١) سورة الحج: ٧٨ .

(٢) سورة البقرة: ١٨٥ .

(٣) مسلم: الثبوت: ٥٤/١ ، وإرشاد الفحول: ص ٢٣ .

والندب : هو طلب الشارع من المكلف الفعل على وجه الرجحان لا الإلزام ، بحيث يترتب على فعله ثواب .

والتحريم : هو طلب الشارع من المكلف الكف عن الفعل على وجه الحتم والإلزام ، بحيث يترتب على فعله إثم .

والكراهة : هي طلب الشارع من المكلف الكف عن الفعل على وجه الرجحان لا الإلزام ، بحيث يترتب على الكف ثواب ولا يترتب على الفعل إثم .

والإباحة : هي تخيير الشارع المكلف بين الفعل والكف عن الفعل ، بحيث لا يترتب إثم ولا ثواب .

والأحكام الوضعية ثلاثة :

السبب والشرط والمانع .

والسبب : هو ما كان في وجوده وجود الحكم ، وفي عدمه عدم الحكم ؛ مثل زوال الشمس لوجوب الصلاة ، ومثل المعصية للعقوبة .

والشرط : هو ما كان في عدمه عدم الحكم ، ولا يشترط في وجوده وجود الحكم ، مثل الإحصان في الزنى شرط للرجم .

والمانع : هو ما كان في وجوده عدم الحكم ، ولا يشترط في عدمه وجود الحكم ، مثل الدين في الزكاة .

وينبغي هنا ملاحظة أنه لا يجوز الحكم على أمر من الأمور بأنه أحد هذه الأحكام الشرعية إلا بدليل من الكتاب والسنة ، كما لا يجوز نقل أي أمر محكوم بأحد هذه الأحكام إلى حكم آخر إلا بضوابط الأحكام العارضة التي يختص بها أهل العلم .

٥- ٢- معرفة أن كل حكم من الأحكام الشرعية يتفاضل :

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾^(١)، وقال ﷺ : (أكبر الكبائر ، الإشراك بالله وقتل النفس وعقوق الوالدين وشهادة الزور)^(٢) .

وقال ﷺ : (اجتنبوا السبع الموبقات: الشرك بالله ، والسحر ، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق ، وأكل الربا ، وأكل مال اليتيم ، والتولي يوم الزحف ، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات)^(٣) .

وقال ﷺ : (بني الإسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وإقامة الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وحج البيت ، وصوم رمضان)^(٤) .

إن هذه النصوص وغيرها تثبت تفاضل الأحكام الشرعية في الحكم الواحد من أحكام التكليف . وإن أهمية المعرفة بهذا التفاضل تظهر عند تزامن الأحكام ، بحيث لا بد لك أن تفعل أحد أمرين ، ومقتضى الشريعة أن تفعل خير الخيرين أو تفوت شر الشرين ، كما هو مشار إليه في هذا البحث.

قال شيخ الإسلام^(٥) : ذهب جمهور الفقهاء إلى تفاضل أنواع الإيجاب والتحریم وقالوا: إيجاب أحد الفعلين قد يكون أبلغ من إيجاب الآخر ، وتحريمه أشد من تحريم الآخر ، فهذا أعظم إيجاباً وهذا أعظم تحريماً . ولكن طائفة من أهل الكلام نازعوا في ذلك كابن عقيل وغيره ، فقالوا:

(١) سورة النساء: ١١٦ .

(٢) رواه البخاري في الاستتابة: ١ عن أنس .

(٣) رواه أبو داود والنسائي ، وصححه الألباني في الإرواء: ١٢٠٢ .

(٤) رواه أحمد والترمذي والنسائي ، وصححه الألباني في الإرواء: ٧٨١ .

(٥) ٥٩/١٧ .

التفاضل ليس في نفس الإيجاب والتحریم ، ولكن في متعلق ذلك ، وهو كثرة الثواب والعقاب . والجمهور يقولون: بل التفاضل في الأمرين ، والتفاضل في المسببات دليل على التفاضل في الأسباب .

وكون أحد الأمرين والنهيين مخصوصاً بالتوكيد دون الثاني مما لا يستريب فيه عاقل ، ولو تساويا من كل وجه لامتنع الاختصاص بالتوكيد أو غيره من أسباب الترجيح ، فإن التسوية والتفضيل متضادان .

وجمهور أئمة الفقهاء على التفاضل في الإيجاب والتحریم ، وإطلاق ذلك هو قول جماهير المتأخرين من أصحاب الأئمة الأربعة .أ.هـ .

وقال في سياق توكيده هذا الأصل^(١) : كما يقال: ليس العاقل الذي يعلم الخير من الشر ، وإنما العاقل الذي يعلم خير الخيرين وشر الشرين وينشد: إن اللبيب إذا بدا من جسمه مرضان مختلفان داوى الأخطرا

وقال^(٢) : فكما أن الحسنات أجناس متفاضلة ، وقد يكون المفضول في كثير من المواضع أفضل مما جنسه فاضل ، فكذلك السيئات ، فالصلاة أفضل من القراءة ، والقراءة أفضل من الذكر ، والذكر أفضل من الدعاء ، مع أن القراءة والذكر والدعاء بعد الفجر وبعد العصر أفضل من تحري صلاة التطوع في ذلك ، وكذلك التسبيح في الركوع والسجود أفضل من قراءة القرآن فيه . وقد يكون بعض الناس انتفاعه بالذكر والدعاء أعظم من انتفاعه بالقراءة فيكون أفضل في حقه ، فهكذا السيئات ، وإن كان القتل أعظم من الزنى ، والزنى أعظم من الشرب ، فقد يقترن بالشرب من المغلطات ما يصير به أغلظ من بعض ضرر الزنى .

وإذا عرف أن الحسنات والسيئات تتفاضل بالأجناس تارة وتتفاضل بأحوال أخرى تعرض لها ، تبين أن هذا قد يكون أعظم من هذا وهذا أعظم من

(١) المجموع: ٥٤/٢٠ .

(٢) المجموع: ٦٦٠/١١ .

هذا . والعبد قد يأتي بالحسنة بنية وصدق وإخلاص تكون أعظم من أضعافها ، كما في حديث صاحب البطاقة الذي رجحت بطاقته التي فيها « لا إله إلا الله » بالسجلات التي فيها ذنوبه ، وكما في حديث البغي التي سقت كلباً بموقها فغفر الله لها ، وكذلك في السيئات والله أعلم .أ.هـ .

٥-٣- الأحكام الراتبة والأحكام العارضة (العزائم والرخص) :

وهو باب واسع سنفرد تفصيله في فصل « تزامن الأحكام الشرعية » بإذن الله ، ولكننا هنا سنتعرض له على نحو موجز .

قال الشاطبي^(١) : العزيمة ما شرع من الأحكام الكلية ابتداء ، ومعنى كونها كلية أنها لا تختص ببعض المكلفين من حيث هم مكلفون دون بعض ، ولا ببعض الأحوال دون بعض ، كالصلاة مثلاً ، فإنها مشروعة على الإطلاق والعموم في كل شخص وفي كل حال .

ثم قال : وأما الرخصة فما شرع لعذر شاق استثناء من أصل كلي يقتضي المنع مع الاختصار على مواضع الحاجة فيه .

قال : فإن شرعية الرخص جزئية يقتصر فيها على موضع الحاجة ، فإن المصلي إذا انقطع سفره وجب عليه الرجوع إلى الأصل من إتمام الصلاة وإلزام الصوم .

والمريض إذا قدر على القيام في الصلاة لم يصل قاعداً ، وإذا قدر على مس الماء لم يتيمم ، وكذلك سائر الرخص .أ.هـ .

قال شيخ الإسلام^(٢) : وهذا أصل آخر في الواجبات والمستحبات ، كالأصل الذي تقدم فيما يسقط بالعذر ، فإن كل واحد من الواجبات والمستحبات الراتبة يسقط بالعذر العارض ، بحيث لا يبقى لا واجباً ولا

(١) الموافقات : ٢٠٩/١ .

(٢) ١٠٣/٢٣ .

مستحباً ، كما يسقط بالسفر والمرض والخوف كثير من الواجبات والمستحبات ، وكذلك أيضاً قد يستحب أو لا يستحب للأسباب العارضة ما لا يكون واجباً ولا مستحباً راتباً . فالعبادات في ثبوتها وسقوطها تنقسم إلى راتبة وعارضة ، وسواء في ذلك ثبوت الوجوب أو الاستحباب أو سقوطه .

وإنما تغلط الأذهان من حيث تجعل العارض راتباً ، أو الراتب لا يتغير بحال ، ومن اهتدى للفرق بين المشروعات الراتبة والعارضة انحلت عنه هذه المشكلات كثيراً . ١. هـ .

٥-٣-١- تأخير الحكم للعارض :

أما التأخير فقال شيخ الإسلام توكيداً^(١) : كما قيل : إن من المسائل مسائل جوابها السكوت ، كما سكت الشارع في أول الأمر عن الأمر بأشياء والنهي عن أشياء حتى علا الإسلام وظهر .

فالعالم في البلاغ والبيان كذلك قد يؤخر البيان والبلاغ لأشياء إلى وقت التمكن ، كما أخر الله سبحانه إنزال آيات وبيان أحكام إلى وقت تمكن رسول الله ﷺ إلى بيانها . ١. هـ .

٦- جماع الدين تأليف القلوب :

سيتم تفصيل هذا الأصل العظيم في فصل « الأخوة » في عدد لاحق بإذن الله .

قال شيخ الإسلام^(٢) : وتعلمون أن من القواعد العظيمة التي هي من جماع الدين : تأليف القلوب واجتماع الكلمة وصلاح ذات البين . فإن الله تعالى يقول : ﴿ فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم ﴾^(٣) ، ويقول : ﴿ واعتصموا

(١) ٥٩/٢٠ .

(٢) المجموع : ٥٢/٢٨ .

(٣) سورة الأنفال : ١ .

بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا^(١) ، ويقول: ﴿ ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم ﴾^(٢) ، وأمثال ذلك من النصوص التي تأمر بالجماعة والاتلاف وتنهى عن الفرقة والاختلاف.

وأهل هذا الأصل هم أهل الجماعة ، كما أن الخارجين عنه هم أهل الفرقة.

ثم قال: وجماع السنة طاعة الرسول ﷺ . أ.هـ .

٧- الأحكام الشرعية والواقع :

٧-١- معرفة تحقيق المناط :

هو الاستدلال بالأدلة العقلية والعرفية ونحوها على دخول معين في حكم شرعي ، وذلك بتحقيق انصاف ذلك المعين بالوصف أو الأوصاف التي علق بها ذلك الحكم الشرعي . وهذا يستشف من كلام شيخ الإسلام والشاطبي كما سيأتي .

تفصيل شيخ الإسلام:

فقد عرفه شيخ الإسلام بأنه الفقه الذي يتم فيه إدخال القضايا المعينة تحت الأحكام الكلية العامة ؛ مثل إدخال أعيان تحت نوع ، وإدخال نوع خاص تحت نوع أعم منه . قال^(٣) : الاجتهاد والتفقه الذي يحتاج فيه إلى إدخال القضايا المعينة تحت الأحكام الكلية العامة التي نطق بها الكتاب والسنة . هذا هو الذي يسمى « تحقيق المناط » . أ.هـ .

(١) سورة آل عمران: ١٠٣ .

(٢) سورة آل عمران: ١٠٥ .

(٣) الدرء: ٣٣٦/٧ .

وقال^(١) : هو أن يعلق الشارع الحكم بمعنى كلي فينظر في ثبوته في بعض الأنواع أو بعض الأعيان .أ.هـ .

وقال شيخ الإسلام في كلامه على تحقيق المناط^(٢) : (هو) أن يعمل بالنص والإجماع ، فإن الحكم معلق بوصف يحتاج في الحكم على المعين إلى أن يعلم ثبوت ذلك الوصف فيه ، كما يعلم أن الله أمرنا بإشهاد ذوي عدل منا ومن نرضى من الشهداء . ولكن لا يمكن تعيين كل شاهد ، فيحتاج أن يعلم في الشهود المعينين هل هم من ذوي العدل المرضيين أم لا ؟ وكما أمر الله بعشرة الزوجين بالمعروف ، وقال النبي ﷺ : (للنساء رزقهن وكسوتهن بالمعروف) ولم يمكن تعيين كل زوج ، فيحتاج النظر في الأعيان . ثم قال : وكما قال تعالى : ﴿ ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن ﴾^(٣) ، ويبقى النظر في تسليمه (أي المال) إلى هذا التاجر بجزء من الربح ، هل هو من (التي هي أحسن) أم لا ؟ وكذلك قوله تعالى : ﴿ إنما الصدقات للفقراء والمساكين ﴾^(٤) ، يبقى هذا الشخص المعين ، هل هو من الفقراء والمساكين المذكورين في القرآن أم لا ؟ وكما حرم الله الخمر والربا عموماً ، يبقى الكلام في الشراب المعين هل هو خمر أم لا ؟ ثم قال : وهذا النوع (أي تحقيق المناط) مما اتفق عليه المسلمون ، بل العقلاء ، بأنه لا يمكن أن ينص الشارع على حكم كل شخص ، إنما يتكلم بكلام عام ، وكان نبينا ﷺ قد أوتي جوامع الكلم .أ.هـ .

وأرجع شيخ الإسلام تحقيق المناط إلى قياس التمثيل وقياس الشمول ، حيث يدخل المعين في الأول بانطباق وصفه على الوصف الذي علق حكم

(١) المجموع : ١٦/١٩ .

(٢) ٣٢٩/٢٢ .

(٣) سورة الأنعام : ١٥٢ ، الإسراء : ٣٤ .

(٤) التوبة : ٦٠ .

نوعه به ، وفي الثاني باندراجہ تحت أصل كلي أو معنى عام دل عليه الخطاب .

قال شيخ الإسلام^(١) : وحقيقة ذلك ترجع إلى تمثيل الشيء بنظيره ، وإدراج الجزئي تحت الكلي ، وذلك يسمى قياس التمثيل ، وهذا يسمى قياس الشمول ، وهما متلازمان ، فإن القدر المشترك بين الأفراد في قياس الشمول الذي يسميه المنطقيون (الحد الأوسط) هو القدر المشترك في قياس التمثيل الذي يسميه الأصوليون (الجامع والمناط والعلة والأمانة والداعي والباعث والمقتضى والموجب والمشارك) ، وغير ذلك من العبارات . أ.هـ . وذكر نحو ذلك في الدرء^(٢) .

وقد أكد شيخ الإسلام أن الشريعة لا تنص على الأعيان في العادة فقال^(٣) : وبالجمله الأمور نوعان : كلية عامة ، وجزئية خاصة . فأما الجزئيات الخاصة كالجزئي الذي يمنع تصوره من وقوع الشركة فيه (يعني لا يحصل خلط بين أفراد النوع الواحد) ، مثل ميراث هذا الميت ، وعدل هذا الشاهد ، ونفقة هذه الزوجة ، ووقوع الطلاق بهذا الزوج ، وإقامة الحد على هذا المفسد ، وأمثال ذلك ، فهذا مما لا يمكن لا نبياً ولا إماماً ولا أحداً من الخلق أن ينص على كل فرد منه ، لأن أفعال بني آدم وأعيانهم يعجز عن معرفة أعيانها الجزئية علم واحد من البشر وعبارته ، ولا يمكن لبشر أن يعلم ذلك كله بخطاب الله له ، وإنما الغاية الممكنة ذكر الأمور الكلية العامة ، كما قال ﷺ : (بعثت بجوامع الكلم)^(٤) . أ.هـ .

(١) ١٧/١٩ .

(٢) ٣٣٧/٧ .

(٣) المنهاج : ٤١٣/٦ .

(٤) رواه البخاري في الجهاد باب : ١٢٢ .

تفصيل الشاطبي :

وفصله الشاطبي في الموافقات فقال^(١) : كل دليل شرعي فمبني على مقدمتين ، إحداهما راجعة إلى تحقيق مناط الحكم ، والأخرى ترجع إلى نفس الحكم الشرعي . فالأولى نظرية . وأعني بالنظرية هنا ما سوى النقلية ؛ سواء علينا أثبتت بالضرورة أم بالفكر والتدبر ، ولا أعني بالنظرية مقابل الضرورية . والثانية نقلية .

وبيان ذلك ظاهر في كل مطلب شرعي ، بل هذا جار في كل مطلب عقلي أو نقلي ، فيصح أن نقول : الأولى راجعة إلى تحقيق المناط ، والثانية راجعة إلى الحكم ، ولكن المقصود هنا بيان المطالب الشرعية ؛ فإذا قلت إن كل مسكر حرام فلا يتم القضاء عليه حتى يكون بحيث يشار إلى المقصود منه ليستعمل أو لا يستعمل ، لأن الشرائع إنما جاءت لتحكم على الفاعلين من جهة ما هم فاعلون ، فإذا شرع المكلف في تناول خمر مثلاً ، قيل له : أهذا خمر أم لا ؟ فلا بد من النظر في كونه خمراً أو غير خمر ، وهو معنى تحقيق المناط . فإذا وجد فيه أمانة الخمر أو حقيقتها بنظر معتبر قال نعم هذا خمر ، فيقال له : كل خمر حرام الاستعمال فيجتنبه . وكذلك إذا أراد أن يتوضأ بماء ، فلا بد من النظر إليه هل هو مطلق أم لا ، وذلك برؤية اللون وبذوق الطعم وشم الرائحة ، فإذا تبين أنه على أصل خلخته فقد تحقق مناطه عنده ، وأنه مطلق ، وهي المقدمة النظرية . ثم يضيف إلى هذه المقدمة (مقدمة) ثانية نقلية ، وهي أن كل ماء مطلق فالوضوء به جائز . وكذلك إذا نظر هل هو مخاطب بالوضوء أم لا ؟ فينظر هل هو محدث أم لا ؟ فإن تحقق الحدث فقد حقق مناط الحكم ، فيرد عليه أنه مطلوب بالوضوء ، وإن تحقق فقد فُقد فيرد عليه أنه غير مطلوب بالوضوء ، وهي المقدمة النقلية . أ. هـ .

(١) ٢٣/٣ .

١-١-٧ الاجتهاد في تحقيق المناط :

قال شيخ الإسلام في كلامه على حديث : (إنكم تختصمون إلي ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض ، وإنما أقضي بنحو ما أسمع ، فمن قضيت له من حق أخيه فلا يأخذه فإنما أقطع له قطعة من النار) الذي في الصحيحين قال^(١) : والاجتهاد في تحقيق المناط مما اتفق المسلمون عليه ، ولا بد منه كحكم ذوي عدل بالمثل في جزاء الصيد ، وكالاستدلال على الكعبة عند الاشتباه ونحو ذلك ، فلا يقطع به الإنسان ، بل يجوز أن تكون القبلة في غير جهة اجتهاده ، كما يجوز إذا حكم أن يكون قد قضى لأحدهما بشيء من حق الآخر .

قال : ودلالة الأحكام لا بد فيها من هذا ، فإن دلالة العموم في الظواهر قد تكون محتملة للنقيض .أ.هـ .

١-٢-٧- الاجتهاد في تحقيق المناط يكمل بأهل الخبرة ممن لا يلزم أن يكون عارفاً بالأدلة والمقاصد الشرعية ، ولوازم ذلك من العربية وغيرها من حيث العموم :

إن المقصود من تحقيق المناط هو تطبيق الواقع من الأعيان على الأحكام الشرعية كما سبق بيانه . ومن هذه الناحية فإن الأمر الأكثر خصوصية هنا هو معرفة أوصاف هذه الأعيان الواقعة . وما من شك في أن العلم بأوصاف الأعيان يحتاج إلى النظر العقلي ثم الحسي التجريبي أكثر من حاجته إلى بقية العلوم . إن هذا الأمر يشترك بقدر أو بآخر مع كثير من العلوم المتخصصة المختلفة التي ظهرت عبر التاريخ .

من ناحية أخرى فإنه لا يشترط في العالم الفقيه أن يكون أيضاً عالماً متخصصاً في معرفة الأعيان والأحوال ، ولكنه لا يعفى من مهمة الحصول

(١) ١١١/١٣ .

على القدر اللازم معرفته من تلك العلوم للوصول إلى الحكم الشرعي في الأعيان والأحوال الخاصة ، حيث يكون من الواجب عليه سؤال أولئك العلماء أو الاختصاصيين عما يحتاج إليه مما لا معرفة له به . كما أن هؤلاء الخبراء لا يجوز لهم أن يتصدوا للفتوى في الأعيان والأحوال الخاصة المختلفة، سواء أكانت خبرتهم دعوية أم اقتصادية أم سياسية أم اجتماعية أم غير ذلك ، بل يقدمون ما لديهم مما يلزم العلماء للإفتاء فيما يتعلق بذلك .

وقد ابتليت الأمة بكثير ممن له حظ وخبرة بهذه الاختصاصات من المسلمين الدعاة ، والاقتصاديين والسياسيين وغيرهم ، ممن خيل إليه أنه أهل لأن يفتي للأمة بالأحكام الشرعية التي لها علاقة باختصاصه وخبرته ، فتتج من ذلك ما مفسدته أعظم من مصلحته .

قال الشاطبي في الموافقات^(١) : قد يتعلق الاجتهاد بتحقيق المناط ، فلا يفتقر في ذلك إلى العلم بمقاصد الشارع ، كما أنه لا يفتقر فيه إلى معرفة علم العربية ، لأن المقصود من هذا الاجتهاد إنما هو العلم بالموضوع على ما هو عليه ، وإنما يفتقر فيه إلى العلم بما لا يعرف ذلك الموضوع إلا به ، من حيث قصدت المعرفة به ، فلا بد أن يكون المجتهد عارفاً ومجتهداً من تلك الجهة التي ينظر فيها ليتنزل الحكم الشرعي على وفق ذلك المقتضى . كالمحدث العارف بأحوال الأسانيد وطرقها وصحيحها من سقيمها وما يحتاج به من متونها مما لا يحتاج به ، فهذا يعتبر اجتهاده فيما هو عارف به ؛ سواء أكان عالماً بالعربية أم لا ، وعارفاً بمقاصد الشارع أم لا . وكذلك القارئ في تأدية وجوه القرآآت ، والصانع في معرفة عيوب الصناعات ، والطبيب في العلم بالأدواء والعيوب ، وعرفاء الأسواق في معرفة قيم السلع ومداخل العيوب فيها، والعاد في صحة القسمة، والماسح في تقدير الأرضين ونحوها . كل هذا وما أشبهه مما يعرف به مناط الحكم الشرعي غير مضطر إلى العلم

(١) الموافقات : ٩٢/٤ .

بالعربية ولا بمقاصد الشريعة ، وإن كان اجتماع ذلك كمالاً في المجتهد .
والدليل على ذلك ما تقدم من أنه لو كان لازماً لم يوجد مجتهد إلا في
الندرة ، بل هو محال عادة ، وإن وجد ذلك فعلى جهة خرق العادة ،
كآدم عليه السلام حين علمه الله الأسماء كلها ولا كلام فيه . وأيضاً إن لزم
في هذا الاجتهاد العلم بمقاصد الشارع ، لزم في كل علم وصناعة أن لا
تعرف إلا بعد المعرفة بذلك ، إذا فرض من لزوم العلم بها العلم بمقاصد
الشارع ، وذلك باطل ؛ فما أدى إليه مثله . فقد حصلت العلوم ووجدت
من الجهال بالشريعة والعربية ومن الكفار المنكرين للشريعة .

وجه ثالث: أن العلماء لم يزالوا يقلدون في هذه الأمور من ليس من
الفقهاء ، وإنما اعتبروا أهل المعرفة بما قلدوا فيه خاصة وهو التقليد في تحقيق
المناط . ثم قال : فالحاصل أنه إنما يلزم في هذا الاجتهاد المعرفة بمقاصد
المجتهد فيه . أ. هـ .

٧-٢- معرفة الواقع :

وهو أشمل من تحقيق المناط ، حيث يشمل معرفة واقع وحقيقة الأعيان
والأحوال لمعرفة الأحكام الراتبة والعارضة في الأعيان والأحوال الخاصة .
ودون معرفة الواقع لا يمكن إلا معرفة الأحكام من حيث هي أحكام نظرية ،
أما أحكام الأعيان فلا .

وإن من تعلم الأحكام الشرعية النظرية دون استكمال ذلك بتحقيق المناط
والواقع لا يصلح أن يكون مفتياً أو قاضياً .

قال شيخ الإسلام ^(١) : والمؤمن ينبغي له أن يعرف الشرور الواقعة ومراتبها
في الكتاب والسنة ، كما يعرف الخيرات الواقعة ومراتبها في الكتاب والسنة ،
فيفرق بين أحكام الأمور الواقعة الكائنة ، والتي يراد إيقاعها في الكتاب

(١) جامع الرسائل : ٣٠٥/٢ .

والسنة ، ليقدم ما هو أكثر خيراً وأقل شراً على ما هو دونه ، ويدفع أعظم الشرين باحتمال أدناهما ، ويجتلب أعظم الخيرين بفوات أدناهما ؛ فإن من لم يعرف الواقع في الخلق والواجب في الشرع لم يعرف أحكام الله في عباده ، وإذا لم يعرف ذلك كان قوله وعمله بجهل ، ومن عبد الله بغير علم كان ما يفسد أكثر مما يصلح .أ.هـ .

٧- ٣- الظلم وضع الشيء في غير موضعه :

قال تعالى : ﴿ ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم ﴾^(١) .

وقال تعالى : ﴿ ألم تر إلى الذين قيل لهم كفوا أيديكم وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة فلما كتب عليهم القتال إذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله أو أشد خشية وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال لولا أخرتنا إلى أجل قريب ﴾^(٢) .

إن هذا الباب مما اتفق عليه العقلاء من المسلمين وغيرهم ، وأكدته الشريعة في كل أحكامها ، كما يفهم من الآيات المذكورة وغيرها . ومع إدراك العقول السليمة لهذا الأصل فإنه قد يحصل خلل في ضبطه وتطبيقه ؛ إما بسبب ضعف الدقة عند الاشتباه ، أو بسبب هوى النفس وعجالتها .

٨- المقاصد والنيات واعتبارها في التصرفات :

قال تعالى : ﴿ وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به ولكن ما تعمدت قلوبكم ﴾^(٣) .

وقال ﷺ : (إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى)^(٤) .

(١) سورة الأنعام : ١٠٨ .

(٢) سورة النساء : ٧٧ .

(٣) سورة الأحزاب : ٥ .

(٤) متفق عليه عن عمر رضي الله عنه .

إن المقاصد والنيات للمكلفين أصل معتبر في جميع الأعمال على الإطلاق، فهي إن خفيت في الدنيا اعتبر ظاهر العمل دالاً عليها . وإن ظهرت كان الحكم لها وأهمل ظاهر العمل الذي جعل للدلالة عليها . ومع أن الاعتبار للنيات في أحكام الآخرة ، فإن أحكام الدنيا راعت النيات في الأعمال الظاهرة من وجهين : الأول أن الشارع اعتبر الأعمال الظاهرة دالة على النيات ، حسنة كانت أم سيئة ، ورتب الأحكام على ذلك إذا لم يقترن بهذه الأعمال ما يظهر حقيقة النيات ، مثل النفاق ونحوه في الأعمال الحسنة ، فإن وقع فعندئذ يحكم لما ظهر من النيات ؛ مثل نكاح المحلل ، وبيع النجش ، والمصرأة ، وغيرها ، فضلاً عن أحكام المنافقين .

والوجه الثاني؛ أن الشريعة جعلت الأعمال الظاهرة سبيلاً إلى النيات الصالحة والإيمان بعد الإسلام ؛ كما قال تعالى: ﴿ قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قَوْلُوا اسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ ﴾^(١) ، وكما في المؤلفلة قلوبهم .

قال الشاطبي في الموافقات^(٢) : الأحكام الخمسة إنما تتعلق بالأفعال والتروك بالمقاصد ، فإذا عريت عن المقاصد لم تتعلق بها . والدليل على ذلك أمور:

أحدها: ما ثبت من أن الأعمال بالنيات ، وهو أصل متفق عليه في الجملة ، والأدلة لا تقصر عن مبلغ القطع ، ومعناه أن مجرد الأعمال من حيث هي محسوسة فقط غير معتبرة شرعاً ، إلا ما قام الدليل على اعتباره في باب خطاب الوضع خاصة ، أما في غير ذلك فالقاعدة مستمرة . وإذا لم تكن معتبرة حتى تقترن بها المقاصد كان مجردها في الشرع بمثابة حركات العجماوات والجمادات والأحكام الخمسة لا تتعلق بها عقلاً ولا سمعاً .

(١) سورة الحجرات: ١٤ .

(٢) الموافقات: ٩٧/١ .

والثاني ما ثبت من عدم اعتبار الأفعال الصادرة من المجنون والنائم والصبي والمغمى عليه، وأنها لا حكم لها في الشرع ، أن يقال فيها جائز أو ممنوع أو واجب أو غير ذلك، كما لا اعتبار بها من البهائم. وفي القرآن: ﴿وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به ولكن ما تعمدت قلوبكم﴾^(١).

وقال : ﴿ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا﴾^(٢)، قال: قد فعلت . وفي معناه روي الحديث : (رفع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه) . وإن لم يصح سنداً فمعناه متفق على صحته . وفي الحديث أيضاً : (رفع القلم عن ثلاث . فذكر الصبي حتى يحتلم ، والمغمى عليه حتى يفيق) فجميع هؤلاء لا قصد لهم، وهي العلة في رفع أحكام التكليف عنهم.

والثالث: الإجماع على أن تكليف ما لا يطاق غير واقع في الشريعة . وتكليف من لا قصد له تكليف ما لا يطاق ، فإن قيل هذا في الطلب وأما المباح فلا تكليف فيه ، قيل متى صح تعلق التخيير صح تعلق الطلب وذلك يستلزم المخير ، وقد فرضناه غير قاصد وهذا خلف . ولا يعترض هذا بتعلق الغرامات والزكاة بالأطفال والمجانين وغير ذلك ، لأن هذا من قبيل خطاب الوضع وكلامنا في خطاب التكليف . ١. هـ .

وقال شيخ الإسلام^(٣) : إن القلب هو الأصل في جميع الأفعال والأقوال ، فما أمر الله به من الأفعال الظاهرة فلا بد فيه من معرفة القلب وقصده وما أمر به من الأقوال وكل ما تقدم . والمنهي عنه من الأقوال والأفعال إنما يعاقب عليه إذا كان بقصد القلب . وأما ثبوت بعض الأحكام كضمان النفوس والأموال إذا أتلّفها مجنون أو نائم أو مخطئ أو ناس ، فهذا من باب العدل في حقوق العباد ليس هو من باب العقوبة . ١. هـ .

(١) سورة الأحزاب: ٥ .

(٢) سورة البقرة: ٢٨٦ .

(٣) المجموع: ١١٩/١٤ .

والمقصود هنا النيات التي يعلمها الله ، فيحاسب أصحابها يوم القيامة بحسبها .

أو التي يظهر فيها قصد المكلف في الدنيا ، لا بمجرد الدعوى ، فإن الأصل في الأقوال والأفعال أنها مقصودة من قبل القائل والفاعل ، ولا يعدل عن هذا الأصل إلا بقرينة ظاهرة .

٩- الشريعة والفقه :

٩-١- الشريعة ثلاثة أنواع : شرع منزل ، وشرع مؤول ، وشرع مبدل :
قال شيخ الإسلام ^(١) : الشريعة التي بعث الله بها محمداً ﷺ جامعة لمصالح الدنيا والآخرة ، وهذه الأشياء ما خالف الشريعة منها فهو باطل ، وما وافقها منها فهو حق .

ثم قال : فالشريعة جامعة لكل ولاية وعمل فيه صلاح الدين والدنيا .
والشريعة إنما هي كتاب الله وسنة رسوله ، وما كان عليه سلف الأمة في العقائد والأحوال والعبادات والأعمال والسياسات والولايات والعطيات .

ثم هي مستعملة في كلام الناس على ثلاثة أنحاء : شرع منزل : وهو ما شرعه الله ورسوله . وشرع متأول : وهو ما ساغ فيه الاجتهاد . وشرع مبدل : وهو ما كان من الكذب والفجور الذي يفعله المبطلون بظاهر من الشرع ، أو البدع أو الضلال الذي يضيفه الضالون إلى الشرع ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

ومما ذكرته في مسمى الشريعة ، والحكم الشرعي ، والعلم الشرعي ، يتبين أنه ليس للإنسان أن يخرج عن الشريعة في شيء من أموره ، بل كل ما يصلح له فهو في الشرع من أصوله وفروعه وأحواله وأعماله وسياسته ومعاملته وغير ذلك ، والحمد لله رب العالمين . أ.هـ .

(١) المجموع : ٣٠٨/١٩ .

٩-٢- العمل بالظن الراجع أمر قطعي :

المقصود في هذا الضابط هو تحديد معنى الدليل الظني ولوازمه ، فقد اتكا على الوصف الظني للدليل كثير ممن ميع الشريعة وأحكامها لجهله بالمقصود بالظني ولوازمه من جهة ، ثم للنزعات الباطلة التي تولدت عند كثير من الدعاة ممن جمع حسن النية مع الجهل إلى محاولة تسهيل الشريعة للناس بطريقة غير شرعية لغرض دعوتهم إلى الإسلام ، حيث تولدت هذه النزعات بسبب غرابة الشريعة بالنسبة للمجتمعات الإسلامية فضلاً عن غير الإسلامية .

وما من شك في أن الدين يسر ولا جرج فيه ، ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها ، وأن كل الأحكام الشرعية في وسع جميع البشر على وجه العموم ، ومن تحقق فيه الحرج منهم فلا إثم عليه . إن الناظر إلى حال المجتمعات في عصرنا الحاضر يدرك تماماً مدى البعد فيها عن الإسلام ، ويدرك أيضاً أن من الصعب أن ينقل هؤلاء الناس إلى الإسلام بأحكامه الشرعية الراتبه جملة واحدة . ومن المعلوم أن الشريعة راعت هذا الفرق مراعاة دقيقة مفصلة ، لا بد للداعي إلى الإسلام أن يضبط أصول تلك المراعاة الشرعية ليتحقق له ما ينبغي من تلك الدعوة على الوجه المشروع .

لا شك في أن الظن المقصود هنا هو الظن الراجع بالاتفاق ، وأن هذا الظن لم يكن مجرد وجهة نظر لعالم أو فقيه ، بل تم الوصول إليه بعد جمع الأدلة الشرعية ودراستها دراسة نتج منها هذا الظن . ثم إن علماء الأمة أجمعوا على وجوب العمل بهذا الظن الراجع وجوباً قطعياً علمياً لم يخالف في ذلك أحد ممن يعتد بخلافه . أما الظن الذي لم يترجح أصلاً فلا يترتب عليه ذلك . وهنا لا بد من بيان أن الظن الراجع هو أمر نسبي ؛ فقد يكون راجحاً حسب اجتهاد عالم معين ، ولا يكون كذلك عند آخر .

ولكن لا بد من ترتب قطعية العمل بالراجع عند من ترجح عنده ذلك الظن .

فها هنا مقدمتان :

الأولى : الاجتهاد في معرفة الظن الراجح حسب الأدلة الشرعية .

الثانية : وجوب اتباع هذا الظن وجوباً قطعياً علمياً عند من ترجح عنده .

ثم إن هناك أمر قد يلتبس على البعض ، وهو أن هذا الوجوب العلمي للظن الراجح لا يتعارض مع كون هذا الظن الراجح قد لا يكون راجحاً على وجه الحقيقة ، وأن العالم غير مأمور بالحقيقة عينها ، ولكنه مأمور بالأسباب الظاهرة التي تدل عليها ، وأن عليه أن لا يقصر في استحصال هذه الأسباب ثم اعتقاد العمل بنتيجة ما استحصل منها ؛ كما في حديث أم سلمة رضي الله عنها ، أن رسول الله ﷺ قال : (إنكم تختصمون إلي ولعل بعضكم ألحن بحجته من بعض فمن قضيت له بحق أخيه شيئاً بقوله فإنما أقطع له قطعة من النار فلا يأخذها) ^(١) .

وإليك ما قال شيخ الإسلام في ذلك ، مع ملاحظة أنه رحمه الله تعالى يعبر عن المقدمة الأولى بـ « رجحان الاعتقاد » وعن الثانية بـ « اعتقاد الرجحان » .

قال شيخ الإسلام ^(٢) جواباً على سؤال عن الفقه إذا كان من باب الظنون فكيف يكون علماً ؟ قال : المجتهد إذا غلب على ظنه مشاركة صورة لصورة في مناط الحكم قطع بوجوب العمل بما أدى إليه ظنه ، فالعلم حاصل قطعاً ، والظن واقع في طريقه . وحقيقة هذا الجواب أن هنا مقدمتين :

إحدهما : أنه حصل عندي ظن (يعني راجح) ، والثانية : قد قام الدليل القطعي على وجوب اتباع هذا الظن .

ثم قال : فإن الظنون عليها أمارات ودلائل ، يوجب وجودها ترجيح ظن

(١) البخاري في الشهادات ٢٧ ، ومسلم في الأقضية رقم : ٤ .

(٢) المجموع : ١١٢/١٣ .

على ظن ، وهذا أمر معلوم بالضرورة ، والشرعية جاءت به ورجحت شيئاً على شيء .

والكلام على شيئين : في اتباع الظن ، وفي الفقه هل هو من الظنون ؟

أما الأول : فالجواب الصحيح هو أن كل ما أمر الله تعالى به فإنما أمر بالعلم ؛ وذلك أنه في المسائل الخفية عليه أن ينظر في الأدلة ويعمل بالراجح . وكون هذا هو الراجح أمر معلوم عنده مقطوع به . وإن قدر أن ترجيح هذا على هذا فيه شك عنده لم يعمل به . وإذا ظن الرجحان فإنما ظنه لقيام دليل عنده على أن هذا راجح . وفرق بين اعتقاد الرجحان ورجحان الاعتقاد :

أما اعتقاد الرجحان فقد يكون علماً ، وقد لا يعمل حتى يعلم الرجحان . وإذا ظن الرجحان أيضاً فلا بد أن يظنه بدليل يكون عنده أرجح من دليل الجانب الآخر ، ورجحان هذا غير معلوم ؛ فلا بد أن ينتهي الأمر إلى رجحان معلوم عنده ، فيكون متبعاً لما علم أنه أرجح . وهذا اتباع للعلم لا للظن وهو اتباع الأحسن ، كما قال تعالى : ﴿ فخذها بقوة وأمر قومك يأخذوا بأحسنها ﴾^(١) ، وقال : ﴿ واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم ﴾^(٢) . فإذا كان أحد الدليلين هو الأرجح فاتباعه هو الأحسن ، وهذا معلوم .

فالواجب على المجتهد أن يعمل بما يعلم أنه أرجح من غيره . وهو العمل بأرجح الدليلين المتعارضين ، وحيثما عمل إلا بالعلم ، وهذا جواب الحسن البصري وأبي وغيرهم .

والقرآن ذم من لا يتبع إلا الظن ، فلم يستند ظنه إلى علم بأن هذا أرجح من غيره ، كما قال تعالى : ﴿ وما لهم به من علم إن يتبعون إلا

(١) سورة الأعراف: ١٤٥ .

(٢) سورة الزمر: ٥٥ .

الظن^(١)، وقال: ﴿ قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا ، إن تتبعون إلا الظن^(٢) . وهكذا في سائر المواضع يذم الذين إن يتبعون إلا الظن ، فعندهم ظن مجرد لا علم معه وهم يتبعونه .

ثم قال: والذي جاءت به الشريعة وعليه عقلاء الناس أنهم لا يعملون إلا بعلم بأن هذا أرجح من هذا . فيعتقدون الرجحان اعتقاداً عملياً ، لكن لا يلزم إذا كان أرجح أن لا يكون المرجوح هو الثابت في نفس الأمر ، وهذا كما ذكر النبي ﷺ حيث قال: (ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض وإنما أقضي بنحو مما أسمع) . فإذا أتى أحد الخصمين بحجة ، مثل بيعة تشهد له ولم يأت الآخر بشاهد معها ، كان الحاكم عالماً بأن حجة هذا أرجح ، فما حكم إلا بعلم ، لكن الآخر قد يكون له حجة لا يعلمها أو لا يحسن أن يبينها .

ثم قال : وهكذا أدلة الأحكام ، فإذا تعارض خبران أحدهما مسند ثابت والآخر مرسل ، كان المسند أقوى من المرسل ، وهذا معلوم لأن المحدث بهذا قد علم عدله وضبطه والآخر لم يعلم عدله ولا ضبطه ، كشاهدين زكي أحدهما ولم يزك الآخر . فهذا المزكى أرجح وإن جاز أن يكون في نفس الأمر قول الآخر هو الحق ، ولكن المجتهد عمل بعلم ، وهو علمه برجحان هذا على هذا ، ليس ممن لم يتبع إلا الظن ، ولم يكن تبين له إلا بعد الاجتهاد التام فيمن أرسل ذلك الحديث وفي تزكية هذا الشاهد ، فإن المرسل قد يكون راويه عدلاً كما قد يكون هذا الشاهد عدلاً . ونحن ليس معنا علم بانتفاء عدالة الراوي لكن معنا عدم العلم بعدالته ، وقد لا تعلم عدالته مع تقويتها ورجحانها في نفس الأمر ، فمن هنا يقع الخطأ في الاجتهاد ، لكن هذا لا سبيل إلى أن يكلفه العالم أن يدع ما يعلمه إلى أمر

(١) سورة النجم: ٢٨ .

(٢) سورة الأنعام: ١٤٨ .

لا يعلمه لإمكان ثبوته في نفس الأمر ، فإذا كان لا بد من ترجيح أحد الأمرين وجب ترجيح هذا الذي علم ثبوته على ما لا يعلم ثبوته ، وإن لم يعلم انتفاؤه من جهته ، فإنهما إذا تعارضا وكانا متعارضين ، فإثبات أحدهما هو نفي للآخر ، فهذا الدليل المعلوم قد علم أنه يثبت هذا وينفي ذلك ، وذلك المجهول بالعكس ، فإذا كان لا بد من الترجيح وجب قطعاً ترجيح المعلوم ثبوته على ما لم يعلم ثبوته .

ولكن قد يقال: إنه لا يقطع بثبوته . وقد قلنا : فرق بين اعتقاد الرجحان ورجحان الاعتقاد:

أما اعتقاد الرجحان فهو علم ، والمجتهد ما عمل إلا بذلك العلم ، وهو اعتقاد رجحان هذا على هذا .

أما رجحان هذا الاعتقاد على هذا فهو الظن ، لكن لم يكن ممن قال الله فيه: ﴿ إن يتبعون إلا الظن ﴾^(١) ، بل هنا ظن رجحان هذا على ذاك ، وهذا هو الظن الراجح ، ورجحانه معلوم ، فحكم بما علم من الظن الراجح ودليله الراجح ، وهذا معلوم له لا مظنون عنده . وهذا يوجد في جميع العلوم والصناعات كالطب والتجارة وغير ذلك . أ.هـ .

٩-٣- كل حكم عقلي دل عليه الشرع فهو شرعي أيضاً:

قال شيخ الإسلام^(٢): الشرعيات ما أخبر الشارع بها وما دل الشارع عليها . وما دل الشارع عليه ينتظم جميع ما يحتاج إلى علمه بالعقل وجميع الأدلة والبراهين وأصول الدين ومسائل العقائد، بل قد تدبرت عامة ما يذكره المتفلسفة والمتكلمة من الدلائل العقلية فوجدت دلائل الكتاب والسنة تأتي بخلاصته الصافية عن الكدر وتأتي بأشياء لم يهتدوا لها ، وتحذف ما وقع

(١) سورة النجم: ٢٨ .

(٢) المجموع: ٢٣٢/١٩ .

منهم من الشبهات والأباطيل ، مع كثرتها واضطرابها ، وقد بينت تفاصيل هذه الجملة في مواضع .

وأما إذا أريد بالشرعية ما شرع علمه فهذا يدخل فيه كل علم مستحب ، أو واجب ، وقد يدخل فيه المباح ، وأصول الدين على هذا من العلوم الشرعية أيضاً ، وما علم بالعقل وحده فهو من الشرعية أيضاً إذا كان علمه مأموراً به في الشرع .

وعلى هذا تكون الشرعية قسمين : عقلية ، وسمعية . وتجعل السمعية بدل الشرعية في الطريقة الأولى ، وقد تبين بهذا أن كل علم عقلي أمر الشارع به أو دل الشارع عليه فهو شرعي أيضاً ؛ إما باعتبار الأمر ، أو الدلالة ، أو باعتبارهما جميعاً .

ويتبين بهذا التحرير أن ما خرج من العلوم العقلية عن مسمى الشرعية ، وهو ما لم يأمر به الشارع ولم يدل عليه ، فهو يجري مجرى الصناعات ؛ كالفلاحة ، والبنية ، والنساجة ، وهذا لا يكون إلا في العلوم المفضولة المرجوحة . ويتبين أن مسمى الشرعية أشرف وأوسع ، وأن بين العقلية والشرعية عمومًا وخصوصًا ، ليس أحدهما قسم الآخر ، وإنما السمعي قسم العقلي ، وأنه يجتمع في العلم أن يكون عقلياً وهو شرعي بالاعتبارات الثلاثة : إخباره به ، أمره به ، دلالة عليه ، فتدبر أن النسبة إلى الشرع بهذه الوجوه الثلاثة .أ.هـ .

٩-٤- دلالة الألفاظ :

قال شيخ الإسلام^(١) : ومن الأصول الكلية أن يعلم أن الألفاظ نوعان : نوع جاء به الكتاب والسنة فيجب على كل مؤمن أن يقر بموجب ذلك ؛ فيثبت ما أثبتته الله ورسوله وينفي ما نفاه الله ورسوله . فاللفظ الذي أثبتته الله أو نفاه حق ، فإن الله يقول الحق وهو يهدي السبيل .

(١) المجموع : ١١٣/١٢ .

والألفاظ الشرعية لها حرمة ، ومن تمام العلم أن يبحث عن مراد رسوله بها ليثبت ما أثبتته وينفي ما نفاه من المعاني .

ثم قال : وأما الألفاظ التي ليست في الكتاب والسنة ولا اتفق السلف على نفيها أو إثباتها فهذه ليس على أحد أن يوافق من نفاه أو أثبتها حتى يستفسر عن مراده ، فإن أراد بها معنى يوافق خبر الرسول أقر به ، وإن أراد بها معنى يخالف خبر الرسول أنكره ^(١) . أ.هـ .

٩-٥- الاحتمالات النادرة لا يلتفت إليها :

قال شيخ الإسلام ^(٢) : واختلفوا في المرأة إذا وجدت حبلى ولم يكن لها زوج ولا سيد ولم تدع شبهة في الحمل ، ففيها قولان في مذهب أحمد وغيره : قيل لا حد عليها لأنه يجوز أن تكون حبلى مكرهة أو بتحمل أو بوطء شبهة ، وقيل : بل تحد ، وهذا هو المأثور عن الخلفاء الراشدين وهو الأشبه بالشرعية وهو مذهب أهل المدينة . فإن الاحتمالات النادرة لا يلتفت إليها كاحتمال كذبها وكذب الشهود . أ.هـ .

١٠- معرفة ما يضاد الشريعة :

إن من أعظم ما يلتبس على كثير من الناس ما لبس لباس الدين والتعبد من المحرمات التي حرمها الله تعالى ، بخلاف المحرمات التي لا تحتل مثل هذا اللباس . وإن الشرك بالله تعالى والبدع من تلك الأولى التي فتن بها على مر التاريخ كثير من أهل الإسلام . ذلك لأن من يفعلها منهم يظن أنه بذلك يتقرب إلى الله لما فيها من ذكر الله تعالى وتعظيمه ، بصرف النظر عما ينقض ذلك مما يقترب منه من الشرك أو التشريع من غير مصادره ؛ كما قال تعالى : ﴿ والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله

(١) المجموع : ٦٦٣/٧ .

(٢) المجموع : ٣٣٤/٢٨ .

زلفى^(١) . وكما سبق الإشارة إليه في مبحث الخلاف في العدد الأول فإن الباطل لا ينفق ويتنشر إلا بشوب من الحق ، وهذا موجود في الشرك والبدعة ، وفي هذا يقول شيخ الإسلام^(٢) : اجتماع القدر المشترك والقدر المميز في النظر إلى الأشياء هو الدين النافع . أ.هـ .

لذلك كان العلم لازماً لمعرفة الحدود الفاصلة بين التوحيد والشرك والسنة والبدعة ، ومعرفة أبواب اللبس الذي يحصل من القدر المشترك بين التوحيد والشرك ؛ مثل الربوبية ، ومطلق المحبة ، وغير ذلك ، وكذلك بين السنة والبدعة من التعبد والذكر ونحو ذلك .

١٠-١ - ضوابط الشرك :

١٠-١-١ - الشرك نفسه :

المقصود هنا هو شرك الألوهية ، وقد عرفه الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى بأنه : أن يدعو مع الله غيره أو يقصده بغير ذلك من أنواع العبادة التي أمر الله أن لا تصرف إلا إليه^(٣) . وعرفه الشيخ السعدي بأنه : أن يجعل لله نداً ؛ يدعو كما يدعو الله ، أو يخافه ، أو يرجوه ، أو يحبه كحب الله ، أو يصرف له نوعاً من أنواع العبادة^(٤) .

ولا شك في أن مقصود العلماء في صرف العبادة لغير الله هنا : هو اعتقاد المشرك استحقاق ذلك الغير للعبادة . والأحكام الشرعية في الدنيا تعتبر فيها الأعمال الظاهرة دليلاً على الباطن ، كما سبق بيانه ، ولكن بعد ثبوت الشروط وانتفاء الموانع من إقامة الحجة وغيرها على تفصيل ليس هذا موضعه .

(١) سورة الزمر : ٣ .

(٢) المجموع : ٧٧/١ .

(٣) مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب : العقيدة ص : ٣٨١ .

(٤) القول السديد : ص ٢٤ .

١٠- ١- ٢- أبواب الشرك :

وهذا باب عظيم لا يقل أهمية عن الشرك نفسه ، لأنه هو الذي يغذيه ويمده ، بل ليس هناك شرك إلا أصله من تلك المداخل التي فيها شوب من الحق ؛ كمحبة الصالحين ، فإذا أضيف إلى ذلك جهل وغلو اجتمعت العناصر التي يتكون منها الشرك نفسه .

وقد حرصت الشريعة كل الحرص على سد منافذ الشرك سداً محكماً ، فلذلك قال ﷺ : (لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم إنما أنا عبد فقولوا عبدالله ورسوله)^(١) . وقال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى : ﴿ وقالوا لا تذرنا آلهتكم ولا تذرنا وداً ولا سواعاً ولا يغوث ويعوق ونسرا ﴾^(٢) ، قال : « أسماء رجال صالحين من قوم نوح فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصاباً وسموها بأسمائهم ففعلوا ، ولم تعبد حتى إذا هلك أولئك وتنسخ العلم عبت »^(٣) .

وقد فصل في بيان ذلك أئمة الإسلام ومنهم الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب رحمه الله في كتابه « كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد » .

١٠- ٢- ضوابط البدعة :

١٠- ٢- ١- الشريعة كاملة وأنها بينت كل الدين للمكلفين :

قال الله تعالى : ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت

(١) رواه البخاري عن عمر .

(٢) سورة نوح : ٢٣ .

(٣) البخاري ، التفسير : ٧١ .

لكم الإسلام ديناً ﴿^(١)﴾ .

وقال ﷺ : (ما بقي من شيء يقربكم إلى الجنة ويبعدكم عن النار إلا وقد بين لكم) .

إن إدراك المسلم أن الشريعة اكتملت بانقطاع الوحي بموت خاتم النبيين محمد ﷺ ، الذي نصح الأمة وأدى الأمانة التي لا يصلح أمر الناس إلى قيام الساعة إلا عليها ، يبعث في نفسه الاطمئنان إلى أن حجة الله على خلقه لا تعدو كتاب الله وسنة رسوله ، وأن الله ما كان ليجعل للناس حجة عليه تعالى بعد موت نبيه ؛ كما قال تعالى : ﴿ لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ﴾ ^(٢) .

ولذلك قال ﷺ : (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد) ^(٣) .
وقوله ﷺ : (وإياكم ومحدثات الأمور ، فإن كل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة) ^(٤) .

١٠-٢-٢- التشريع محرم إلا بدليل صحيح :

وهذا أصل متفق عليه من كل من يعتد به من أهل العلم من أهل السنة والجماعة ، لم يخالف فيه إلا المعتزلة وأفراخهم من العقلانيين في عصرنا الحاضر ، أصلحهم الله تعالى وغفر لنا ولهم .

(١) سورة المائدة: ٣ .

(٢) سورة النساء: ١٦٥ .

(٣) متفق عليه .

(٤) رواه أحمد وأبو داود والترمذي عن العرياض بن سارية ، وصححه الألباني في الإرواء : ٢٤٥٥ .

١٠-٢-٣- إذا كان المقتضى لتشريع فعل موجود في زمن النبي ﷺ ولم يفعله ففعله بعده بدعة :

قال شيخ الإسلام ^(١) : ما ترك من جنس العبادات مع أنه لو كان مشروعاً لفعله أو أذن فيه ولفعله الخلفاء والصحابة ، فيجب القطع بأن فعله بدعة وضلالة ويمنع القياس في مثله . ١. هـ .

وقال ^(٢) : ما فعله ﷺ على وجه التقرب كان عبادة تفعل على وجه التقرب ، وما لم يفعله مع قيام السبب المقتضي لم يكن عبادة ولا مستحباً . ١. هـ .

١٠-٢-٤- التفريق بين الفعل وتشريعه :

إن هذا الفرق يظهر في المسائل التي ندبت الشريعة التقرب إلى الله تعالى بمطلقها ؛ كمطلق الذكر ، ومطلق الصلاة ، والصيام ، ونحو ذلك ، فإن فعلها المرء على نحو معين اختاره من عنده بلا دليل ، ولكنه غير مخالف للشرع من عدد أو وقت أو مكان وغير ذلك ، ففعل ذلك الفعل - لا على وجه الدوام ولا على دعوى سنيتها على وجهها المعين - فإن الفعل يكون مشروعاً بهذا الوصف ، لأن الفاعل هنا حافظ على العبادة المطلقة من جهة ، ولم يقيدها بما لم يقيدها بها الشارع من جهة أخرى ، والله تعالى أعلم .

١٠-٢-٥- من عمل عملاً لم يعلم أنه مشروع فقد تذرع إلى بدعة وإن كان تبين له فيما بعد أنه مشروع :

قال تعالى : ﴿ ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير ﴾ ^(٣) .

(١) المجموع : ١٧٢/٢٦ .

(٢) ٤٢٢/٢٧ .

(٣) سورة الحج : ٨ .

وقال تعالى : ﴿ قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا ، إن تتبعون إلا الظن وإن أنتم إلا تخرصون ﴾^(١).

اتفق علماء الأمة على أن الأصل في العبادات التحريم ، إلا ما شرعه الشارع ، وذهب جمهورهم إلى أن الأصل في العادات التحليل ، إلا ما حرمه الشارع . والبدعة إنما تتعلق بالأصل في العبادات ، وبالتالي فهي تخالف هذا الأصل لأنها لا تعتمد علماً ، بل هي في أحسن أحوالها اجتهاد من غير أهله .

ولا يسمى مبتدعاً من اجتهد ممن يجوز له الاجتهاد الجزئي أو الكلي فوق فيما هو بدعة ، بخلاف من اجتهد ممن لا يجوز له الاجتهاد ؛ فإنه وإن أصاب فقد تذرع إلى بدعة .

قال شيخ الإسلام^(٢) : الأصل أنه ما لم يعلم أنه من الشرع فلا يتخذ شريعة وديناً ، فمن عمل عملاً لم يعلم أنه مشروع فقد تذرع إلى بدعة ، وإن كان ذلك العمل تبين له فيما بعد أنه مشروع ، وكذلك من قال في الدين قولاً بلا دليل شرعي فإنه تذرع إلى بدعة ؛ وإن تبين له فيما بعد موافقته للسنة .أ.هـ .

١٠-٢-٦- يعاقب من دعا إلى بدعة وإن كان معذوراً في نفس الأمر :

اتفق العلماء على أن أهم الضروريات الشرعية هو حفظ الدين . وإن من أهم لوازم ذلك حفظ أصوله وأركانه بالعلم والمعرفة والتحقيق والاجتهاد وبذل ذلك للأمة ودعوتهم إلى التزام ذلك ، وكذلك صيانتهم من الانحراف ؛ بمنع أسباب ذلك من البدع والاجتهادات الضالة التي من شأنها تفريق المسلمين ، فضلاً عما تتضمنه من فساد الدين ، ولو على فرض أن أصحاب هذه

(١) سورة الأنعام : ١٤٨ .

(٢) الدرر : ٢٤٤ / ١ .

الاجتهادات إنما قالوها وعملوا بها ودعوا إليها بقصد حسن وتأويل سائغ، فلا حسن القصد هذا ، ولا التأويل السائغ يمنعان ما ينتج من الفرقة والفساد. وبالتالي يكون من المتحتم منع ذلك ببيان الحق في ذلك وتفصيله ، بحيث يرفع ما وقع من الشبهة التي أورثت التأويل ، فإن حصل بذلك المقصود ، وإلا فبالعقوبة التي تكفي لرفع الفساد - إن كان الأمر بيد أهل الإسلام أو كان ذلك ممكناً - بحيث لا يترتب على تلك العقوبة مفسدة أعظم من المصلحة المرجوة من منع الفساد .

قال شيخ الإسلام ^(١) : وكذلك يعاقب من دعا إلى بدعة تضر الناس في دينهم ؛ وإن كان قد يكون معذوراً في نفس الأمر لاجتهاد أو تقليد . وكذلك يجوز قتال البغاة وهم الخارجون على الإمام أو غير الإمام بتأويل سائغ مع كونهم عدولاً . ومع كوننا ننفذ أحكام قضائهم (يعني هؤلاء البغاة) ونسوغ ما قبضوه من جزية أو خراج أو غير ذلك . إذ الصحابة لا خلاف في بقائهم على العدالة ، وذلك أن التفسير انتفى للتأويل السائغ . وأما القتال فليؤدوا ما تركوه من الواجب وينتهوا عما ارتكبوه من المحرم ؛ وإن كانوا متأولين .

وكذلك نقيم الحد على من شرب النبيذ المختلف فيه ، وإن كانوا قوماً صالحين . فتدبر كيف عوقب أقوام في الدنيا - وإن كانوا معذورين فيه - لدفع ضرر فعلهم في الدنيا ، كما يقام الحد على من تاب بعد رفعه إلى الإمام ؛ وإن كان قد تاب توبة نصوحاً .

وكما يغزو هذا البيت جيش من الناس فبينما هم يبيدوا من الأرض إذ خسف بهم وفيهم المكره فيحشرون على نياتهم ، وكما يقاتل جيوش الكفار وفيهم المكره كأهل بدر لما كان فيهم العباس وغيره ، وكما تترس الكفار بمسلمين ولم يندفع ضرر الكفار إلا بقتالهم ، فالعقوبات المشروعة والمقدورة

(١) المجموع : ٣٧٥/١٠ .

قد تتناول في الدنيا من لا يستحقها في الآخرة ، وتكون في حقه من جملة المصائب كما قيل في بعضهم : « القاتل مجاهد والمقتول شهيد » .

وعلى هذا فما أمر به أهل السنة من أن داعية أهل البدع يهجر ؛ فلا يستشهد ، ولا يروى عنه ، ولا يستفتى ، ولا يصلى خلفه ، قد يكون من هذا الباب ، فإن هجره تعزير له وعقوبة له وجزاء لمنع الناس من ذلك الذنب الذي هو بدعة وغيرها وإن كان في نفس الأمر تائباً أو معذوراً ، إذ الهجرة مقصودها أحد شيئين : إما ترك الذنوب المهجورة وأصحابها ، وإما عقوبة فاعلها ونكاله .

ثم قال : ومن هذا الباب هجر الإمام أحمد للذين أجابوا في المحنة قبل القيد ، ولمن تاب بعد الإجابة ، ولمن فعل بدعة ما ، مع أن فيهم أئمة في الحديث والفقه والتصوف والعبادة ، فإن هجره لهم والمسلمين معه لا يمنع معرفة قدر فضلهم .

كما أن الثلاثة الذين خلفوا لما أمر النبي ﷺ المسلمين بهجرهم لم يمنع ذلك ما كان لهم من السوابق ، حتى قيل إن اثنين منهما شهدا بدرأ ، وقد قال الله لأهل بدر : (اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم) وأحدهم كعب بن مالك شاعر النبي ﷺ وأحد أهل العقبة .

فهذا أصل عظيم : إن عقوبة الدنيا المشروعة من الهجران إلى القتل لا يمنع أن يكون المعاقب عدلاً أو رجلاً صالحاً ، كما بينت من الفرق بين عقوبة الدنيا المشروعة والمقدورة وبين عقوبة الآخرة ، والله سبحانه أعلم . أ. هـ .

١٠-٣- الغلو والتقصير

أما الغلو فهو من الأبواب الخطيرة في واقع أمتنا المعاصر ، ولا بد من تكثيف جهود أهل العلم في معالجته لما فيه من الخلط بين الحق والباطل . وقد اطلعت على رسالة علمية قيمة في هذا الباب أنصح بمراجعتها هي : « الغلو في الدين » للأستاذ عبدالرحمن بن معلا اللويحق ، مؤسسة الرسالة .

وسأقتصر هنا على ما قاله شيخ الإسلام في هذا الباب .
قال^(١) : الظلم نوعان : تفريط في حق ، وتعد للحد ، والعدل يكون
أداء واجب أو ترك محرم .أ.هـ .
وقال^(٢) : ناقلاً قول السلف : ما أمر الله بأمر إلا اعترض الشيطان بأمرين
لا يبالي بأيهما ظفر : غلو أو تقصير .أ.هـ .
أما التقصير فلسان الحال يغني عن المقال ، ونسأل الله تعالى أن يمن على
الامة جميعاً بعفوه وهدايته ورحمته .

(١) ١٨٢/٢٨ .

(٢) ٤٨٣/١٤ .

حقيقۃ التوحيد والشرك

بقلم: المفتي العام للملكة العربية السعودية
رئيس هيئة كبار العلماء الشيخ
عبدالعزیز بن عبد الله بن باز

الحمد لله رب العالمين ، ولا عدوان إلا على الظالمين ، والصلاة والسلام
لى عبده ورسوله وخيرته من خلقه ، وأمينه على وحيه ؛ نبينا وإمامنا
سيدنا محمد بن عبد الله بن عبدالمطلب الهاشمي العربي المكي ثم المدني ،
على آله وأصحابه ، ومن سلك سبيله ، واهتدى بهداه إلى يوم الدين .
أما بعد :

فإن الله عز وجل خلق الخلق ليعبدوه وحده لا شريك له ، وأرسل الرسل
بيان هذه الحكمة والدعوة إليها ، وبيان تفصيلها ، وبيان ما يضادها ؛
كذا جاءت الكتب السماوية ، وأرسلت الرسل البشرية من عند الله عزَّ
جلَّ للجنِّ والإنس ، وجعل الله سبحانه هذه الدار طريقاً للآخرة ، ومعبراً
لها . فمن عمرها بطاعة الله وتوحيده واتباع رسله عليهم الصلاة والسلام ،
نقل من دار العمل وهي الدنيا ، إلى دار الجزاء وهي الآخرة ، وصار إلى
دار النعيم والخبرة والسرور ، دار الكرامة والسعادة ، دار لا يفنى نعيمها ،
لا يموت أهلها ، ولا تبلى ثيابهم ، ولا يخلق شبابهم ، بل في نعيم
ثم ، وصحة دائمة ، وشباب مستمر ، وحياة طيبة سعيدة ، ونعيم لا
نذ ، ينادي فيهم من عند الله عزَّ وجلَّ : (يا أهل الجنة إن لكم أن تحيوا

فلا تموتوا أبداً ، وإن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبداً ، وإن لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبداً ، وإن لكم أن تنعموا فلا تبتسوا أبداً) ، هذه حالهم ولهم فيها ما يشتهون ، ولهم فيها ما يدعون . ﴿ نزلًا من غفور رحيم ﴾ ^(١) ، ولهم فيها لقاء مع الله عز وجل كما يشاء ، ورؤية وجهه الكريم جلّ وعلا .

أما من خالف الرسل في هذه الدار ، وتابع الهوى والشيطان ، فإنه ينتقل من هذه الدار إلى دار الجزاء ؛ دار الهوان والخسران ، والعذاب والآلام والجحيم ، التي أهلها في عذاب وشقاء دائمين ، ﴿ لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها ﴾ ^(٢) ، كما قال عز وجل : ﴿ إنه من يأت ربه مجرمًا فإن له جهنم لا يموت فيها ولا يحيى ﴾ ^(٣) ، وقال فيها أيضًا : ﴿ وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفعًا ﴾ ^(٤) ، وقال فيها جلّ وعلا : ﴿ وسقوا ماءً حميمًا فقطع أمعاءهم ﴾ ^(٥) ، والمقصود أن هذه الدار هي دار العمل ، وهي دار التقرب إلى الله عز وجل بما يرضيه ، وهي دار الجهاد للنفوس ، وهي دار المحاسبة . ودار التفقه والتبصر في الدين ، والتعاون على البر والتقوى ، والتواصي بالحق والصبر عليه ، والعلم والعمل ، والعبادة والمجاهدة ، قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ، ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون ، إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين ﴾ ^(٦) فخلق الله الجن والإنس ؛ وهما الثقلان ، لعبادته عز وجل ، لم يخلقهم سبحانه حاجة به إليهم ، فإنه سبحانه هو الغني بذاته عن كل ما سواه . كما قال

(١) سورة فصلت الآية: ٣٢ .

(٢) سورة فاطر الآية: ٣٦ .

(٣) سورة طه الآية: ٧٤ .

(٤) سورة الكهف الآية: ٢٩ .

(٥) سورة محمد الآية: ١٥ .

(٦) سورة الذاريات الآيات: ٥٦ - ٥٨ .

سبحانه: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ ، وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ، إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ، وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴾ ^(١) ، ولم يخلقهم ليتكثر بهم من قلة ، أو يعتز بهم من ذلة ، ولكنه خلقهم سبحانه لحكمة عظيمة ، وهي أن يعبدوه ويعظموه ، ويخشوه ويشنوا عليه سبحانه بما هو أهله ، ويعلموا أسماء وصفاته ، ويشنوا عليه بذلك ، وليتوجهوا إليه بما يحب من الأعمال والأقوال ، ويشكروه على إنعامه ، ويصبروا على ما ابتلاهم به ، وليجاهدوا في سبيله ، وليتفكروا في عظمته ، وما يستحق عليهم من العمل ، كما قال عز وجل: ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ مِنْ الْأَرْضِ مِثْلَهُنْ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ ، لَتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ، أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾ ^(٢) ، وقال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا ﴾ ^(٣) ، وقال تعالى: ﴿ إِنْ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِكْتِلَافٌ لَيْلٍ أَوْ نَهَارٍ لآيَاتٍ لِرَأْسِ الْأَلْبَابِ ، الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ ، وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ، رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ ^(٤) .

فأنت يا عبدالله مخلوق في هذه الدار ، لا لتبقى فيها ، ولا لتخلد فيها ، لكنك خلقت فيها لتنتقل منها بعد العمل . وقد تنقل منها قبل العمل ، أنت صغير لم تبلغ ، ولم يجب عليك العمل لحكمة بالغة .

فالمقصود أنها دار ممزوجة بالشر والخير ، ممزوجة بالأخلاق من الصالحات وغيرهم ، ممزوجة بالأكدار والأفراح والنافع والضار ، وفيها الطيب والخبيث ، المرض والصحة ، والغنى والفقر ، والكافر والمؤمن ، والعاصي والمستقيم .

(سورة فاطر الآيات: ١٥ - ١٦ - ١٧ .

(سورة الطلاق الآية: ١٢ .

(سورة الأعراف الآية: ١٨٠ .

(سورة آل عمران الآيتان: ١٩٠ - ١٩١ .

وفيه أنواع من المخلوقات خلقت لمصلحة الثقلين كما قال تعالى: ﴿ هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعاً ﴾ ^(١).

والمقصود من هذه الخليقة - كما تقدم - أن يعظم الله ، وأن يطاع في هذه الدار ، وأن يعظم أمره ونهيه ، وأن يعبد وحده سبحانه وتعالى بطاعة أوامره ، وترك نواهيه ، وقصده سبحانه في طلب الحاجات ، وعند الملل ، ورفع الشكاوى إليه ، وطلب الغوث منه ، والاستعانة به في كل شيء ، وفي كل أمر من أمور الدنيا ، والآخرة .

فالمقصود من خلقك وإيجادك - يا عبدالله - هو توحيد الله سبحانه ، وتعظيم أمره ونهيه ، وأن تقصده وحده في حاجاتك ، وتستعين به على أمر دينك ودنياك ، وتتبع ما جاء به رسوله ، وتنقاد لذلك طائعاً مختاراً ، محبباً لما أمر به ، كارهياً لما نهى عنه ، ترجو رحمة ربك ، وتخشى عقابه سبحانه وتعالى .

والرسل أرسلوا إلى العباد ليعرفوهم هذا الحق ، ويعلموهم ما يجب عليهم ، وما يحرم عليهم ، حتى لا يقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير ، بل قد جاءتهم الرسل مبشرين ومنذرين ، كما قال سبحانه: ﴿ ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ﴾ ^(٢) ، وقال تعالى: ﴿ رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ﴾ ^(٣) ، وقال تعالى: ﴿ وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون ﴾ ^(٤).

فهم قد أرسلوا ليوجهوا الثقلين لما قد أرسلوا به ، ويرشدوهم إلى أسباب

(١) سورة البقرة الآية: ٢٩ .

(٢) سورة النحل الآية: ٣٦ .

(٣) سورة النساء الآية: ١٦٥ .

(٤) سورة الأنبياء: ٢٥ .

النجاة ولينذروهم أسباب الهلاك ، وليقيموا عليهم الحجة ، ويقطعوا المعذرة .

والله سبحانه يحب أن يمدح ، ولهذا أثني على نفسه بما هو أهله ، وهو غيور على محارمه ، ولهذا حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن . فعليك أن تحمده سبحانه ، وتثني عليه بما هو أهله ، فله الحمد في الأولى والآخرة . وعليك أن تثني عليه بأسمائه وصفاته ، وأن تشكره على إنعامه ، وأن تصبر على ما أصابك ، مع أخذك بالأسباب التي شرعها الله وأباحها لك . وعليك أن تحترم محارمه ، وأن تبتعد عنها ، وأن تقف عند حدوده طاعةً له سبحانه ولما جاءت به الرسل .

وعليك أن تتفقه في دينك ، وأن تتعلم ما خلقت له وأن تصبر على ذلك حتى تؤدي الواجب على علم وبصيرة ، قال ﷺ : (من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين) وقال ﷺ : (من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً ، سهل الله له به طريقاً إلى الجنة) أخرجهما مسلم في صحيحه .

وأعظم الأوامر وأهمها توحيد سبحانه ، وترك الإشراك به عز وجل ، وهذا هو أهم الأمور ، وهو توحيد الله وإفراده بالعبادة دون سواه ، وهو أصل دين الإسلام ، وهو دين الرسل كلهم من أولهم إلى آخرهم .

هذا هو أصل الدين ، وهو دين الرسل جميعاً من أولهم نوح ، إلى خاتمهم محمد ، عليهم الصلاة والسلام ، لا يقبل الله من أحد ديناً سواه . وهو الإسلام .

وسمي إسلاماً لما فيه من الاستسلام لله ، والذل له ، والعبودية له ، والانقياد لطاعته ، وهو توحيد والإخلاص له . مستسلماً له جل وعلا ، وقد أسلمت وجهك لله ، وأخلصت عملك لله ، ووجهت قلبك إلى الله في شرك وعلايتك ، وفي خوفك وفي رجائك ، وفي قولك وفي عملك ، وفي كل شأنك .

تعلم أنه سبحانه هو الإله الحق ، والمستحق لأن يعبد ويطاع ويعظم ، لا

إله غيره ولا رب سواه .

ولأنما تختلف الشرائع كما قال سبحانه: ﴿ لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ﴾ ^(١) أما دين الله فهو واحد ، وهو دين الإسلام ، وهو إخلاص العبادة لله وحده ، وإفراده بالعبادة: من دعاء وخوف ورجاء وتوكل ، ورغبة ورهبة ، وصلاة وصوم وغير ذلك ، كما قال سبحانه وبحمده: ﴿ وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه ﴾ ^(٢) ، أي أمر ألا تعبدوا إلا إياه ، وقال سبحانه: ﴿ إياك نعبد وإياك نستعين ﴾ ^(٣) ، أخبر عباده بهذا ليقولوه وليعترفوا به . فعلمهم كيف يشنون عليه ، فقال عزّ من قائل: ﴿ الحمد لله رب العلمين ، الرحمن الرحيم ، ملك يوم الدين ﴾ ^(٤) ، علمهم هذا الثناء العظيم ، ثم قال: ﴿ إياك نعبد ﴾ ^(٥) ، وجههم إلى هذا سبحانه وتعالى ، فيثنوا عليه بما هو أهله من الحمد والاعتراف بأنه رب العالمين ، والمحسن إليهم ، ومربيهم بالنعمة ، وأنه الرحمن وأنه الرحيم ، وأنه مالك يوم الدين ، وهذا كله حق لربنا عز وجل .

ثم قال: ﴿ إياك نعبد وإياك نستعين ﴾ ^(٦) ، إياك نعبد وحدك ، وإياك نستعين وحدك ، لا رب ولا معين سواك ، فجميع ما يقع من العباد هو من الله ، وهو الذي سخرهم وهو الذي هيأهم لذلك ، وأعانهم على ذلك ، وأعطاهم القوة على ذلك ، ولهذا يقول جل وعلا: ﴿ وما بكم من نعمة

(١) سورة المائدة الآية: ٤٨ .

(٢) سورة الإسراء الآية: ٢٣ .

(٣) سورة الفاتحة .

(٤) سورة الفاتحة .

(٥) سورة الفاتحة .

(٦) سورة الفاتحة الآية: ٥ .

فمن الله ﴿^(١)﴾ فهو سبحانه المنعم ، وهو المستعان والمعبود بالحق جلّ وعلا .
فأنت - يا عبدالله - إذا جاءتك نعمة على يد صغير أو كبير أو مملوك أو ملك ، أو غيره ، فكله من نعم الله جلا وعلا وهو الذي ساق ذلك ويسره سبحانه ، خلق من جاء بها وساقها على يديه ، وحرك قلبه ليأتيك بها ، وأعطاه القوة والقلب والعقل ، وجعل في قلبه ما جعل حتى أوصلها إليك . فكل النعم من الله جلّ وعلا ، مهما كانت الوسائل ، وهو المعبود بالحق ، وهو الخالق للعباد ، وهو مربيهم بالنعم ، وهو الحاكم بينهم في الدنيا والآخرة ، وهو الموصوف بصفات الكمال المنزه عن صفات النقص والعيب ، واحد في ربوبيته ، واحد في ألوهيته ، واحد في أسمائه وصفاته ، جل وعلا ، وهو سبحانه له التوحيد من جميع الوجوه ، له الوجدانية في خلقه العباد ، وتدبيره لهم ، ورزقه لهم ، وتصريفه لشئونهم ، لا يشاركه في ذلك أحد ، سبحانه وتعالى ، يدبر الأمر جل وعلا ، كما قال جل وعلا : ﴿ الله خالق كل شيء وهو على كل شيء وكيل ﴾ ^(٢) ، وقال سبحانه : ﴿ إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين ﴾ ^(٣) ، وقال سبحانه : ﴿ إن ربكم الله الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يدبر الأمر ما من شفيع إلا من بعد إذنه ذلكم الله ربكم فاعبدوه ، أفلا تذكرون ، إليه مرجعكم جميعاً ﴾ ^(٤) ، فهو المستحق للعبادة لكمال إنعامه ، وكمال إحسانه ، ولكونه الخلاق والرزاق ، ولكونه مصرف الأمور ومدبرها ، ولكونه الكامل في ذاته وصفاته وأسمائه . فلهذا استحق العبادة على جميع العباد واستحق الخضوع عليهم ؛ والعبادة هي الخضوع والذل ، وسُمِّي الدين عبادة لأن العبد يؤديه بخضوع لله ، وذل بين يديه ، ولهذا قيل للإسلام عبادة .

(١) سورة النحل الآية : ٥٣ .

(٢) سورة الزمر الآية : ٦٢ .

(٣) سورة الذاريات الآية : ٥٨ .

(٤) سورة يونس الآيتان : ٣ - ٤ .

تقول العرب: طريق معبد ، يعني مذلل ، قد وطأته الأقدام ، حتى صار لها أثر يَبِينُ يُعرف ، ويقال: بغير معبد ، أي قد شد ورحل عليه ، حتى صار له أثر فصار معبداً .

والعبد هو الذليل المنقاد لله ، المعظم لحرماته . وكلما كان العبد أكمل معرفة بالله وأكمل إيماناً به ، صار أكمل عبادة .

ولهذا كان الرسل أكمل الناس عبادة ، لأنهم أكملهم معرفة وعلماً بالله ، وتعظيماً له من غيرهم ، صلوات الله وسلامه عليهم .

ولهذا وصف الله نبيه محمداً ﷺ بالعبودية في أشرف مقاماته ، فقال سبحانه: ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ ﴾^(١) ، وقال تعالى: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ ﴾^(٢) ، وقال تعالى: ﴿ وَانْهَ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ ﴾^(٣) ، إلى غير ذلك .

فالعبودية مقام عظيم وشريف . ثم زادهم الله فضلاً من عنده سبحانه بالرسالة التي أرسلهم بها ، فاجتمع لهم فضلان: فضل الرسالة ، وفضل العبودية الخاصة . فأكمل الناس في عبادتهم لله ، وتقواهم له ، هم الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، يليهم الصديقون الذين كمل تصديقهم لله ولرسله ، واستقاموا على أمره ، وصاروا خير الناس بعد الأنبياء ، وعلى رأسهم أبو بكر الصديق رضي الله عنه ، فهو رأس الصديقين ، وأكملهم صديقية ، بفضلته وتقواه ، وسبقه إلى الخيرات ، وقيامه بأمر الله خير قيام ، وكونه قرين رسول الله ﷺ وصاحبه في الغار ، ومساعدته بكل ما استطاع من قوة ، رضي الله عنه وأرضاه .

فالمقصود أن مقام العبودية ، ومقام الرسالة هما أشرف المقامات ، فإذا

(١) سورة الإسراء الآية: ١ .

(٢) سورة الكهف الآية: ١ .

(٣) سورة الجن الآية: ١٩ .

ذهبت الرسالة بفضلها ، بقي مقام الصديقية بالعبادة .

فأكمل الناس إيماناً وصلاحاً وتقوى وهدى ، هم الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، لكمال علمهم بالله ، وعبادتهم له ، وذلهم لعظمته جل وعلا ، يليهم الصديقون ، ثم الشهداء ، ثم الصالحون ؛ كما قال جل وعلا : ﴿ ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين ، والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً ﴾ ^(١) . ولا بد مع توحيد الله من تصديق رسله ، ولهذا لما بعث الله نبيه محمداً عليه الصلاة والسلام ، صار يدعو الناس أولاً إلى توحيد الله وإلى الإيمان بأنه رسوله ، عليه الصلاة والسلام .

فلا بد من أمرين: توحيد الله ، والإخلاص . ولا بد مع ذلك من تصديق الرسل عليهم الصلاة والسلام .

فمن وحد الله ، ولم يصدق الرسل فهو كافر ، ومن صدقهم ولم يوحد الله فهو كافر ؛ فلا بد من الأمرين: توحيد الله ، وتصديق رسله عليهم الصلاة والسلام .

والاختلاف في هذا المقام هو في الشرائع ، وأما توحيد الله والإخلاص له ، وترك الإشراك به ، وتصديق رسله ، فهو أمر لا اختلاف فيه بين الأنبياء ، بل لا إسلام ولا دين ولا هدى ولا نجاة إلا بتوحيد الله عز وجل ، وإفراده بالعبادة ، والإيمان بما جاء به رسله عليهم الصلاة والسلام ؛ جملة وتفصيلاً .

فمن وحد الله جل وعلا ، ولم يصدق نوحاً في زمانه ، أو إبراهيم في زمانه ، أو هوداً ، أو صالحاً ، أو إسماعيل ، أو إسحاق ، أو يعقوب ، أو من بعدهم إلى نبينا محمد ﷺ فهو كافر بالله عز وجل ، حتى يصدق جميع الرسل ، مع توحيده الله عز وجل .

(١) سورة النساء الآية: ٦٩ .

فالإسلام في زمن آدم هو توحيد الله مع اتباع شريعة آدم عليه الصلاة والسلام ، والإسلام في زمن نوح هو توحيد الله مع اتباع شريعة نوح عليه الصلاة والسلام ، والإسلام في زمن هود هو توحيد الله مع اتباع شريعة هود عليه الصلاة والسلام ، والإسلام في زمن صالح هو توحيد الله مع اتباع شريعة صالح عليه الصلاة والسلام . حتى جاء نبينا محمد ﷺ ، فكان الإسلام في زمانه هو توحيد الله مع الإيمان بما جاء به محمد ﷺ ، واتباع شريعته .

فاليهود والنصارى لما لم يصدقوا محمداً عليه الصلاة والسلام ، صاروا بذلك كفاراً ضلالاً ، وإن فرضنا أن بعضهم وحد الله ، فإنهم ضالون كفار بإجماع المسلمين ، لعدم إيمانهم بمحمد ﷺ : فلو قال شخص إني أعبد الله وحده ، وأصدق محمداً في كل شيء إلا في تحريم الزنى ؛ بأن جعله مباحاً - فإنه يكون بهذا كافراً حلال الدم والمال بإجماع المسلمين . وهكذا ، لو قال : إنه يوحد الله ويعبده وحده دون كل من سواه ، ويصدق الرسل جميعاً ، وعلى رأسهم محمد ﷺ إلا في تحريم اللواط ؛ وهو إتيان الذكور، صار كافراً حلال الدم والمال بإجماع المسلمين ، بعد إقامة الحجة عليه إذا كان مثله يجهل ذلك ، ولم ينفعه توحيده ولا إيمانه ، لأنه كذب الرسول ﷺ ، وكذب الله في بعض الشيء .

وهكذا كل من وحد الله ، وصدق الرسل ، ولكن استهزأ بالرسول ﷺ في شيء ، أو استنقصه في شيء ، أو بعض الرسل ، صار كافراً بذلك ، كما قال جل وعلا : ﴿ قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزون ، لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم ﴾ ^(١) ، ثم إن ضد هذا التوحيد هو الشرك بالله عز وجل ، فإن كل شيء له ضد ، والضدّ يبين بالضد . قال بعض الشعراء :
والضد يظهر حسنه الضد وبضدها تميز الأشياء

(١) سورة التوبة الآيتان : ٦٥ - ٦٦ .

فالشرك بالله عزّ وجلّ ، هو ضد التوحيد الذي بعث الله به الرسل عليهم الصلاة والسلام ؛ فالمشرك مشرك ، لأنه أشرك مع الله غيره ، فيما يتعلق بالعبادة لله وحده ، أو فيما يتعلق بملكه وتديره العباد ، أو بعدم تصديقه فيما أخبر أو فيما شرع ، فصار بذلك مشركاً بالله ، وفيما وقع منه من الشرك .

وتوحيد الله عز وجل الذي هو معنى لا إله إلا الله ، يعني أنه لا معبود بحق إلا الله ، فهي تنفي العبادة عن غير الله بالحق ، وتثبتها لله وحده ، كما قال سبحانه: ﴿ ذلك بأن الله هو الحق ، وأن ما يدعون من دونه الباطل ﴾ ^(١) ، وقال تعالى: ﴿ فاعلم أنه لا إله إلا الله ﴾ ^(٢) ، وقال سبحانه: ﴿ شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم ﴾ ^(٣) ، وقال سبحانه: ﴿ وقال الله لا تتخذوا إلهين اثنين إنما هو إله واحد ﴾ ^(٤) ، فتوحيد الله هو إفراده بالعبادة عن إيمان وعن صدق ، وعن عمل ، لا مجرد كلام . ومع اعتقاده بأن عبادة غيره باطلة ، وأن عبادة غيره مشركون ، ومع البراءة منهم ، كما قال عز وجل: ﴿ قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله ، كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده ﴾ ^(٥) ، وقال تعالى: ﴿ وإذ قال إبراهيم لأبيه وقومه إنني براء مما تعبدون ، إلا الذي فطرني فإنه سيهدين ﴾ ^(٦) ، فترا من عبادة غير الله ، ومما يعبدون .

(١) سورة لقمان الآية: ٢٠ .

(٢) سورة محمد الآية: ١٩ .

(٣) سورة آل عمران الآية: ١٨ .

(٤) سورة النحل الآية: ٥١ .

(٥) سورة الممتحنة الآية: ٤ .

(٦) سورة الزخرف الآيتان: ٢٦ - ٢٧ .

فالمقصود: أنه لا بد من توحيد الله ، بإفراده بالعبادة ، والبراءة من عبادة غيره وعابدي غيره ، ولا بد من اعتقاد وبطلان الشرك ، وأن الواجب على جميع العباد من جن وإنس ، أن يخلصوا الله بالعبادة ، ويؤدوا حق هذا التوحيد بتحكيم شريعة الله ؛ فإن الله سبحانه وتعالى هو الحاكم ، ومن توحيده الإيمان والتصديق بذلك ، فهو الحاكم في الدنيا بشريعته ، وفي الآخرة بنفسه ، سبحانه وتعالى ؛ كما قال جل وعلا: ﴿ إِنَّ الْحَكْمَ إِلَّا لِلَّهِ ﴾^(١) ، وقال تعالى: ﴿ فَالْحَكْمَ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ ﴾^(٢) ، وقال سبحانه: ﴿ وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكِّمُوهُ إِلَى اللَّهِ ﴾^(٣) .

وصرفُ بعض العباد للأولياء أو الأنبياء أو الشمس والقمر ، أو الجن أو الملائكة ، أو الأصنام أو الأشجار أو غير ذلك ، كل هذا ناقض لتوحيد الله ، ومبطل له .

وإذا علم أن الله سبحانه بعث نبيه محمداً ﷺ ، والأنبياء قبله إلى أمم يعبدون غير الله ، منهم من يعبد الأنبياء والصالحين ، ومنهم من يعبد الأشجار والأحجار ، ومنهم من يعبد الأصنام المنحوتة ، ومنهم من يعبد الكواكب إلى غير ذلك ، فقد دعوهم كلهم إلى توحيد الله ، والإيمان به سبحانه ، وأن يقولوا: لا إله إلا الله ، وأن يبرأوا مما يخالفها ، وأن يبرأوا من عابدي غير الله ، ومن معبوداتهم ، وأن من صرف بعض العباد لغيره فما وحده ؛ كما قال الله سبحانه: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾^(٤) .

وبهذا تعلم أن ما يصنع حول القبور المعبودة من دون الله ، مثل قبر

(١) سورة الأنعام الآية: ٥٧ .

(٢) سورة غافر الآية: ١٢ .

(٣) سورة الشورى الآية: ١٠ .

(٤) سورة النحل الآية: ٣٦ .

البدوي والحسين بمصر ، وأشبه ذلك ، وما يقع من بعض الجهال من
الحجاج وغيرهم ، عند قبر النبي ﷺ من طلب المدد والنصر على الأعداء ،
والاستغاثة به والشكوى إليه ونحو ذلك - أن هذه عبادة لغير الله عز وجل ،
وأن هذا شرك الجاهلية الأولى .

وهكذا ما قد يقع من بعض الصوفية من اعتقادهم أن بعض الأولياء ،
يتصرف في الكون ويدبر هذا العالم - والعياذ بالله - فهو شرك أكبر في
الربوبية .

وهكذا ما يقع من اعتقاد بعض الناس ، أن بعض المخلوقات له صلة
بالرب عز وجل ، وأن يستغني بذلك عن متابعة الرسول محمد ﷺ أو أنه
يعلم الغيب ، أو أنه يتصرف في الكائنات ، وما أشبه ذلك ، فإنه كفر بالله
أكبر ، وشرك ظاهر ، يخرج صاحبه من الملة الإسلامية ، إن كان ينتسب إليها .

فلا توحيد ولا إسلام ولا إيمان ولا نجاة إلا بإفراد الله بالعبادة ، والإيمان
بأنه مالك الملك ، ومدير الأمور ، وأنه كامل في ذاته وصفاته وأسمائه
وأفعاله ، لا شريك له ، ولا شبيه له ، ولا يقاس بخلقه عز وجل ، فله
الكمال المطلق في ذاته وصفاته وأفعاله ، وهو مدير الملك جلّ وعلا ، لا
شريك له ، ولا معقب لحكمه .

هذا هو توحيد الله ، وهذا هو إفراده بالعبادة ، وهذا هو دين الرسل
كلهم ، وهذا معنى قوله تعالى : ﴿ إياك نعبد وإياك نستعين ﴾^(١) ، يعني
إياك نوحّد ونطيع ، ونرجوك ونخافك ، كما قال ابن عباس رضي الله
عنهما : نعبدك وحدك ، ونرجوك ونخافك .

وإياك نستعين على طاعتك ، وفي جميع أمورنا . فالعبادة هي توحيد الله
عز وجل والإخلاص له في طاعة أوامره ، وترك نواهيه سبحانه وتعالى ،
مع الإيمان الكامل بأنه مستحق للعبادة ، وأنه رب العالمين المدير لعباده ،

(١) سورة الفاتحة الآية : ٥ .

والمالك لكل شيء ، والخالق لكل شيء ، وأنه الكامل في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله ، ولا نقص فيه ، ولا عيب فيه ، ولا مشارك له في شيء من ذلك ، سبحانه وتعالى ، بل له الكمال المطلق في كل شيء ، جلّ وعلا .

ومن هذا نعلم أنه لا بد من تصديق الرسل جميعاً فيما جاءوا به ، وعلى رأسهم نبينا محمد عليه الصلاة والسلام ، وأنه متى أخلص العبد العبادة لله وحده ، وصدق رسله عليهم الصلاة والسلام ، ولا سيما محمد ﷺ ، وانقاد لشرعه واستقام عليه ، إلا في واحد أو أكثر من نواقض الإسلام ، فإنه تبطل عبادته ، ولا ينفعه ما معه من أعمال الإسلام .

فلو أنه صدق محمداً في كل شيء ، وانقاد لشريعته في كل شيء لكن قال مع ذلك : مسيلمة رسول مع محمد - أعني مسيلمة الكذاب الذي خرج في اليمامة ، وقاتله الصحابة في عهد الصديق رضي الله عنه ، بطلت هذه العقيدة ، وبطلت أعماله ، ولم ينفعه صيام النهار ، ولا قيام الليل ، ولا غير ذلك من عمله . لأنه أتى بنواقض من نواقض الإسلام ، وهو تصديقه لمسيلمة الكذاب ، لأن ذلك يتضمن تكذيب الله سبحانه في قوله عز وجل : ﴿ ما كان محمدٌ أباً أحدٍ من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين ﴾ ^(١) ، كما يتضمن تكذيب الرسول ﷺ في قوله ﷺ في الأحاديث المتواترة عنه عليه الصلاة والسلام ، بأنه خاتم الأنبياء ولا نبي بعده .

وهكذا ؛ من صام النهار ، وقام الليل ، وتعبد وأفرد الله بالعبادة ، واتبع الرسول ﷺ ، ثم بعد ذلك - في أي وقت من الأوقات - صرف بعض العبادة لغير الله ، كأن يجعل بعض العبادة للنبي ، أو للولي الفلاني ، أو للصنم الفلاني ، أو للشمس ، أو للقمر ، أو للكوكب الفلاني ، أو نحو ذلك ، يدعو ويطلب منه النصر ، ويستمد منه العون - بطلت أعماله التي سبقت كلها ، حتى يعود إلى التوبة إلى الله عز وجل ؛ كما قال

(١) سورة الأحزاب الآية : ٤٠ .

تعالى: ﴿ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون﴾^(١)، وقال سبحانه: ﴿ولقد أوحى إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ، ولتكونن من الخاسرين﴾^(٢)، وهكذا لو آمن بالله في كل شيء ، وصدق الله في كل شيء ، إلا في الزنى ، فقال: الزنى مباح ، أو اللواط مباح ، أو الخمر مباحة - صار بهذا كافراً ، ولو فعل كل شيء آخر من دين الله ؛ فاستحلاله لما حرم الله مما هو معلوم من الدين بالضرورة ، صار باستحلاله هذا كافراً بالله ، مرتداً عن الإسلام ، فلا تنفعه أعماله ولا توحيده لله ، عند جميع المسلمين .

وهكذا لو قال: إن نوحاً ، أو هوداً ، أو صالحاً ، أو إبراهيم أو إسماعيل ، أو غيرهم ليس بنبي ، صار كافراً بالله ، وأعماله كلها باطلة ، لكونه بذلك قد كذب الله سبحانه فيما أخبر به عنهم .

وهكذا لو حرم ما أحله الله ، مع التوحيد والإخلاص والإيمان بالرسول ؛ فقال مثلاً: أنا ما أحل الإبل أو البقر أو الغنم أو غيرها مما أحله الله حلاً مجمعاً عليه ، وقال إنها حرام - يكون بهذا كافراً مرتداً عن الإسلام ، بعد إقامة الحجة عليه ، إذا كان مثله قد يجهل ذلك ، وصادف جنس من أحل ما حرم الله .

أو قال: ما أحل الحنطة أو الشعير بل هما حرام ، أو ما أشبه ذلك ، صار كافراً . أو قال: إنه يستبيح البنت أو الأخت ، صار بهذا كافراً بالله ، مرتداً عن الإسلام ، ولو صلى وصام وفعل باقي الطاعات ، لأن واحدة من هذه الخصال تبطل دينه ؛ كما قال تعالى: ﴿ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون﴾^(٣) .

(١) سورة الأنعام الآية: ٨٨ .

(٢) سورة الزمر الآية: ٦٥ .

(٣) سورة الروم الآية: ٨٨ .

ونحن في زمان غلب فيه الجهل ، وقل فيه العلم ، وأقبل الناس - إلا من شاء الله - على علوم أخرى ، وعلى مسائل أخرى تتعلق بالدنيا ؛ فقل علمهم بالله وبدينه ، لأنهم شغلوا بما يصددهم عن ذلك ، وصارت أغلب الدروس في أشياء تتعلق بالدنيا ، أما التفقه في دين الله ، والتدبر لشريعته سبحانه ، وتوحيده ، فقد أعرض عنه الكثرون ، وأصبح من يشتغل به اليوم هو أقل القليل .

فينبغي لك يا عبداً لله ، الانتباه لهذا الأمر ، والإقبال على كتاب الله ، وسنة رسوله ﷺ ، دراسة وتدبراً وتعقلاً ، حتى تعرف توحيد الله والإيمان به ، وحتى تعرف ما هو الشرك بالله عز وجل ، وحتى تكون بصيراً بدينك ، وحتى تعرف ما هو سبب دخول الجنة والنجاة من النار ، مع العناية بحضور حلقات العلم ، والمذاكرة مع أهل العلم والدين ، حتى تستفيد وتفيد ، وحتى تكون على بينة وعلى بصيرة في أمرك .

والشرك شركان ؛ أكبر وأصغر :

فالشرك الأكبر ينافي توحيد الله ، وينافي الإسلام ، ويحبط الأعمال . والمشركون في النار . وكل عمل أو قول دلت الأدلة على أنه كفر بالله : كالاستغاثة بالأموات أو الأصنام ، أو اعتقاد حل ما حرم الله ، أو تحريم ما أحله الله ، أو تكذيب بعض رسله - فهذه الأشياء تحبط الأعمال ، وتوجب الردة عن الإسلام ، كما سبق بيان ذلك . قال تعالى في أول سورة النساء : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ ، وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ، وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا ﴾ ^(١) ، فهنا قد بين الله أن الشرك لا يغفر ، ثم علق ما دونه على المشيئة ، فأمره إلى الله سبحانه وتعالى ، إن شاء غفر له وإن شاء عذبه ، على قدر المعاصي التي مات عليها ، غير تائب ، ثم بعد أن يطهر بالنار يخرج الله منها إلى الجنة ، بإجماع أهل السنة والجماعة ،

(١) سورة النساء الآية : ٤٨ .

خلافاً للخوارج والمعتزلة ، ومن سار على نهجهم .

أما في آية الزمر ، فعمّم وأطلق ؛ فقال سبحانه : ﴿ قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ، إن الله يغفر الذنوب جميعاً إنه هو الغفور الرحيم ﴾ ^(١) ، قال العلماء : هذه الآية في التائبين ، أما آية النساء فهي في غير التائبين ، ممن مات على الشرك مصراً على بعض المعاصي ، وهي قوله سبحانه : ﴿ إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ﴾ ^(٢) .

أما من مات على ما دون الشرك ؛ كالزنى والمعاصي الأخرى ، وهو يؤمن أنها محرمة ، ولم يستحلها ، ولكنه انتقل إلى الآخرة ولم يتب منها ، فهذا تحت مشيئة الله ، عند أهل السنة والجماعة ، إن شاء الله غفر له وأدخله الجنة لتوحيده وإسلامه ، وإن شاء سبحانه عذبه بالنار على قدر المعاصي التي مات عليها ، من الزنى وشرب الخمر ، أو عقوقه لوالديه ، أو قطيعة أرحامه ، أو غير ذلك من الكبائر ؛ كما سبق إيضاح ذلك .

وذهب الخوارج إلى أن صاحب المعصية مخلص في النار ، وهو بالمعاصي كافر أيضاً ، ووافقهم المعتزلة بتخليده في النار . ولكن أهل السنة والجماعة خالفوهم في ذلك ، ورأوا أن الزاني والسارق والعاق لوالديه وغيرهم من أهل الكبائر لا يكفرون بذلك ، ولا يخلدون في النار ، إذا لم يستحلوا هذه المعاصي ، بل هم تحت مشيئة الله كما تقدم ، فهذه أمور عظيمة ينبغي أن نعرفها جيداً ، وأن نفهمها كثيراً ، لأنها من أصول العقيدة .

وأن يعرف المسلم حقيقة دينه ، وضده من الشرك بالله تعالى ، ويعلم أن باب التوبة من الشرك والمعاصي مفتوح إلى أن تطلع الشمس من مغربها .

ولكن المصيبة العظيمة هي الغفلة عن دين الله ، وعدم التفقه فيه ، فربما

(١) سورة الزمر الآية : ٥٣ .

(٢) سورة النساء الآيتان : ٤٨ ، ١١٦ .

وقع العبد في الشرك والكفر بالله وهو لا ييالي ، لغلبة الجهل ، وقلة العلم بما جاء به الرسول ﷺ من الهدى ودين الحق . فانتبه لنفسك أيها العاقل ، وعظم حرمت ربك ، وأخلص لله العمل ، وسارع إلى الخيرات ، واعرف دينك بأدلته ، وتفقه في القرآن والسنة بالإقبال على كتاب الله ، وبحضور حلقات العلم وصحبة الأخيار ، حتى تعرف دينك على بصيرة .

وأكثر من سؤال ربك الثبات على الهدى والحق . ثم إذا وقعت في معصية فبادر بالتوبة ، فكل بني آدم خطاء ، وخير الخطائين التوابون ، كما جاء في الحديث الصحيح ، لأن المعصية نقص في الدين ، وضعف في الإيمان .

فالبدار البدار إلى التوبة ، والإقلاع والندم ، والله يتوب على من تاب ؛ وهو القائل سبحانه : ﴿ وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون ﴾ ^(١) ، وقال عز وجل : ﴿ يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحاً ﴾ ^(٢) ، فالتوبة لا بد منها ، وهي لازمة للعبد دائماً ، والرسول ﷺ يقول : (التوبة تهدم ما كان قبلها) ، فاستقم عليها ، فكلما وقعت منك زلة فبادر بالتوبة والإصلاح ، وكن متفهماً في دينك ، ولا تشغل بحظك في الدنيا عن حظك في الآخرة ، بل اجعل للدنيا وقتاً ، وللتعلم وللتفقه في الدين ، والتبصر والمطالعة والمذاكرة والعناية بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، وحضور حلقات العلم ومصاحبة الأخيار غالب وقتك ، فهذه الأمور هي أهم شأنك ، وسبب سعادتك .

وهناك نوع آخر ، وهو الشرك الأصغر ؛ مثل الرياء ، والسمعة في بعض العمل أو القول ، ومثل أن يقول الإنسان ما شاء الله وشاء وفلان ، والحلف بغير الله ، كالحلف بالأمانة والكعبة والنبي وأشبه ذلك ، فهذه وأشباهها من

(١) سورة النور الآية : ٣١ .

(٢) سورة التحريم الآية : ٨ .

الشرك الأصغر ، فلا بد من الحذر من ذلك ؛ قال النبي ﷺ : لما قال له رجل ما شاء الله وشئت : (أجعلتني لله نداً ؟ ما شاء الله وحده) . وقال النبي ﷺ : (لا تقولوا ما شاء الله وشاء فلان ، ولكن قولوا ما شاء الله ثم شاء فلان) . وقال ﷺ : (من كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت) وقال : (لا تحلفوا بآبائكم ولا بأمهاتكم ولا بالأنداد ، ولا تحلفوا بالله إلا وأنتم صادقون) وقال ﷺ : (من حلف بغير الله فقد أشرك) إلى غير هذا من الأحاديث الصحيحة الواردة في هذا المعنى ، ومن ذلك قوله ﷺ : (أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر ، فسئل عنه فقال : الرياء) . وقد يكون الرياء كفراً أكبر إذا دخل صاحبه في الدين رياء ونفاقاً . وأظهر الإسلام لا عن إيمان ولا عن محبة ، فإنه يصير بهذا منافقاً كافراً كفراً أكبر . وكذلك إذا حلف بغير الله ، وعظم المحلوف به مثل تعظيم الله ، أو اعتقد أنه يعلم الغيب ، أو يصلح أن يعبد مع الله سبحانه - صار بذلك مشركاً شركاً أكبر .

أما إذا جرى على اللسان ، الحلف بغير الله كالكعبة ، والنبي وغيرهما دون هذا الاعتقاد ، فإنه يكون مشركاً شركاً أصغر فقط .

وأسأل الله عزّ وجلّ أن يمنحنا وإياكم الفقه في دينه ، والثبات عليه ، وأن يرزقنا وإياكم الاستقامة عليه ، وأن يعيذنا وإياكم من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا ، ومن مضلات الفتن ، إنه تعالى جواد كريم .

وصلّى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وأصحابه وأتباعه بإحسان إلى يوم الدين .

تحقيق القول في عمل أهل المدينة

د. عمر سليمان عبدالله الأشقر

الأستاذ المشارك بالجامعة الأردنية

احتدم الجدل بين الامام مالك - رحمه الله - وأتباع مذهبه وبين كثير من العلماء والأئمة في عمل أهل المدينة ، فذهب الامام مالك - رحمه الله - تعالى إلى أنه « إذا أجمع أهل المدينة على شيء صار اجماعاً مقطوعاً عليه وإن خالفهم فيه غيرهم »^(١) . وهم يذهبون في هذا إلى تقديم عمل أهل المدينة المجمع عليه على القياس ، وأخبار الآحاد الصحيحة^(٢) ، ومن طالع كتاب الامام الليث بن سعد - رحمه الله إلى الإمام مالك - علم أن العلماء لم يقولوا على الامام مالك ، وأن مذهبه هو عدُّ عملهم حجةً ودليلاً .

والعلماء الأعلام يعرفون لأهل المدينة فضلهم وتقدمهم على غيرهم ، « ففي القرون الثلاثة التي أثنى عليها الرسول ﷺ كان مذهب أهل المدينة أصح مذاهب أهل المدائن ، فكانوا يتأسسون بأثر الرسول ﷺ أكثر من سائر الأمصار ، وكان غيرهم من أهل الأمصار دونهم في العلم بالسنة النبوية واتباعها ... »^(٣) .

(١) المسودة ، لآل تيمية : ص ٣٣١ .

(٢) الفكر السامي : ٣٨٨/١ .

(٣) صحة عمل أهل المدينة ، لابن تيمية : ص ٢٠ .

ومما يدل على فضل أهل المدينة في الأعصار الثلاثة أن المدينة خلت من البدع في تلك الأعصار ، فلم يخرج منها بدعة في أصول الدين البتة كما خرج من سائر الأمصار . . . ، فالكوفة خرج منها التشيع والارجاء ، وانتشر بعد ذلك في غيرها ، والبصرة خرج منها القدر والاعتزال ، والنسك الفاسد ، وانتشر بعد ذلك في غيرها ، والشام كان بها النصب والقدر ، وأما التجهم فقد ظهر من ناحية خراسان ، وهو شرّ البدع . . . ، أما المدينة فكانت سليمة من ظهور هذه البدع ، وإن كان بها من هو مضمّر لذلك ، فكان عندهم مهانا مذموما . . . »^(١) .

تحقيق القول في عمل أهل المدينة :

وتحقيق القول في هذه المسألة أن من عمل أهل المدينة ما هو حجة باتفاق العلماء ، ومنها ما هو حجة باتفاق أكثرهم ، ومنها ما هو حجة عند بعضهم ، ومنها ما ليس بحجة عند جمهورهم ، فهذه أربعة مراتب :

الأولى : ما كان عملهم حجة باتفاق العلماء ، وهو ما يجري مجرى النقل عن النبي ﷺ ، فلعلماء المدينة في هذا من السبق والتقدم ما ليس لغيرهم ، فالأحاديث النبوية المدنية هي أشرف أحاديث أهل الأمصار ، ومن تأمل أبواب البخاري وجده أول ما يبدأ في الباب بها ما وجدها ، ثم يتبعها بأحاديث أهل الأمصار ، وهذه كمالك عن نافع عن ابن عمر ، وابن شهاب عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة ، ومالك عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة ، وأبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة . . . »^(٢) .

ومن ذلك نقلهم فعله ، كنقلهم وضوؤه ، من بشر بضاعة ، وأنه كان صلوات الله وسلامه عليه يخرج هو والناس كل عيد إلى المصلى فيصلون به العيد ، وأنه كان يخطبهم قائما على المنبر ، وظهره إلى القبلة ووجهه

(١) صحة عمل أهل المدينة : ص ٢١-٢٣ .

(٢) اعلام الموقعين : ٤١٤/٢ .

إليهم... ، ومن ذلك نقلهم تقريره صلوات الله وسلامه عليه ، كنقلهم
اقراره على تلقيح النخيل ، وعلى تجارتهم التي كانوا يتاجرونها ، وكاقرارهم
على صنائعهم المختلفة من تجارة وخياطة وصياغة وفلاحة ، واقرارهم على
انشاد الأشعار المباحة ، وذكر أيام الجاهلية والمسابقة على الأقدام ، واقرارهم
على الخيلاء في الحرب ، ولبس ما نسجه الكفار من الثياب ، وانفاق ما
ضربوه من الدراهم ، ، وربما كان عليه صور ملوكهم ، واقراره على المزاح
المباح وعلى الشبع في الأكل ، وعلى النوم في المسجد ، واقرارهم على أكل
الزروع التي تداس بالأبقار من غير أمر لهم بغسلها ، ومن ذلك نقلهم لتركه
صلوات الله وسلامه عليه ، وهو نوعان :

أحدهما: تصريحهم بأنه ترك كذا وكذا ، ولم يفعله ، كقولهم في شهداء
أحد : ولم يغسلهم ، ولم يصل عليهم ، وقولهم في صلاة العيد : لم
يكن أذان ولا إقامة ولا نداء ، وقولهم في جمعه بين الصلاتين : ولا يسبح
بينهما ، ولا على أثر واحدة منهما .

الثاني : عدم نقلهم لما لو فعله لتوفرت هممهم ودواعيهم أو واحد منهم
على نقله ، فحيث لم ينقله واحد منهم البتة ، ولا حدث به في مجمع أبدا
علم أنه لم يكن ، وهذا كتركه التلفظ بالنية عند دخوله في الصلاة ، وكتركه
الدعاء بعد الصلاة مستقبلا للمؤمنين ... وتركه الاغتسال للمبيت بمزدلفة
ولرمى الجمار ، ولطواف الزيارة ، ولصلاة الاستسقاء والكسوف .

ومن ذلك نقل الأعيان وتعيين الأماكن كنقلهم الصاع والمد ، وتعيين موضع
المنبر ، وموقفه للصلاة والقبر والحجرة ، ومسجد قباء ، وتعيين الروضة
والبقيع والمصلى ونحو ذلك ، ونقل هذا جار مجرى نقل مواضع المناسك ،
كالصفا والمروة ، ومنى ، ومن ذلك نقلهم العمل المستمر كنقلهم الوقوف
والمزارعة ، والأذان على المكان المرتفع ، والأذان للصبح قبل الفجر ، وتشية
الأذان وإفراد الإقامة والخطبة بالقرآن وبالسنن دون الخطبة الصناعية بالتسجيع
والترجيع التي لا تسمن ولا تغنى من جوع ، فهذا النقل ، وهذا العمل حجة

يجب اتباعها ... »^(١) .

يقول ابن تيمية في هذا النوع : « هذا مما هو حجة باتفاق العلماء أما الشافعي وأحمد وأصحابهما فهذا حجة عندهم بلانزاع ، كما هو حجة عند مالك ، وذلك مذهب أبي حنيفة وأصحابه »^(٢) .

يقول ابن عقيل في كتاب النظريات الكبار في مسألة استثناء الأصع المعلومة من الصبرة لما احتج بأنه عمل أهل المدينة : « أجمعوا على ذلك عملاً به ، وهم أعرف بسيرة الرسول ﷺ ، وهم نقله مكان قبره ، وعين منبره ، ومقدار صاعه ، فكانت الثقة بهم كالثقة باجماع المجتهدين ، وتواتر الرواية عن المحدثين ، وعندني أن اجماعهم حجة فيما طريقه النقل ... ، فنقلهم مقدم على كل نقل »^(٣) .

المرتبة الثانية: وهي ما كان باتفاق أكثرهم : العمل القديم قبل مقتل عثمان ابن عفان ، فهذا - كما يقول ابن تيمية - حجة في مذهب مالك ، وهو المنصوص عن الشافعي ، قال في رواية يونس بن عبد الأعلى : إذا رأيت قدماً أهل المدينة على شيء فلا تتوقف في قلبك ريباً أنه الحق ، وكذا ظاهر مذهب أحمد أن ما سنه الخلفاء الراشدون حجة يجب اتباعها ، وقد ثبت في الحديث الصحيح حديث العرياض بن سارية عن النبي ﷺ أنه قال : «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى ، تمسكوا بها ، وعضوا عليها بالنواجذ» . والمحكي عن أبي حنيفة يقتضى أن قول الخلفاء الراشدين حجة ، وما يعلم بأهل المدينة عمل قديم على عهد الخلفاء الراشدين مخالف لسنة الرسول ﷺ^(٤) .

(١) راجع أعلام الموقعين : ٤٢١/٢ .

(٢) صحة عم أهل المدينة : ص ٢٣ .

(٣) المسودة لآل تيمية : ص ٣٢ .

(٤) صحة عمل أهل المدينة : ص ٢٦ ، وانظر المسودة : ص ٣٣٢ .

المرتبة الثالثة: ومنها ما هو حجة عند بعضهم : إذا تعارض في المسألة دليلان كحديثين وقياسين جهل أيهما أرجح ، وأحدهما يعمل بعمل أهل المدينة ، ففي هذه المسألة نزاع ، فمذهب بعض العلماء أن الجانب الذي فيه عمل أهل المدينة يرجح بالجانب الآخر ، وهذا مذهب مالك والشافعي ومذهب أبي حنيفة أنه لا يرجح به ، ولأصحاب أحمد وأجهان : أحدهما - وهو قول القاضي أبي يعلى وابن عقيل - إنه لا يرجح .

والثاني : وهو قول أبي الخطاب وغيره أن يرجح به ، قيل : هو المنصوص عن أحمد ومن كلامه قال : إذا رأى أهل المدينة حديثاً وعملوا به فهو الغاية ، وكان يفتي على مذهب أهل المدينة ، ويقدمه على مذهب أهل العراق .

المرتبة الرابعة : وهو ما ليس بحجة عند جمهورهم : فهو ما سبيله الاجتهاد، فإن عملهم الذي سبيله الاجتهاد ليس بحجة على غيرهم ، فإنهم ليسوا بمعصومين عن الخطأ ، واجتهادهم ليس معصوما ، يقول ابن عقيل من الحنابلة : « وإنما لا يكون (إجماعهم على عمل) حجة في باب الاجتهاد لأن معنا مثل ما معهم من الرأي »^(١) .

ويقول ابن القيم في هذه المسألة : « وأما العمل الذي طريقه الاجتهاد والاستدلال ، فهو معترك النزاع ، ومحل الجدل ، قال القاضي عبد الوهاب : وقد اختلف أصحابنا فيه على ثلاثة أوجه : أنه ليس بحجة أصلاً ... وهذا قول أبي بكر وأبي يعقوب الرازي ، والقاضي أبي بكر بن متاب ، والطيالسي والقاضي أبي الفرج والشيخ أبي بكر الأبهري ، وأنكر هؤلاء أن يكن هذا مذهباً للمالك أو لأحد من معتمدي أصحابه .

والوجه الثاني : أنه وإن لم يكن حجة ، فإنه يرجح به اجتهادهم على اجتهاد غيرهم ، وبه قال بعض أصحاب الشافعي .

(١) المسودة : ص ٣٣١ .

والثالث : أن إجماعهم من طريق الاجتهاد حجة ، وإن لم يحرم خلافه ، كاجماعهم من طريق النقل ، وهذا مذهب قوم من أصحابنا ، وهو الذي عليه كلام أحمد بن المعدل وأبي بكر وغيرهما ، وذكر شيخ الإسلام رحمه الله تعالى ، أن في رسالة مالك إلى الليث بن سعد ما يدل عليه ، وقد ذكر أبو مصعب في مختصره مثل ذلك ، والذي صرح به القاضي أبو الحسين بن أبي عمر في مسأله التي صنعها على أبي بكر الصيرفي نقضا لكلامه على أصحابنا في اجماع أهل المدينة ، وإلى هذا يذهب جل أصحابنا المغاربة أو جميعهم^(١) .

والذي حققه شيخ الإسلام ابن تيمية أن العمل المتأخر بالمدينة ليس بحجة ، ومذهب الشافعي وأحمد وأبي حنيفة والذي عليه أئمة الناس أنه ليس بحجة شرعية ، وهو قول المحققين من أصحاب مالك ، وربما جعله بعض أهل المغرب من أصحابه حجة ، وليس معهم نص ولا دليل ، بل هم أهل تقليد كما يقول ابن تيمية .

وابن تيمية على سعة علمه واطلاعه وتحقيقه لمذاهب أهل العلم لم ير في كلام مالك ما يوجب جعل هذا حجة ، فإن الامام مالك يذكر في موطنه الأصل المجمع عليه عندهم ، فهو يحكى مذاهبهم ، وتارة يقول : الذي لم يزل عليه أهل العلم ببلدنا يصير إلى الاجماع القديم ، وتارة لا يذكر .

ولو كان مالك يعتقد أن العمل المتأخر حجة يجب على جميع الأئمة اتباعها وإن خالفت النصوص لوجب عليه أن يلزم بذلك حدّ الامكان ، كما يجب عليه أن يلزمهم اتباع الحديث والسنة الثابتة التي لاتعارض فيها وبالاجماع ، وقد عرض عليه الرشيد أو غيره أن يحمل الناس على موطنه فامتنع عن ذلك ، وقال إن أصحاب رسول الله تفرقوا في الأمصار ، وإنما

(١) اعلام الموقعين : ٤٢١/٢ .

جمعت علم أهل بلدي ، أو كما قال^(١) .

ترك أخبار الأحاد لعمل أهل المدينة :

يذهب كثير من المالكية إلى أن عمل أهل المدينة مقدم على أخبار الأحاد الصحيحة ، ووجهة نظرهم أن عملهم بمنزلة روايتهم عن الرسول ﷺ ، ورواية جماعة عن جماعة أولى بالتقديم من رواية فرد عن فرد ، ثم إن أهل المدينة أدرى بالسنة والناسخ والمنسوخ ، وقد نقل الامام مالك اجماع أهل المدينة في موطنه على نيف وأربعين مسألة^(٢) .

وفي الرد على هذا المذهب نقول : لا يرتضى جمهور العلماء أن عمل أهل المدينة بمنزلة الرواية عن الرسول ﷺ دائما ، فقد يكون مبني على اجتهاد علمائهم ممن يخالفهم فيه غيرهم ، وقد سبق القول أن اجماعهم على هذا النحو ليس معصوما ، وبذلك لا يجوز معارضة خبر الرسول ﷺ الثابت بالسند الصحيح بما يسمى بعمل أهل المدينة إذا كان اجماعهم على العمل من هذا النوع .

وأما إذا كان عملهم مبني على النقل عن الرسول ﷺ فهل يجوز أن يخالف هذا الإجماع الأحاديث الصحيحة الثابتة ؟ يقول ابن القيم : « من المحال عادة أن يجمعوا على شيء نقلا متصلا من عندهم إلى زمن رسول الله ﷺ وأصحابه ، وتكون السنة الصحيحة الثابتة قد خالفته ، هذا من أين الباطل »^(٣) .

(١) صحة عمل أهل المدينة : ص ٢٧ .

(٢) الفكر السامي : ٣٨٨/١ .

(٣) اعلام الموقعين : ٤٢٣/٢ .

ضوابط شرعية للألعاب الرياضية (١)

بقلم الدكتور

سعيد عبدالعظيم

الحمد لله ، والصلاة على رسول الله وعلى آله وصحبه وبعد :

فإن مجال الرياضة يتسع للكبير والصغير ، والرجل والمرأة ، وتختلف دوافع أهله ، وتتفاوت طموحاتهم ، وتنوع طاقاتهم ، فمنهم المحسن ، ومنهم المسيء ؛ والرياضة - في ذاتها - سواء أكانت بدنية أم ذهنية ، منها النافع المفيد ، ومنها الضار الفاسد . ثم الرياضة وغير الرياضة - بل وكل شأن من شؤون الحياة - لا بد من ضبطه بكتاب الله وبسنة رسول الله ﷺ سواء أكان قولاً أم فعلاً ، دافعاً أم سلوكاً .

ولا يصلح في ذلك ما تعارفت عليه الأمم والشعوب ، أو ما صار مشهوراً مألوفاً إذا خالف شرع الله تعالى ؛ إذ الشرع حاكم على الأفراد والدول والجماعات ، وضابط للمشاعر والسلوكيات ، ومهيمن على كل ناحية من نواحي الحياة وزاوية من زواياها: ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم ، وأتممت

(١) (اختصرت مجلة الحكمة هذا البحث ليناسب الأبحاث التي تنشرها المجلات ، وإلا فإن أصل البحث أطول بكثير مما أوردناه هنا ، والمجلة تعتذر للمؤلف الكريم عن عدم تمكنها من نشره كاملاً لضيق المجال وكثرة الموضوعات المعروضة على المجلة لنشرها) .

التحرير

عليكم نعمتي ، ورضيت لكم الإسلام ديناً ﴿١﴾ ؛ ﴿ ألا له الخلق والأمر
تبارك الله رب العالمين ﴾ ﴿٢﴾ .

وقد رأيت أن أسوق مسائل عدة بين يدي الحديث عن حكم الألعاب
الرياضية الشائعة في عالمنا المعاصر ، وسميت هذا البحث « ضوابط شرعية
للألعاب الرياضية » والله أسأل أن يجعلها نصيحة خالصة لوجهه الكريم ،
وذخراً يوم الدين: ﴿ يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب
سليم ﴾ ﴿٣﴾ .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

(١) سورة المائدة: ٣ .

(٢) سورة الأعراف: ٥٤ .

(٣) سورة الشعراء: ٨٨ .

المألة الأولى: الحرص على رضا الله تعالى

يحرص المسلم على أن ينال رضا الله والجنة ، وأن ينجو من سخطه ومن النار ، ولذلك فهو في رياضته وفي شأنه كله يقيم نفسه وفق منهج العبودية ، ويحرص على الاستقامة على كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ ، فهذه هي الغاية من خلق الخلق ؛ قال تعالى: ﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ، ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون ، إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين ﴾^(١) .

المألة الثانية: سعة مفهوم العبادة في الإسلام وشموله

العبادة كما يعرفها شيخ الإسلام ابن تيمية: هي مفهوم واسع ، واسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة . وقال أيضاً: العبادة هي طاعة الله بامثال ما أمر الله به على السنة الرسل .

فمن الخطأ أن يتوهم بعض الناس أن الرياضة لا علاقة لها بالدين ، ويردد المقولة الفاسدة: دع ما لقيصر لقيصر ، وما لله لله ! أو يظن أن العبادة قاصرة على الصلاة والصيام والزكاة والحج وحسب ! وقد وسع الشرع في مفهوم الصدقة فقال النبي ﷺ: (تسمك في وجه أخيك صدقة) . وقال: (وفي بضع أحدكم صدقة) ، أي إتيان الرجل امرأته . وقال: (اللقمة يضعها الرجل في في امرأته يكتب له بها أجر) . وقال: (إذا قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة فإن استطاع أن لا تقوم حتى يغرسها فليغرسها ، فإن له بذلك أجر) .

(١) سورة الذاريات: ٥٦ - ٥٨ .

المألة الثالثة : الإسلام لا يعارض التطور والتقدم

لا تعارض بين التحضر والتطور والتقدم ، وبين استمساكنا بعقيدتنا وأخلاقنا الإيمانية ، وقد أمر سبحانه المؤمنين بالأخذ بكل أسباب القوة فقال : ﴿ وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ﴾^(١) . ومن سمات هذه الدعوة المباركة التطور ، لا الرجوع إلى الوراء ، ولكن التطور إنما يكون فيما يقبل التطور ولا مصادمة فيه للكتاب والسنة ؛ فالعبادات ، كالصلاة ونحوها ، تؤخذ دون زيادة أو نقصان ، لأن الأصل فيها التوقيف ؛ أما المعاملات فالأصل فيها الإباحة إذا روعيت ضوابطها الكلية مثل : (لا ضرر ولا ضرار) ؛ ﴿ إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها ﴾^(٢) فلا يُحظر ولا يُمنع من المعاملات إلا ما خالف الكتاب والسنة ، فلا مانع شرعي من صناعة السيارات والطائرات ، ولا حرج في بناء النوادي والمدارس ؛ والعبرة بما استخدمت من أجله ، فالوسائل لها حكم المقاصد ، وحسبنا أن تكون غاياتنا مشروعة والوسائل إليها محمودة .

المألة الرابعة : فوائد الرياضة والغرض المقصود منها

يقول الشيخ أبو بكر الجزائري : إن الغرض من جميع هذه الرياضات التي كانت تُعرف في صدر الإسلام بالفروسية هو الاستعانة بها على إحقاق الحق ونصرته والدفاع عنه .

ولم يكن الغرض منها الحصول على المال وجمعه ، ولا الشهرة وحب الظهور ، ولا ما يستتبع ذلك من العلو في الأرض والفساد فيها ، كما هي أكثر حال المرتاضين اليوم .

إن المقصود من كل الرياضات على اختلاف أنواعها هو التقوى واكتساب

(١) سورة الأنفال : ٦٠ .

(٢) سورة النساء : ٥٨ .

القدرة على الجهاد في سبيل الله تعالى ، وعلى هذا يجب أن تفهم الرياضة في الإسلام ، ومن فهمها على غير هذا النحو فقد أخرجها عن مقصدها الحسن إلى قصد سيئ من اللهو الباطل ، والقمار الحرام . والأصل في مشروعية الرياضة قوله تعالى : ﴿ وَأَعِدُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ ﴾ ^(١) ؛ وقول الرسول ﷺ : (المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف). والقوة في الإسلام تشمل السيف والسنان، والحجة والبرهان. أ.هـ.

ومن أجل هذا الغرض أذن النبي ﷺ للحبشة أن يلعبوا بالحرايب في مسجده الشريف ، وأذن لزوجته عائشة رضي الله عنها أن تنظر إليهم ، وهو يقول لهم : (دونكم يا بني أرفدة) ، وهي كنية يُنادى بها أبناء الحبشة عند العرب .

وتقول عائشة رضي الله عنها : (لقد رأيت النبي ﷺ يسترني بردائه وأنا أنظر إلى الحبشة يلعبون في المسجد حتى أكون أنا التي أسأله ، فاقْدُرُوا قدر الجارية الحديثة السن (الصغيرة) الحريصة على اللهو) متفق عليه .

أهميتها بالنسبة للأطفال :

جاء في كتاب منهج التربية النبوية للطفل (٢١٦) نقلاً عن مقالة الدكتور

محيي الدين توق ما يلي : وللعب عدد من الفوائد والقيم :

القيمة الجسدية : إن اللعب النشط ضرورة لنمو العضلات للطفل ؛ من خلال اللعب يتعلم مهارات الاكتشاف وتجميع الأشياء .

القيمة التربوية : إن اللعب يفسح المجال أمام الطفل كي يتعلم الشيء الكثير من خلال أدوات اللعب المختلفة ، كمعرفة الطفل للأشكال المختلفة والألوان والأحجام والملابس ؛ وفي كثير من الأحيان يحصل الطفل على معلومات

(١) سورة الأنفال : ٦٠ .

من خلال اللعب لا يستطيع الحصول عليها من مصادر أخرى .

القيمة الاجتماعية: يتعلم الطفل من خلال اللعب كيف يبنى علاقات اجتماعية مع الآخرين ، ويتعلم كيفية التعامل معهم بنجاح ، كما أنه يتعلم من خلال اللعب التعاون ، واللعب مع الكبار والأخذ والعطاء .

القيمة الخلقية: يتعلم الطفل من خلال اللعب بدايات مفاهيم الخطأ والصواب ، كما يتعلم بشكل مبدئي بعض المعايير الخلقية كالعدل والصدق والأمانة وضبط النفس والروح الرياضية .

القيمة الإبداعية: يستطيع الطفل عن طريق اللعب أن يعبر عن طاقاته الإبداعية ، وأن يجرب الأفكار التي يحملها .

القيمة الذاتية: يكتشف الطفل عن طريق اللعب الشيء الكثير من نفسه ؛ كمعرفة قدراته ومهاراته من خلال تعامله مع زملائه ومقارنة نفسه بهم ، كما أنه يتعلم من مشاكله وكيف يمكنه مواجهتها .

القيمة العلاجية: يصرف الطفل عن طريق اللعب التوتر الذي يتولد نتيجة القيود المختلفة التي تفرض عليه ، ولذا نجد أن الأطفال الذي يأتون من بيوت تكثر فيها القيود والأوامر والنواهي يلعبون أكثر من غيرهم من الأطفال ؛ كما أن اللعب وسيلة من أحسن الوسائل لتصريف العدوان المكبوت .

المألة الخامسة : ساعة وساعة

عن حنظلة الأسدي رضي الله عنه قال: لقيني أبو بكر فقال: كيف أنت يا حنظلة ؟ قلت: نافق حنظلة . قال: سبحان الله ! ما تقول ؟ قلت: نكون عند رسول الله ﷺ ، يذكرنا بالنار والجنة حتى كأننا رأي عين ، فإذا خرجنا من عند رسول الله ﷺ عافسنا (لاعبنا) الأزواج والأولاد والضيقات فنسينا كثيراً . قال أبو بكر: فوالله إنا لنلقى مثل هذا .

قال حنظلة: فانطلقت أنا وأبو بكر حتى دخلنا على رسول الله ﷺ ،

قلت: نافق حنظلة يا رسول الله ، فقال رسول الله ﷺ: وما ذاك ؟ قلت: يا رسول الله ، نكون عندك تذكرنا بالنار والجنة حتى كأنا رأي عين ، فإذا خرجنا من عندك عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات ، ونسينا كثيراً .

قال رسول الله ﷺ: (والذي نفسي بيده ، إنكم لو تدومون على ما تكونون عندي وفي الذكر لصافحتكم الملائكة على فرشكم وفي طرقكم ، ولكن يا حنظلة ، ساعة وساعة ؛ وكرر هذه الكلمة (ساعة وساعة) ثلاث مرات) رواه مسلم .

فلا بأس بشيء من اللهو المباح للترويح عن النفس ، فقد كان النبي ﷺ يمزح ولا يقول إلا حقاً ، ويأمر الركب أن ينطلق ثم يسابق السيدة عائشة رضي الله عنها ؛ ويقول خيركم خيركم لأهله ، وأنا خيركم لأهلي . وصح عنه أيضاً أنه قال: (إن لربك عليك حقاً ، ولأهلك عليك حقاً ولنفسك عليك حقاً ؛ فأعط كل ذي حق حقه) .

نعم ، لا حرج على المسلم أن يروح عن نفسه بشيء من اللهو المباح ، ولكن الحرج في أن تصبح حياة الإنسان لهواً ولعباً ، أو أن يشغل بذلك عن الواجبات ، أو أن يهزل في موضع الجد ، أو أن يتلهى بالمعاصي والمحرمات ، أو أن يعيش بمنطق الجاهلية الأولى ويقول: اليوم خمر ، وغداً أمر ؛ أو ساعة لربك وساعة لقلبك ، والساعة التي هي لقلبه يطيع فيها كل شيطان مريد !!! .

ولذلك لا نستغرب إذا عاش بعد ذلك بمفهومين وبوجهين وبولاءين ؛ وجه له في المسجد فيه أمارات التقى وعلامات الصلاح ، والآخر فيه الرياء وطلب الشهرة الزائفة وكشف العورات وموالة أعداء الدين .

المألة السادسة : معنى ذم الدنيا وما فيها من لهو ولعب

ورد ذم الدنيا وذم أهلها في أكثر من موضع من كتاب الله ومن سنة رسول الله ﷺ ، ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد ﴾^(١) ، وقال : ﴿ وما الحياة الدنيا في الآخرة إلا متاع ﴾^(٢) .

وكان رسول الله ﷺ يقول : (لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافراً منها شربة ماء) رواه الترمذي وصححه . وقال : (ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم أصبعه في اليم فلينظر بم يرجع) رواه مسلم . وقال : (إن الدنيا حلوة خضرة ، وإن الله مستخلفكم فيها فينظر كيف تعملون ، فاتقوا الدنيا واتقوا النساء) رواه مسلم . وقال أيضاً : (الدنيا ملعونة ، ملعون ما فيها إلا ذكر الله ، وما والاه ، وعالماً ومتعلماً) رواه الترمذي ، وقال حسن غريب .

فكل ما يشغل عن ذكر الله وأمره فهو مذموم ، وهو دنيا ملعونة .

ولا ينصرف هذا الذم لمكان أو زمان الدنيا ، فقد جعل ربنا الليل والنهار خلفه لمن أراد أن يذكر أو أراد شكوراً ، وإنما ينصرف إلى أفعال العباد المخالفة لأوامر ربهم جلّ وعلا . قال بعضهم : متاع الغرور ما ألهى صاحبه عن طلب الآخرة ، وما لم يُلْهَك عن طلب الآخرة فليس بمتاع غرور ، ولكن متاع بلاغ إلى ما هو أبلغ منه .

وقال آخر : كيف لا أحب دنيا قُدر لي فيها قوت اكتسب به حياة ، أدرك بها طاعة أنال بها الجنة ، ونعمت الدار الدنيا كانت للمؤمن وذلك أنه عمل قليلاً وأخذ زاده منها إلى الجنة ، وبثت الدار كانت للكافر والمنافق ، وذلك أنه ضيع لِياليه وكان زاده منها إلى النار؛ وما بعد الدنيا من دار إلا الجنة أو النار .

(١) سورة الحديد: ٢٠ .

(٢) سورة الرعد: ٢٦ .

المائة السابعة : سياسة الإلهاء بالرياضة

تتفنن شياطين الإنس والجن وتتضافر قواهم على الإفساد والإلهاء وإشغال الناس عن دين ربهم . والإعلاميون بصفة خاصة لهم دور خطير في هذا المجال ، لإلهاء الرأي العام وترويضه ؛ فهم يسلكون عدة مسالك : منها سياسة الإغراق بمشكلات الحياة اليومية ؛ ومنها سياسة الإلهاء بنعيم الدنيا الزائل ، وكل مظاهر الترف واللهات وراء المال .

ومن أهم هذه السياسات سياسة الإلهاء بالرياضة ، إلى أن تصبح هدفاً وغاية في ذاتها ؛ لا حديث للناس إلا عنها ، وبينما يعرف الناس دقائق التفصيلات عن أخبار الرياضة والرياضيين ، لا يكادون يعرفون شيئاً عن دينهم ، وينخرط كبار السن والنساء ، فضلاً عن الشباب المراهقين في ذلك ! وهذه مصيبة المصائب التي نعاني منها ، وإلا فالرياضة لا شيء فيها ، أما أن تُستعمل وسيلة لتخدير الشباب وصددهم عن ذكر الله وعن الصلاة ، وتفريغ طاقاتهم في اللهو واللعب ليل نهار - دون مبالاة أو اهتمام بما يحدث للمسلمين في فلسطين أو الصومال أو البوسنة أو الهند أو روسيا - فهذا نرفضه . يقول الدكتور رفيق سكري : إن إلهاء الشعب بمباريات كرة القدم ، والمصارعة ، والأفلام والمسلسلات الجنسية ، والمغامرات على الطريقة الأمريكية ، لا يورث إلا الجهل والقهر وبلادة الحس عند المواطن .

المائة الثامنة : الحذر من العصبية الجاهلية

التعصب للحق والاجتماع عليه أمر مشروع ، أما المذموم فهو التعصب للباطل ، وهذا داخل ضمن قوله تعالى : ﴿ وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان ﴾^(١) . ولما سمع النبي ﷺ الجاهجاء يقول : يا للمهاجرين . وسان بن وبر الجهني يقول : يا للأنصار . قال : (دعوها فإنها منتنة ؛ أبدو عوى الجاهلية وأنا حي بين أظهركم !) .

(١) سورة المائدة : ٢ .

وكان ذلك إثر رجوعهم من غزوة المريسيع (بني المصطلق) .

وعلى الرغم من أن لفظي المهاجرين والأنصار يدلان على خيرية هؤلاء وفضيلتهم - رضوان الله عليهم - إلا أنه لما خشي أن يصيرا عصبية واجتماعاً على غير ذات الله رفضهما رسول الله ﷺ ، وسماهما دعوى الجاهلية من قبيل التشبيه بحالة أهل الجاهلية في تفرقهم واختلافهم .

فالرياضة الصحيحة ليس من شأنها إثارة الشحناء والبغضاء ؛ لا بين اللاعبين ، ولا بين المشاهدين .

ومعرفتنا بمعاني الأخوة الإيمانية واعتصامنا بمثل ما كان عليه رسول الله ﷺ ، من شأنه أن يبصّرنا بما يجب علينا في أقوالنا ، وفي أفعالنا ، وكيف يكون تعاملنا مع النفس ومع الخصوم في رياضتنا ، حال فوزنا ، أو خسارتنا .

وفي الحديث: (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه) . متفق عليه . ويقول النبي ﷺ: (مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى) متفق عليه . ويقول أيضاً: (المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً) متفق عليه .

وكل هذا يتنافى مع الشتم والضرب والبذاءات ، بل والقتل الذي يحدث بسبب الانتصار للاعب أو لفريق .

والأمة تمر بمرحلة ووقت هي أحوج ما تكون فيه إلى جمع الكلمة في مواجهة التحديات الخطيرة من أعداء الإسلام ؛ وفي الحديث: (ليس منا من دعا إلى عصبية ، وليس منا من قاتل على عصبية ، وليس منا من مات على عصبية) .

المسألة التاسعة : مساواة المرأة بالرجل متى في الرياضة !!

انطلقت المرأة تشارك الرجل في كل المجالات ؛ في التعليم والعمل والمواصلات والبرلمان والقضاء والحكم ، وحتى في الرياضة !! ممارسة وتشجيعاً !! ، فأصبحت المرأة تشارك في مباريات كرة القدم والسلة والطائرة ، وفي مسابقات السباحة والجري والوثب ؛ سواء أكانت محلية أم دولية .

لقد استطاع أعداء الإسلام استدراج المرأة للخروج من بيتها ومملكتها ، ففسدت وأفسدت غيرها ، وشاعت الرذيلة بسبب تبرج النساء واختلاطهن بالرجل ؛ فالمرأة كلها فتنة : صوته ومظهرها وجميع أجزائها ، ولذلك فهي أشد فتنة ، وأخطر شيء على الرجال ؛ وفي الحديث : (ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء) متفق عليه . وقرن الرسول ﷺ فتنتها بفتنة الدنيا فقال : (إن الدنيا حلوة خضرة ، وإن الله مستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون ؛ فاتقوا الدنيا واتقوا النساء ؛ فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت من النساء) رواه مسلم .

وهناك أمور عدة لا بدّ من التنبيه عليها في هذه المسألة :

١- حجاب المرأة المسلمة :

الرياضة لا تُحل الحرام ، والنية الطيبة ، ورفع اسم البلد عالياً خفاقاً لا يجيز للمرأة أن تتبرج ، والفارق كبير بين ملابس النساء الرياضية وبين الحجاب الشرعي الذي أمرها به ربها وخالقها ؛ قال تعالى : ﴿ ولا يبدن زينتهن إلا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن ﴾^(١) .

وقال جلّ وعلا : ﴿ يا أيها النبي ، قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يُعرفن فلا يؤذين وكان الله غفوراً

(١) سورة النور : ٣١ .

رحيماً ﴿١١﴾ . وقد اتفق العلماء على وجوب تغطية ما سوى الوجه والكفين، ولم يختلفوا في ذلك ، بل وقد أشارت بعض النصوص إلى مشروعية النقاب كما في قوله ﷺ : (لا تتقب المرأة المحرمة ولا تلبس القفازين) أخرجه البخاري .

وهذا يدل على شيوعه . وبمفهوم المخالفة ؛ فإن غير المحرمة تتقب وتلبس القفازين .

٢- التدليك أو المساج :

وهذا من لوازم الرياضة بزعمهم !! والتدليك قد يفعله الرجل مع الرجل ، والمرأة مع المرأة ، كما يفعله الرجال مع النساء ؛ وفي ذلك مخالفات لنصوص الشريعة ، وإثارة لبواعث الشهوة والفتنة .

أخرج مسلم والترمذي وغيرهما أن رسول الله ﷺ قال : (لا ينظر الرجل إلى عورة الرجل ، ولا المرأة إلى عورة المرأة ؛ ولا يفضي الرجل إلى الرجل في ثوب واحد ، ولا تفضي المرأة إلى المرأة في ثوب) .

وقد ثبت النهي عن مصافحة المرأة الأجنبية في كثير من النصوص منها قول النبي ﷺ : (من مس كف امرأة ليس منها بسبيل ، وضع على كفه جمرة يوم القيامة) . وروى البخاري عن عائشة رضي الله عنها : (لا والله ما مست يد رسول الله ﷺ يد امرأة قط ، غير أنه يبايعهن بالكلام) .

فيحرم مصافحة المرأة الأجنبية ولمس بشرتها ، سواء أكانت كبيرة أم صغيرة ، والنية حسنة أم سيئة ، حتى لو كان الرجل متخصصاً في ذلك ، وهذا هو عمله ومهنته .

وهذا التدليك أيضاً لا ينفك عن النظر المحرم ، فالرجل يحرم عليه أن ينظر إلى عورة الرجل ، والمرأة يحرم عليها أن تنظر إلى عورة المرأة ، كما

(١) سورة الأحزاب: ٥٩ .

يحرم على الرجل أن ينظر إلى المرأة والعكس لغير ضرورة ، والمساج
الرياضي لا يدخل ضمن الضرورات ، قال تعالى: ﴿ قل للمؤمنين يغضوا
من أبصارهم ﴾^(١) ؛ وقال تعالى: ﴿ وقل للمؤمنات يغضضن من
أبصارهن ﴾^(٢).

٣- السفر بغير محرم:

المشاركة في المباريات ؛ المحلية منها والدولية ، قد تدفع المرأة للسفر ،
وعادة يتم الارتحال دون زوج أو محرم ؛ وقد وردت نصوص الشريعة تمنع
ذلك ، ففي الحديث: (لا تسافر امرأة إلا مع ذي محرم) رواه مسلم .

وفي حديث أبي هريرة: (لا يحل لامرأة مسلمة تسافر مسيرة يوم إلا مع
ذي حرمة منها) ، وفي رواية (يومين) ، وفي أخرى: (ثلاثة) ، وفي
رواية: (يوم وليلة) ؛ وكل هذه الروايات صحيحة ، بل رد النبي ﷺ
الرجل الذي اكتتب في إحدى الغزوات وخرجت امرأته حاجة ، فقال له
النبي ﷺ: (ارجع فحج مع امرأتك) .

فالمرأة يحرم عليها السفر - الذي اصطلح عليه عرفاً وصف سفر - إلا مع
زوج أو محرم ، سواء أكان سفراً بالطائرة أم بالقطار أم بالسيارة ؛ مريحاً
أم متعباً ؛ يستغرق يوماً أو أكثر أو أقل .

والدورات والمسابقات الرياضية ليست ضرورة شرعية تُبيح لها السفر
بمفردها، كسفر أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط عندما أسلمت وخافت الفتنة
على نفسها في الإقامة وسط الكفار ، فارتحلت دون محرم لأنها لم تجد
محرمًا مسلمًا يرتحل معها .

(١) سورة النور: ٣٠ .

(٢) سورة النور: ٣١ .

المائة العاشرة : ستر عورات الرياضيين

أصبح كشف العورات بالنسبة إلى الرجال والنساء السمة البارزة في رياضة اليوم ، تجد ذلك في السباحة ورفع الأثقال ، وكمال الأجسام والمصارعة .

قال النووي: ذهب أكثر العلماء إلى أن الفخذ عورة استناداً إلى حديث علي عن رسول الله ﷺ: (لا تكشف فخذك ولا تنظر إلى فخذ حي ولا ميت) . فعورة الرجل ما بين السرة إلى الركبة ، وقد أخرج مسلم وأبو داود عن المسور بن مخرمة قال: حملت حجراً ثقيلاً ، فبينما أمشي سقط عني ثوبي ، فقال رسول الله ﷺ: (خذ عليك ثوبك ، ولا تمشوا عراة) .

وأخرج أبو داود عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده قال: قلت: يا رسول الله ، عوراتنا ما نأتي منها وما نذر ؟

قال: (احفظ عورتك إلا من زوجتك أو ما ملكت يمينك . قال: قلت: يا رسول الله ، إذا كان القوم بعضهم في بعض ؟ قال: إن استطعت أن لا يرينها أحد فلا يرينها . قال: قلت: يا رسول الله ، إذا كان أحداً خالياً ؟ قال: الله أحق أن يستحي منه من الناس) .

لقد تساهل الناس في هذا الجانب في حجرات خلع الملابس وغيرها ، وقد نشأ من إفضائهم إلى بعضهم رجالاً أو نساءً ما لا تحمد عقباه ، مما يدل على غاية الحكمة في التشريعات الإسلامية ؛ فإياكم والتعري .

المائة الحادية عشرة : الاختلاط المحرم في الرياضة

يختلط الرجال بالنساء في أثناء الممارسة والتدريب والتحكيم وسفر البعثات والفرق الرياضية ، وقد يتم ذلك في الملاعب لمجرد المشاهدة ، وأحياناً تُعقد المباريات بين الجنسين في كرة القدم ، وكل ذلك حرام لا يجوز ؛ فعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: (المرأة عورة ، فإذا خرجت استشرفها الشيطان) .

وفي رواية زيادة: (وأقرب ما تكون من ربها إذا هي في قعر بيتها) رواه الترمذي وقال حسن صحيح .

قال المناوي في فيض القدير: ومن هذه صفته فحقه أن يُستر . والمعنى المتبادر أن المرأة ما دامت في خدرها لم يطمع الشيطان فيها وفي إغواء الناس، فإذا خرجت طمع وأطمع ، لأنها حباثله وأعظم فُخوخه .

من السهل اليسير على من وضع شرع ربه نُصب عينيه أن يجد للنساء الرياضة المناسبة لهن بعيداً عن هذا الاختلاط المريب ، وبعيداً عن أعين الرجال الأجانب .

المادة الثانية عشرة: احترام الموائع الدولية والأعراف الرياضية

كل لعبة لها قواعدها ، وكل رياضة لها أعرافها ؛ والموائع والقوانين تقضي بأن تُحترم !!

هكذا يقولون ؛ وهذا فيه حرج بالغ على من أراد أن يمارس الرياضة وفق هذه النظم التي تفرض عليه زياً خاصاً قد يكشف عورته كما في كمال الأجسام ونحوه ، وينحني بطريقة معينة كما في الكاراتيه وغيرها ، ويضرب الوجه ويتلف الأعضاء كما في الملاكمة والمصارعة الحرة .

وهذا كله وغيره كثير مسموح به ، بل لا يُسمح بسواه وفق القوانين والقواعد والموائع والأعراف الرياضية مما فيه احترام وتوقير لشعائر الكفر والعصيان ، فكيف يُجبر المسلم عليها ؟ ! وهل الرياضة ضرورة تبيح له المحظورات والمخالفات ؟! قال تعالى: ﴿ فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً ﴾ ^(١) .

حكى الشافعي - رحمه الله - إجماع الصحابة ومن بعدهم على أنه من

(١) سورة النساء: ٦٥ .

استبانت له سنة رسول الله ﷺ لم يكن له أن يدعها (يتركها) لقول أحد من الناس كائناً ما كان ؛ فالشرع يقضي على القواعد والنظم والقوانين والأعراف سواء أكانت دولية أم محلية ، هنا أم هناك . وعلى كل مسلم أن يتمثل قوله تعالى: ﴿ قل إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم ﴾^(١) .

المسألة الثالثة عشرة : إظهار شعائر الدين

الرياضة فرصة عظيمة لإظهار شعائر الدين ، أو هكذا يجب أن تكون وسنيين في هذه المسألة ما يجب إظهاره والحرص عليه من شعائر الدين :

١- المحافظة على الصلاة حيث ينادى لها :

فلا يُسمح بإقامة المباريات وقت الصلاة ، ولا التخلف عن صلاة الجماعة بسبب مشاهدة الدورة الرياضية ، سواء أكانت عالمية أم محلية .

فالشرع لا بد أن يقود الدنيا ، والسلوكيات تأتي تابعة ومحكومة بما جاء في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ؛ قال تعالى: ﴿ إن الصلاة كان على المؤمنين كتاباً موقوتاً ﴾^(٢) وقال: ﴿ حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين ﴾^(٣) ؛ وقال: ﴿ فويل للمصلين ، الذين هم عن صلاتهم ساهون ، الذين هم يراءون ويمنعون الماعون ﴾^(٤) . وقد ثبت أن ترك الصلاة كفر ، وأن من فاتته صلاة العصر فقد حبط عمله . وأخرج الترمذي وأبو داود والنسائي وابن ماجه عن أبي الجعد الضمري قال: قال رسول الله ﷺ : (من ترك ثلاث جمع تهاوناً بها طبع الله على قلبه) ؛ وفي الحديث: (لقد هممت أن أمر بالصلاة فتقام ، ثم أمر رجلاً فيصلي

(١) سورة الزمر: ١٣ .

(٢) سورة النساء: ١٠٣ .

(٣) سورة البقرة: ٢٣٨ .

(٤) سورة الماعون: ٤- ٧ .

بالناس ، ثم أنطلق معي برجال معهم حزم من حطب إلى قوم لا يشهدون الصلاة فأحرق عليهم بيوتهم بالنار) . فهل يعذر من تخلف عن صلاة الجماعة بأنه كان يلعب أو يشاهد المباراة !!

٢- الدعوة إلى الله تعالى :

فهذه مهمة الأنبياء وأتباعهم ؛ قال تعالى : ﴿ وادع إلى ربك ، إنك لعلى هدى مستقيم ﴾ ^(١) ؛ وقال : ﴿ وادع إلى ربك ولا تكونن من المشركين ﴾ ^(٢) ؛ وقال : ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ﴾ ^(٣) ؛ وقال : ﴿ والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ﴾ ^(٤) . وإذا كنا لا نخلق الفرص فنحن أيضاً لا نضيعها ، والرياضة فرصة عظيمة لإبلاغ الحق إلى الخلق كافة ، هنا وهناك ، ولأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حُمُر النعم (أنفس أموال العرب من الإبل) ، وخير لك من الدنيا وما فيها .

٣- السلام تحية الإسلام وكراهة السجود والانحناء والإشارة :

عن أنس رضي الله عنه قال : « قال رجل : يا رسول الله ، الرجل منا يلقي أخاه وصديقه ، أينحني له ؟ قال : (لا) . قال : أفيلزمه ويقبله ؟ قال : (لا) . قال : أفياخذه بيده ويصافحه ؟ قال : (نعم) » . رواه أحمد وابن ماجه والترمذي وحسنه .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : إن تقبيل اليد لم يكونوا يعتادونه إلا قليلاً . وقال في الآداب الكبرى : وتباح المعانقة وتقبيل اليد والرأس تديناً وإكراماً

(١) سورة الحج : ٦٧ .

(٢) سورة القصص : ٨٧ .

(٣) سورة آل عمران : ١١٠ .

(٤) سورة التوبة : ٧١ .

واحتراماً مع أمن الشهوة .

وظاهر عدم إباحته لأمر الدنيا، واختاره بعض الشافعية ؛ والكراهة أولى .

قال المروزي : سألت أبا عبدالله عن قبلة اليد ، فقال : إن كان على طريق التدين ، فلا بأس ؛ قبل أبو عبيدة يد عمر بن الخطاب رضي الله عنهما ، وإن كان على طريق الدنيا فلا إلا رجلاً تخاف سيفه أو سوطه . أ.هـ .

وقد جزم الإمام ابن القيم في الهدى بتحريم السجود والانحناء والقيام على الرأس وهو جالس .

وقال أنس رضي الله عنه : « كان أصحاب رسول الله ﷺ إذا تلاقوا تصافحوا ، وإذا قدموا من سفر تعانقوا » .

وأخرج الطبراني في الأوسط بإسناد جيد عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : (إن المؤمن إذا لقي المؤمن فسلم عليه وأخذ بيده فصافحه تناثرت خطاياهما كما يتناثر ورق الشجر) .

فلا يصح هذا التقليد الأمل للكفار فيما يتعلق بالتحية ، فقد أغنانا ربنا وكفانا ؛ والتحية لا تكون بالإشارة أو الانحناء أو السجود أو بالصيحة كما هو مشاهد في بعض الرياضات .

المادة الرابعة عشرة : ضياع مفهوم الولاء والبراء بسبب الرياضة

وهذه من أعظم المخاطر التي يُتخوف منها بسبب غربة الحال وانعدام التمييز عند الكثرة بين ما يحل وما يحرم ، مما أدى إلى اختلاط مفاهيم الولاء والبراء ، فأصبحنا نبغض الشخص ونعاضه لكونه يلعب لفريق غير فريقنا ، أو يشجع النادي الفلاني ؛ وترى بعض الناس يحب ما عليه الكفار من دين باطل ويواليهم على ما هم عليه ، بل وقد يقدمهم على المسلمين بسبب إتقانهم اللعب ، وهذا وذاك من جملة المصائب التي ابتلينا بها بسبب عدم إنزال الأمور منازلها ، فغالب موالاة الناس ومعاداتهم لأجل الدنيا ولا حظ

للدين فيها ، بل قد تتم المباريات وتُعقد الدورات الرياضية ، حتى مع
المحاربين لهذه الأمة ، مع ما يتبعه من تلبيس وتدليس على عموم الخلق .

المادة الخامسة عشرة

الروح الإيمانية هامة على الروح الرياضية

من الناس من يحب محبة خالصة لا معاداة فيها ، وهم المؤمنون الخالص
من الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين . ومنهم من يحب من وجه
ويغض من وجه ، وهم عصاة المؤمنين .

ومنهم من يُغض ويعادي بغضاً ومعاداة خالصين ، لا محبة ولا موالاة
معهما ، وهم الكفار والمشركون والمنافقون والمتردون والملحدون ، على
اختلاف أجناسهم ، فهؤلاء لا محبة ولا أخوة ولا صداقة ولا مودة ولا
موالاة بيننا وبينهم ، وإن جاز لنا عيادتهم في مرضهم ورحمتهم بالرحمة
العامة ؛ كإطعامهم من جوع ، وسقيهم من عطش ، ومداواتهم من
مرض . ويجوز التزوج من كتابية ، وأكل ذبائح أهل الكتاب إذا ذبحوا ذبحاً
شرعياً ، كما تجوز هديتهم والبيع والشراء معهم ومجادلتهم بالتي هي أحسن .
والعدل واجب حتى مع الكافر ؛ وبكل ذلك وردت نصوص الشريعة .
وليس معنى التزوج من كتابية أن يحب الرجل ما هي عليه من دين باطل ؛
وكذلك مصاحبته لوالديه بالمعروف إن كانا كافرين ، ليس معناه موالاةهما أو
محبتتهما . فعلينا أن نفرق بين البر والمودة المذكورة في قوله تعالى : ﴿ لا
ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن
تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين ﴾^(١) . فالبر المتمثل في دفع
المال ونحوه للرحم الكافرة شيء ، والمودة التي هي عمل القلب شيء آخر ،
فلا داعي للخلط بين المفاهيم ؛ قال تعالى : ﴿ والذين كفروا بعضهم أولياء

(١) سورة الممتحنة : ٨ .

بعض إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير ﴿١﴾ . قال الحافظ ابن كثير: أي إن لم تجانبوا المشركين وتوالوا المؤمنين وإلا وقعت فتنة في الناس وهو التباس الأمر واختلاط المؤمنين بالكافرين ، فيقع بين الناس فساد منتشر عريض طويل . أ.هـ . وهذا ما حصل في هذا الزمان ، والله المستعان .

بدعة الهتافات والتصفيق والصفير :

وكان هذه الأشياء من لوازم الرياضة التي لا تنفك عنها . وغالباً ما يفعلها الناس على سبيل التشجيع كما يقولون !! قال تعالى: ﴿ وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاءً وتصديّة فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون ﴾ (٢) .

قال ابن عباس: كانت قريش تطوف بالبيت عُرّة يصفقون ويصفرون ، فكان ذلك عبادة في ظنهم . والمكاء: الصفير ؛ والتصديّة: التصفيق . قال مجاهد والسدي وابن عمر رضي الله عنهم ، وقال قتادة: المكاء ضرب بالأيدي ، والتصديّة صياح .

قال القرطبي في تفسيره: وعلى التفسيرين ففيه رد على الجهال من الصوفية الذين يرقصون ويصفقون ، وذلك كله منكر يتنزه عن مثله العقلاء ، ويتشبه فاعله بالمشركين فيما كانوا يفعلونه عند البيت . أ.هـ .

وقد ثبت في السنن أن التصفيق للنساء والتسبيح للرجال ، وأن من ناب عنه شيء في صلاته فلتصفق النساء ولتسبح الرجال ، فإذا احتاجت المرأة إلى التصفيق ضربت بباطن الكف على ظهر الأخرى ، كما بين الإمام النووي في شرحه لصحيح مسلم .

(١) سورة الأنفال: ٧٣ .

(٢) سورة الأنفال: ٣٥ .

المائة السادسة عشرة

مسائل مهمة في شأن الحلال والحرام تتعلق بالرياضة وغيرها

١- الأصل في الأشياء الإباحة :

الأصل في الأشياء الإباحة إلا ما استثناه النص والدليل ؛ ففي الحديث : (ما أحل الله في كتابه فهو حلال ، وما حرم فهو حرام ، وما سكت عنه فهو عفو ؛ فاقبلوا من الله عافيته ، فإن الله لم يكن لينس شيئاً ؛ وتلا النبي ﷺ : ﴿ وما كان ربك نسياً ﴾ ^(١) رواه الحاكم وصححه ، وأخرجه البزار .

وقال ﷺ : (إن الله فرض فرائض فلا تضيعوها ، وحد حدوداً فلا تعتدوها ، وحرم أشياء فلا تنتهكوها ، وسكت عن أشياء رحمة بكم غير نسيان فلا تبحثوا عنها) رواه الدارقطني وحسنه النووي .

والتحليل ، والتحریم حق لله وحده لا ينازعه فيه مخلوق سواء أكان حاكماً أم محكوماً ، رياضياً أم غير رياضي ؛ قال تعالى : ﴿ ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون ﴾ ^(٢) .

وقال النبي ﷺ لعدي بن حاتم : (بلى ، إنهم حرموا عليهم الحلال ، وأحلوا لهم الحرام فاتبعوهم) (أي الأحرار والرهبان) ، فذلك عبادتهم إياهم) رواه الترمذي وحسنه .

وقال ابن تيمية : إن السلف لم يطلقوا الحرام إلا على ما علم تحريمه قطعاً . ولهذا كان الإمام أحمد وسائر الأئمة يُسألون عن الأمر فيقولون : نكرهه . أو لا يعجبني . أو لا أحبه . أو لا أستحسنه ؛ وما ذلك إلا لتعظيمهم لحرمة الله تعالى ، ولعلمهم أن تحريم الحلال وتحليل الحرام قرين الشرك ،

(١) سورة مريم : ٦٤ .

(٢) سورة النحل : ١١٦ .

ففي الحديث القدسي: (إني خلقت عبادي حنفاء ، وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم وحرمت عليهم ما أحللت لهم ، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطاناً) رواه مسلم .

٢- ما أدى إلى الحرام فهو حرام :

وردت نصوص الشريعة بسد الذرائع التي تفضي إلى مواقعة المحرمات والكفريات ، فالنتائج لا تنفصل عن المقدمات ، والمسببات لها دواعيها وأسبابها ، وكل عقيدة لها تأثيرها .

ومن رحمة الله بعباده أن سد عليهم أبواب المعاصي والفجور فالزنى حرام ، ومقدماته كالتبرج والخلوة والاختلاط والصور العارية والسفر دون محرم ومصافحة الأجنبية والخضوع بالقول والغناء الفاحش والأدب المكشوف ، كل ذلك أيضاً حرام ؛ وهكذا كل ما أعان على الحرام فهو حرام ، وكل من أعان على محرم فهو شريك في الإثم ؛ قال تعالى: ﴿ وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان ﴾ ^(١) . فكل ما أدى إلى الحرام فهو حرام ، والتحاييل على الحرام حرام حتى لو سميناه بغير اسمه ، كحالة من يسمي الرقص الخليع فناً ؛ والخمر مشروبات روحية ؛ والربا فائدة ؛ وسباحة المرأة وجريها أمام الرجال وهي شبه عارية (رياضة) .

وقد ورد في الحديث (لا ترتكبوا ما ارتكب اليهود وتستحلوا محارم الله بأدنى الحيل) . وقد سبق أن ذكرنا أن النية الحسنة لا تبرر الحرام ، والغاية لا تبرر الوسيلة ؛ فكيف إذا ساءت النيات والوسائل !!

في الحلال كفاية للجميع وتحقيق لمصالح الكل :

من صفات رسول الله ﷺ الموجودة عند أهل الكتاب ما ذكر في قوله تعالى: ﴿ الذين يتبعون النبي الأمي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة

(١) سورة المائدة: ٢ .

والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم^(١). فكل ما فيه مفسدة ومضرة في العاجل والآجل ورد الشرع بتحريمه ؛ وكل ما فيه مصلحة شرعية معتبرة أباحه ؛ وفي الحلال ما يُغني عن الحرام ويسع العباد كبيرهم وصغيرهم ، رجالهم ونساءهم ، فلم يضيق ربنا جل وعلا على عباده في جانب إلا وسع عليهم في جانب آخر من جنسه ؛ فعندما حرم عليهم الزنى واللواط أعاضهم عنهما بالزواج الحلال ، وقس على ذلك ؛ قال تعالى : ﴿ يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ﴾^(٢) ؛ وقال : ﴿ والله يريد أن يتوب عليكم ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلاً عظيماً ، يريد الله أن يخفف عنكم وخلق الإنسان ضعيفاً ﴾^(٣) .

وعلى المؤمن أن يقول دائماً : سمعنا وأطعنا ؛ حتى وإن لم يعلم الحكمة من تحريم أمر من الأمور ؛ قال تعالى : ﴿ ألم ، أحسب الناس أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ، ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين ﴾^(٤) . واعلم أن الورع من الدين ، وأن من اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه ؛ ففي الحديث : (الحلال بين والحرام بين ، وبين ذلك أمور متشابها لا يدري كثير من الناس : أمن الحلال هي أم الحرام ؟ فمن تركها استبرأ لدينه وعرضه فقد سلم ، ومن واقع شيئاً منها يوشك أن يواقع الحرام ؛ كما أن من يرعى حول الحمى أوشك أن يواقعه ؛ ألا وإن لكل ملك حمى ألا وإن حمى الله محارمه) رواه البخاري ومسلم والترمذي .

(١) سورة الأعراف : ١٥٧ .

(٢) سورة البقرة : ١٨٥ .

(٣) سورة النساء : ٢٧ - ٢٨ .

(٤) سورة العنكبوت : ١ - ٣ .

٤- الضرورات تبيح المحظورات :

وهذا من جملة التخفيف والتيسير ورفع الحرج عن العباد . وقد استنبطت هذه القاعدة من عشرات النصوص الشرعية ؛ فإذا وقعت مخمصة يجوز للإنسان أن يأكل من الميتة القدر الذي يدفع به الهلكة عن نفسه إذا لم يجد شيئاً مباحاً .

وكذلك يجوز للإنسان أن يشرب الخمر لدفع الغصة التي يُخشى الهلكة منها إذا لم يجد ماءً مثلاً لدفعها ؛ فلا عنت في دين الله ، والمشقة قرينة التيسير ؛ وليس معنى ذلك أن نستمرئ الحرام ، أو أن نتعدى حدود ما أنزل الله ، أو أن نجعل ما ليس بضرورة مسوّغاً لارتكاب الحرام ، ونستدل عليه بقولنا الضرورات تبيح المحظورات ؛ فعمل الرجل في بيع الخمر ، وعزفه على آلات الطرب ، ورقص النساء في الملاهي ، وتسهيل الربا في البنوك ، وكذلك جري المرأة وسباحتها وهي عارية أمام الرجال ليس بضرورة ؛ حتى وإن كان هذا هو عملها ، أو أن المسابقة ورفع اسم البلد عالياً يتطلب ذلك . فالضرورة لها ضوابطها الشرعية التي يجب مراعاتها حتى لا نكون كاليهود الذين استحلوا الحرام بأدنى الحيل .

٥- اعتبار المصالح والمفاسد في الفتاوى والأحكام :

كان شيخ الإسلام ابن تيمية يقول: ليس العاقل الذي يعلم الخير من الشر، وإنما العاقل الذي يعلم خير الخيرين وشر الشرين . وقد نحتاج الآن أكثر من أي وقت مضى إلى أعمال ميزان الحسنات والسيئات ، والمصالح والمفاسد نتيجة غياب الشريعة ؛ وفي ذلك يقول ابن تيمية: وهذا - أي التعارض - باب واسع جداً لا سيما في الأزمنة والأمكنة التي نقصت فيها آثار النبوة وخلافة النبوة ، فإن هذه المسائل تكثر فيها ؛ وكلما ازداد النقص ازدادت هذه المسائل .

وقال: ووجود ذلك من أسباب الفتنة بين الأمة ، فإنه إذا اختلطت

الحسنات والسيئات وقع الاشتباه والتلازم ؛ فأقوام قد ينظرون إلى الحسنات فيرجحون هذا الجانب وإن تضمن سيئات عظيمة ، وأقوام قد ينظرون إلى السيئات فيرجحون الجانب الآخر ، وإن ترك حسنات عظيمة ، والمتوسطون الذين ينظرون الأمرين قد لا يتبين لهم أو لأكثرهم مقدار المنفعة والمضرة ، أو يتبين لهم فلا يجدون من يعينهم العمل بالحسنات وترك السيئات لكون الأهواء قارنت الآراء . أ.هـ .

فإذا وجد النص - من الكتاب أو السنة - فلا بد من النزول عليه والعمل بمقتضاه ، فلا اجتهد مع النص ؛ وتقدير المصالح والمفاسد إنما يكون بالشرع لا بالهوى ولا بد فيه من تقدير عواقب الأمور كي نحقق المصلحة ونُدفع المضرة والمفسدة ، فإن تيسر لنا ذلك وإلا رددنا لعلماء الأمة المعبرين ليضبطوا لنا الأمر ويقيسوا الأشباه بالأشباه ، والنظائر بالنظائر ؛ وقد نحتاج في ذلك إلى التزام أدنى المضرتين بدفع أعلاهما ، والتزام أعظم المصلحتين بتفويت أدناهما .

وقد بَوَّب الإمام البخاري « باب ترك الإمام بعض الأمور المختارة للمصلحة الراجحة » فدرء المفاسد مقدم على جلب المصالح ، وهذا يتطلب معرفة بالشرع والواقع وتقى يمنع من الهجوم على الحرام بزعم تحقيق المصلحة ؛ فالفارق كبير بين المصلحة الشرعية والمصلحة الهوائية .

يقول ابن القيم : فإن الشريعة مبناها على الحِكم ومصالح العباد في المعاش والمعاد ، وهي عدل كلها ورحمة كلها ومصالح كلها وحكمة كلها ؛ فكل مسألة خرجت عن العدل إلى الجور ، وعن الرحمة إلى ضدها ، وعن المصلحة إلى المفسدة ، وعن الحكمة إلى العبث فليست من الشريعة وإن أدخلت فيها بالتأويل . أ.هـ .

المائة السابعة عشرة

حكم مشاهدة المعصية مع عدم الإنكار على الفاعل

ورد في كتاب الفتاوى لأبي الفضل عبدالله الصديق الغماري ، ما يأتي :
كثير من الناس يعتقد أن الشخص إذا لم يباشر المعصية بنفسه فلا يلحقه وزرها ، ولو شاهدها أو ساعد عليها ؛ ولهذا نرى بعض المطاعم في شهر رمضان تشتغل طول اليوم مع أن أصحابها صائمون مصلون ، ويحتجون بأن هذا (أكل عيش) .

ويذكر أنه كان في فرنسا وذهب لزيارة مغربي حاج فوجده يصلي المغرب داخل حانة يبيع فيها الخمر ، وامراته الفرنسية تزاول معه يبيع الخمر ، فلما كلمه في هذا التناقض الغريب احتج بأنه (أكل عيش) ، ثم نصحه بالعدول عن هذا التشدد ! وكل هذا خطأ فاحش ، وافتيات على الشرع ، وجهل فاضح بالضروري من أحكام الدين . والقاعدة الشرعية المستمدة من الأحاديث وإجماع العلماء أن كل ما حرم الشرع فعله تحرم مشاهدته والمساعدة عليه بأي نوع من أنواع المساعدة .

المائة الثامنة عشرة : نصيحة لأبناء الصحو

عندكم من علو الهمة وسعة العلم وعظم الأهداف ما يدفعكم للانشغال بكل ما هو جاد ونافع ومفيد . ولا يصح أن تكون حياتكم لهواً ولعباً ؛ فلكل مقام مقال .

ولكم في سلفكم الصالح أسوة حسنة وقدوة طيبة ، فقد كانوا يجلسون في حلقات العلم معلمين ومتعلمين ، وإذا سمعوا النداء للصلاة حرصوا على إدراك تكبيرة الإحرام مع الإمام ، وإذا دعا داعي الجهاد خرجوا يلبون النداء ويذلون الغالي والرخيص في سبيل نصرة دينهم .

وأنتم قد تعرفتم الغاية والمصير ، فاجعلوا أعمالكم في مرضاة ربكم ،

وأخلصوا النية في أقوالكم وأفعالكم ، واحذروا نسيان الغرض الشريف الذي شرعت الرياضة لأجله ، وهو التقوي على الجهاد من أجل إحقاق الحق وإبطال الباطل في الأرض ؛ وذلك بأن يعبد الله وحده ، ويُستقام على شرعه ، حتى يسعد الناس في دنياهم وأخراهم . ولذلك فإنني أربأ بكم أن تكون الرياضة عندكم عبارة عن مشاهدة المباريات - وخصوصاً كرة القدم !! أو أن تتركوا الصلوات ودروس العلم وحقوق الإخوة والأهل والأولاد بسببها، أو أن ترتفع صيحاتكم وهتافاتكم من أجلها وأنتم تعلمون أنه ليس للمرء إلا ما عقل من صلاته فلا تنشغلوا بالرياضة عن طاعة ربكم ؛ وقد يخرج الإنسان من الصلاة وليس له منها إلا عشرها ، فلتكن الرياضة زيادة في حسناتكم لا نقصاً من درجاتكم وثوابكم .

المألة التاسعة عشرة: آفات الشهرة^(١)

الطريق إلى الشهرة محفوفة بالمخاطر التي لا تقلّ عن كثير من الآفات ، وقد يصل الأمر بالإنسان إلى أن يبيع دينه لنيل شهرة زائفة ، أو هالة كاذبة؛ والمضرة قد لا تقتصر على شخصه ، بل هي كثيراً ما تؤذي غيره .

ومن هنا ورد الحث على التواضع وترك حب الظهور ؛ فعن أبي هريرة مرفوعاً: (رب أشعث أغبر مدفوع بالأبواب لو أقسم على الله لأبره) رواه أحمد ومسلم وقال الحافظ: فيه ترك حب الرئاسة والشهرة وفضل الخمول والتواضع .

(١) راجع كتابنا: الشهرة أو عالم الأضواء .

وإليك بعض الآفات التي تتعلق بالشهرة لتكون منها على حذر :

١- إرادة الإنسان بعمله الدنيا :

وهذه صورة من صور الشرك ، وفيها يستخدم الإنسان دينه لنيل مآرب الدنيا كالذي يجاهد للقطيفة والخميلة ونحو ذلك ، ولذلك سماه النبي ﷺ عبداً ؛ ففي الصحيح عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : (تعس عبد الدينار تعس عبد الدرهم تعس عبد الخميصة تعس عبد الخميلة ، إن أعطي رضي وإن لم يعط سخط ؛ تعس وانتكس ؛ وإذا شيك فلا انتقش ؛ طوبى لعبد آخذ بعنان فرسه في سبيل الله أشعث رأسه ، مغبرة قدماه ، إن كان في الحراسة كان في الحراسة ، وإن كان في الساقة كان في الساقة ؛ إن استأذن لم يؤذن له ، وإن شفع لم يشفع) رواه البخاري . وإذا شيك فلا انتقش ، أي : إذا شاكته شوكة فلا يقدر على انتقاشها وهو إخراجها بالمنقاش .

٢- الرياء :

فطالب الشهرة يعمل ليراه الناس ويعظموه ، ويرى أنه لن يتحصل على الشهرة ولن يحافظ عليها إلا بالرياء والعمل لأجل المدح والجلالة في أعين الناس ، وهذا صنف خاسر كسابقه ، إذ لا يقبل الله من العمل إلا ما كان له خالصاً وابتغي به وجهه ؛ فعن أبي هريرة مرفوعاً قال الله تعالى : (أنا أغني الشركاء عن الشرك ؛ من عمل عملاً أشرك معي فيه غيري تركته وشركه) رواه مسلم .

فالمرائي قصد بعمله الله تعالى وغيره وجعل لله شريكاً ، فإذا كان كذلك فالله تعالى هو الغني على الإطلاق ، والشركاء ، بل جميع الخلق فقراء إليه . وفي رواية ابن ماجه وغيره : (فأنا منه بريء ، وهو للذي أشرك) ؛ كحال المنافقين في صلاتهم : ﴿ وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى يُراءون

الناس ﴿١﴾ .

وكذلك وصف الله الكفار بالرياء في قوله: ﴿ ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطراً ورثاء الناس ﴾ (٢) ؛ فلا اعتداد ولا ثواب إلا لما خلصت فيه النية لله تعالى .

٣- الكبر :

والتكبر يحدث بالعلم والمال والجمال والحسب والنسب والرياضة وكثرة الأتباع والأنصار والعشيرة ؛ وفي الحديث : (قلبه مثقال ذرة من كبر . فقال رجل : إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً ، ونعله حسناً . فقال : إن الله جميل يحب الجمال ؛ الكبر بطر الحق وغمط الناس) .

وبطر الحق : أي الاستكفاف عن قبوله ورده والنظر إليه بعين الاستصغار ، وذلك للترفع والتعظيم .

ومعنى غمط الناس : ازدراؤهم واحتقارهم ؛ قال تعالى : ﴿ سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق ﴾ (٣) ؛ وقال سبحانه : ﴿ كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار ﴾ (٤) ؛ وقال : ﴿ إنه لا يحب المستكبرين ﴾ (٥) ؛ وقال : ﴿ إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين ﴾ (٦) وقال ﷺ : (لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال

(١) سورة النساء : ١٤٢ .

(٢) سورة الأنفال : ٤٧ .

(٣) سورة الأعراف : ١٤٦ .

(٤) سورة غافر : ٣٥ .

(٥) سورة النحل : ٢٣ .

(٦) سورة غافر : ٦٠ .

حبة من خردل من كبر) رواه البخاري . وقال النبي ﷺ: (لا ينظر الله إلى رجل يجزر إزاره بطراً) رواه البخاري ومسلم . وقال النبي ﷺ: (يقول الله تعالى: (الكبرياء ردائي ، والعظمة إزاري ، فمن نازعني واحداً منهما ألقته في جهنم ولا أبالي) رواه مسلم بنحوه .

٤- العجب والغرور:

التفرد والامتياز قد يصيب الإنسان بحالة من حالات العجب والغرور، وهذه من جملة الآفات المهلكات؛ قال تعالى: ﴿ ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم من الله شيئاً ﴾^(١) . وقال النبي ﷺ: (ثلاث منجيات، وثلاث مهلكات ؛ فأما المنجيات: فتقوى الله في السر والعلانية ، والقول بالحق في السخط والرضا، والقصد في الفقر والغنى . وأما المهلكات: فهوى متبع ، وشح مطاع ، وإعجاب المرء بنفسه ، وهي أشدهن) رواه البيهقي ، وهو حسن لطرقه كما قال الألباني . وقال النبي ﷺ: (بينما رجل يتبختر في بردين وقد أعجبه نفسه خسف الله به الأرض يتجلجل فيها إلى يوم القيامة)؛ ولذلك قال تعالى: ﴿ فلا تزكوا أنفسكم ﴾^(٢) ؛ وقال سبحانه: ﴿ لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى ﴾^(٣) . والمن وليد العجب، وهذا واضح من قول قارون: ﴿ إنما أوتيته على علم عندي ﴾^(٤) ؛ ومن قول صاحب الجنتين: ﴿ أنا أكثر منك مالاً وأعز نفراً ﴾^(٥) .

(١) سورة التوبة: ٢٥ .

(٢) سورة النجم: ٣٢ .

(٣) سورة البقرة: ٢٦٤ .

(٤) سورة القصص: ٧٨ .

(٥) سورة الكهف: ٣٤ .

٥- الحسد :

حب الرياسة وطلب الجاه من أعظم أسباب الحسد ، وذلك كالرجل الذي يريد أن يكون عديم النظير في فن من الفنون ، إذا غلب عليه حب الثناء واستفزه الفرح بما يمدح به من أنه واحد الدهر وفريد العصر في فنه ، وأنه لا نظير له ، فإنه لو سمع بنظير له في العالم لساء ذلك وأحب موته أو زوال النعمة عنه ، لأنه يشاركه هذه المنزلة من شجاعة أو علم أو عبادة أو صناعة أو جمال أو ثروة أو غير ذلك مما يتفرد هو به ويفرح بسبب تفرده .

وقد كان علماء اليهود ينكرون معرفة الرسول ﷺ ، ولا يؤمنون به خيفة من أن تبطل رياستهم وجاههم بالرغم من أن البشارة به موجودة في كتبهم التي بين أيديهم ويتعبدون بقراءتها .

والحسد من أعظم المهلكات ، وهو كبيرة من الكبائر . وفي الحديث : (لا حسد إلا في اثنتين : رجل آتاه الله مالاً فسلطه على هلكته في الحق ؛ ورجل آتاه الله علماً فهو يعمل به ويعلمه الناس) متفق عليه . وفي حديث أبي كبشة الأنماري قال : (مثل هذه الأمة مثل أربعة : رجل آتاه الله مالاً وعلماً فهو يعمل بعلمه في ماله ، ورجل آتاه الله علماً ولم يؤته مالاً فيقول : رب ، لو أن لي مالاً مثل مال فلان لكنت أعمل فيه بمثل عمله ؛ فهما في الأجر سواء ، ورجل آتاه الله مالاً ولم يؤته علماً فهو ينفقه في معاصي الله ، ورجل لم يؤته الله علماً ولم يؤته مالاً فيقول : لو أن لي مثل مال فلان لكنت أنفقه في مثل ما أنفقه فيه من المعاصي ؛ فهما في الوزر سواء) رواه ابن ماجه والترمذي وقال حسن صحيح . والفارق كبير بين الغبطة والحسد ؛ فالغبطة ليس فيها تمنى زوال النعمة ولا كراهتها ، وترجع إلى إرادة المساواة والللحق به في النعمة .

٦- تقديم المفضول على الفاضل بسبب الشهرة :

التقديم والتأخير يجب أن يكون وفق الموازين الشرعية التي جاءت في كتاب الله وفي سنة رسول الله ﷺ ، ولا تصلح الشهرة وحدها ضابطاً لذلك . والإخلاص بهذا المعنى يترتب عليه كثير من المخالفات الشرعية منها : محبة ذوي الفسق والفجور ، وتقديمهم لشهرتهم على ذوي الصلاح والتقوى من المغمورين ؛ فنجد بعض الناس يتباهى برؤية بعض المغنين أو الراقصين أو الممثلين ، أو سماعهم ، أو حفظ سيرتهم وأخبارهم ، بينما هو لا يعباُ بعلماء الأمة وصالحائها ، بل ولم يحفظ شيئاً من كتاب الله ولا سنة رسول الله ﷺ ، فلا هو يعرف كيف يوحد ربه ، ولا كيف يصلي ، وما الذي تصح به الصلاة ، وما الذي تبطل به .

المادة العشرون : نهج الإسلام في تحلية العظماء

تحت هذا العنوان كتب القرضاوي في الحلال والحرام يقول : ولعل قائلاً يقول : أليس من الوفاء أن ترد الأمة بعض الجميل لعظمائها الذين كتبوا بأعمالهم صفحات مجيدة في تاريخها ، فتقيم لهم تماثيل مادية تذكر الأجيال اللاحقة بما كان لهم من فضل ، وما بنوه من مجد ؛ فإن ذاكرة الشعوب كثيراً ما تنسى ، واختلاف النهار والليل يُنسي ؟

والجواب : أن الإسلام يكره الغلو في تعظيم الأشخاص مهما بلغت مرتبتهم ، أحياء كانوا أم أمواتاً ؛ وقد قال النبي ﷺ : (لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى بن مريم ، ولكن قولوا عبدالله ورسوله) رواه البخاري وغيره .

وأراد الصحابة أن يقفوا إذا رأوا الرسول ﷺ تحية له وتعظيماً لشأنه فنهاهم عن ذلك وقال : (لا تقوموا كما تقوم الأعاجم يعظم بعضها بعضاً) أبو داود وابن ماجه . وحذر أمته أن يغلوا في شأنه بعد وفاته فقال : (لا تجعلوا قبري عيداً) أبو داود .

المألة الحادية والعشرون

سائل الكلب بالرياضة واتخاذها صفة

الرياضيون ينقسمون إلى هواة ومحترفين ؛ وهؤلاء وأولئك يتحصلون على المكافآت والمرتبات التي قد تقل هنا وتكثر هناك ، كما يتفاوت الأمر من رياضة إلى غيرها . والإسلام يفرق بين الطرائق المشروعة لاكتساب المال ، وبين غيرها ، فجميع الطرائق التي لا تحصل المنفعة فيها لفرد إلا بخسارة غيره غير مشروعة ، أما الطرائق التي يتبادل فيها الأفراد المنفعة فيما بينهم بالتراضي والعدل فهي مشروعة ؛ قال تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيماً ، ومن يفعل ذلك عدواناً وظلماً فسوف نصليه ناراً ﴾ ^(١) .

فلا يجوز لأحد أن يضر غيره لمنفعته الشخصية ، ولا يصح أن تكون السرقة والرشوة والقمار والغرر والخديعة والتدليس والربا وسيلة للكسب ، حتى وإن وُجد فيها التراضي ، فلا بد من النظر في الاعتبار لقوله تعالى : ﴿ ولا تقتلوا أنفسكم ﴾ ^(٢) .

وقد حارب الإسلام صناعات وحرف مثل البغاء والرقص والفنون الجنسية وصناعة التماثيل ونحوها ، وصناعة المسكرات المخدرات ، ونهى عن الوظائف التي من شأنها الإعانة على ظلم أو حرام ؛ كالعمل في الهيئات والمؤسسات التي تناوى الإسلام وتحارب أهله وتنشر الفسق والفجور . فعلى المسلم أن ينأى بنفسه دائماً عن الكسب الحرام ، وذلك لأن الله طيب لا يقبل إلا طيباً ؛ وكل لحم نبت من حرام فالنار أولى به ؛ وفي الحديث : (دع ما يريبك إلى ما لا يريبك) رواه أحمد والترمذي وقال حسن صحيح .

(١) سورة النساء : ٢٩ - ٣٠ .

(٢) سورة النساء : ٢٩ .

١- السبق والرهان :

السبق يحدث في معنى يتعلق بالصفات أو الزمان أو المكان ، فقد يحدث في علم أو سن أو مكانة أو رياضة ؛ وفي الحديث : (لا سبق إلا في خف أو حافر أو نصل) .

والمراد من السبق في الحديث هنا ما يوضع رهناً ويأخذه الفائز في سباق أو رماية ، وهذا الرهن يضعه أحد المتسابقين أو تضعه الحكومة أو جمعية خيرية أو بعض الأفراد المحسنين ، وذلك ليخلو من كل شبهة ، ويتمحض للتشجيع الخالص الذي لا يُراد به إلا الترغيب في الإعداد للجهاد .

جاء في الاختيارات الفقهية من فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية: ويجوز اللعب بما قد يكون فيه مصلحة بلا مضرة .

وظاهر كلام أبي العباس: لا يجوز اللعب المعروف بالمنقلة وكل ما أفضى إلى حرمة إذا لم يكن فيه مصلحة راجحة ، لأنه يكون سبباً للشر والفساد ، وما ألهى وشغل عما أمر الله به فهو منهي عنه وإن لم يحرم جنسه ؛ كالبيع ، والتجارة ، وسائر ما يتلهى به البطالون من أنواع اللهو وسائر ضروب اللعب مما لا يُستعان به على حق شرعي فكله حرام .

وروى الإمام أحمد ، والبخاري ، ومسلم: (أن عائشة رضي الله عنها وجوار كنّ معها يلعبن بالبنيات - وهن اللعب - والنبي ﷺ يراهن) فيرخص فيه للصغار ما لا يُرخص فيه للكبار .

والصراع والسبق بالأقدام ونحوهما طاعة إذا قصد به نصره الإسلام ، وأخذ السبق (الرهان) عليه أخذ بالحق ، فالمغالبة الجائزة تحل بالعوض (أي المقابل) إذا كان مما يُتنتفع به في الدين ، كما في مراهنه أبي بكر رضي الله عنه ، وهو أحد الوجهين في المذاهب .

قلت: وظاهر ذلك جواز الرهان في العلم وفاقاً للحنفية لقيام الدين بالجهاد والعلم ؛ والله أعلم . أ.هـ .

٢- القمار المحرم:

أجمع المسلمون على حرمة القمار حتى وإن تم بالتراضي ، وذلك لقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رَجَسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تَفْلَحُونَ . إِنَّمَا يَرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ ﴾^(١) .

والميسر هو القمار كما قال ابن عباس وغيره . وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ وَتَدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾^(٢) .

وكل ما كان على سبيل المخاطرة بين شخصين بحيث يغنم كل منهما على تقدير ، ويغرم من ماله على تقدير آخر قمار .

وذهب الحنفية إلى أن كل ما كان فيه تعليق المال على الخطر فهو من القمار ، أخذاً مما روي أن رجلاً قال لرجل: إن أكلت كذا وكذا بيضة فلك كذا وكذا .

فارتفعوا إلى علي رضي الله عنه فقال: هذا قمار . ولم يجزه . ومثل ذلك عندهم إذا قال الرجل: وهبتك هذا المال إذا قدم عمرو ، أو بعثتك هذه السلعة إذا خرج ؛ فهو باطل غير مفيد للملك .

والإسلام حين أباح ألواناً من اللهو واللعب حرم كل لعب يخالطه قمار ، وهو ما لا يخلو اللاعب فيه من ربح أو خسارة ؛ وفي الحديث: (من قال لصاحبه: تعال أقامرك . فليتصدق) .

فالقمار ليس من الوسائل المشروعة لاكتساب المال ، بل هو قرين الخمر ،

(١) سورة المائدة: ٩٠ - ٩١ .

(٢) سورة البقرة: ١٨٨ .

ويورث العداوة والبغضاء بين المتقارنين؛ كما أنه من أكل المال بالباطل . قال الجصاص: « ولا خلاف في خطر القمار إلا ما رخص فيه من الرهان في السبق في الدواب والإبل والنضال » .أ.هـ. ويقصد بالنضال المسابقة بالرمي .

٣- حكم الرهان على سباق الخيل الموجودة الآن:

جاء في فتوى دار الإفتاء المصرية ، صفحة ١٧٩ ، للشيخ عبدالمجيد سليم، ما نصه: إن المسابقة فيما ذكر إنما تجوز بجعل في الصور الثلاث الآتية:

الأولى: أن يكون المال المعين للسابق من غير المتسابقين ، بأن يكون من ولي الأمر ، سواء أكان من ماله الخاص أم من بيت المال أو من أجنبي متبرع ، وهو المسمى الآن بالجوائز .

الثانية: أن يكون المال من أحد المتسابقين دون الآخر ، بأن يتسابق اثنان ويقول أحدهما لصاحبه: إن سبق فرسك فرسي مثلاً كان لك كذا مني ، وإن سبق فرسي فرسك فلا شيء لي عليك .

الثالثة: أن يكون المال من كل من المتسابقين ، ويدخلا ثالثاً بينهما ويقولان للثالث: إن سبقتنا فإلّا لك ، وإن سبقناك فلا شيء لنا عليك ، والشرط الذي شرطاه بينهما وهو أيهما سبق كان له الجعل على صاحبه - باق على حاله - فإن غلبهما الثالث أخذ المالين ، وإن غلباه فلا شيء لهما عليه ؛ ويأخذ أيهما غلب المشروط له من صاحبه .

أما إذا كان المال مشروطاً من كل منهما ولم يُدخلا هذا الثالث فهو من القمار المحرم .

وقد أجاز بعض العلماء من غير الحنفية أن يكون الجعل من كل منهما دون إدخال الثالث بينهما كما يُعلم من صفحة ٣١٣ من الجزء الثالث من كتاب أعلام الموقعين ، ولكن المعروف عن الأئمة الأربعة عدم حل هذه

الصورة ، وما قلناه هو الجائز شرعاً على النحو الذي بينا .

وعلى ما سبق يُعلم أن الرهان المعروف الآن - سواء أكان رهاناً على سباق الخيل أم غيره من أنواع الرهان - من القمار المحرم شرعاً الذي ليس هناك نصوص تبيحه ، بل قد دلت النصوص التي ذكرناها على حرمة ؛ وإنما حرم الشارع الميسر الشامل لأنواع الرهان الموجودة الآن لما يترتب عليه من المفساد العظيمة التي نشاهدها كل يوم ؛ فقد أفضى إلى ضياع أموال كثيرة من المتراهنين ، وخراب بيوت لأسر كريمة ؛ كما حمل الكثير من المقامرین على ارتكاب شتى الجرائم ؛ من السرقة ، والاختلاس ، بل والانتحار أيضاً ، فالمطلع على ذلك وغيره مما أدى ويؤدي إليه القمار يزداد إيماناً بأن من رحمة الله وفضله وباهر حكمته أن حرمه على عباده ، كما حرم عليهم كثيراً من الأشياء لما يترتب عليها من المفساد والمضار . أ.هـ .

٤- خلاصة القول :

حاصل ما قاله الحنفية في هذا الموضوع أن الرهان بمال إنما يجوز فيما دل الدليل على الإذن به من المسابقة بالخيل (بالشروط المذكورة آنفاً) والإبل والرمي والإقدام والفقه . وحكمة مشروعية هذا الإذن أن الحاجة ماسة إلى تعلم الفروسية وإعداد الخيل والخبرة بالرمي والتفقه لتقوية الدين وإعلاء كلمة الله . والمسابقة في هذه الأشياء وسيلة إلى ذلك ، وهذا هو الذي ذهب إليه شيخ الإسلام ابن تيمية .

وينبني على ذلك أمور ثلاثة :

أ- حكم مسابقات القرآن الكريم والمسائل العلمية وأخذ الجعل عليها :

مما سبق يتبين جواز ذلك ؛ فلو قال أحد المحسنين : من حفظ القرآن الكريم أو جزءاً منه ، أو حديثاً من أحاديث رسول الله ﷺ ، أو حل المسابقة العلمية ، فله كذا من المال أو المتاع ، بقصد التشجيع على حفظ

كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ ، وعلى حفظ مسائل العلم التي لا بد منها للأمة ، وإن نجح من سابق أخذ الجائزة إن شاء أو تركها ؛ وعلى واضع الرهن أن يسلم به لصاحبه الفائز .

ب - المناضلة :

وهي المسابقة بالرمي بالنشاب أو البندقية أو الرشاش وما إلى ذلك ، وهي أفضل من السباق بالخيول وما إليها ، لقول الرسول ﷺ : (ارموا واركبوا ، وأن ترموا أحب إليّ من أن تركبوا) رواه مسلم . وذلك لأن تأثير الرمي في الجهاد أقوى من الركوب كما هو معروف .

والسباق والرمية عقد جائز ليس بواجب ؛ وعليه فإن لكل من المتسابقين أن يفسخ العقد متى شاء ، ويحرم خلف الوعد ؛ ومن قال : من سبقته منكم فليعطني كذا ، أو عليه كذا فلا يجوز ، لأنه خرج عن جنس السباق المشروع ، وأصبح طريقة اكتساب مال بغير حق شرعي . أما إن قال : من سبقني فله كذا ، فهذا لا حرج فيه .

ج - ما لا يجوز المسابقة فيه برهن ولا بغيره :

لا تجوز المباراة والمسابقة في لعب النرد (الطاولة) والشطرنج والكيرم والورق (الكوتشينة) والديمنو ، وما شابه ذلك من الألعاب الشائعة اليوم . كما لا تجوز كرة الطاولة بعوض ولا رهان ، فليست هذه الألعاب من الصور التي يُباح السبق (الرهان) فيها . وستعرض لحكم بعض هذه الألعاب كالنرد والشطرنج بالتفصيل بإذن الله .

تنبيه هام : المسابقات التي انتشرت هذه الأيام ، والتي تروج لبعض البضائع والسلع على حساب مثيلاتها ويتم السحب عليها ، هي لون من القمار المحرم ، كما أفتى بذلك الشيخ ابن باز .

فتوى مجمع الفقه بشأن أحكام بعض أنواع الرياضة :

القرار الثالث من قرارات مجلس المجمع الفقهي الإسلامي بشأن موضوع الملاكمة ، والمصارعة الحرة ، ومصارعة الثيران .

الحمد لله وحده ، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده ، سيدنا ونبينا محمد ﷺ ، وعلى آله وصحبه . أما بعد ؛

فإن مجلس المجمع الفقهي الإسلامي لرابطة العالم الإسلامي في دورته العاشرة المنعقدة بمكة المكرمة في الفترة من يوم السبت ٢٤ صفر ١٤٠٨ هـ ، الموافق ١٧ أكتوبر ١٩٨٧ م ؛ إلى يوم الأربعاء ٢٨ صفر ١٤٠٨ هـ ، الموافق ٢١ أكتوبر ١٩٨٧ م قد نظر في موضوع الملاكمة والمصارعة الحرة من جهة عدهما رياضة بدنية جائزة ، وكذا في مصارعة الثيران المعتادة في بعض البلاد الأجنبية ، هل تجوز في حكم الإسلام أم لا تجوز ؟

وبعد المداولة في هذا الشأن من مختلف جوانبه ، والنتائج التي تسفر عنها هذه الأنواع التي نسبت إلى الرياضة وأصبحت تعرضها ببرامج البث التلفازي في البلاد الإسلامية وغيرها . وبعد الاطلاع على الدراسات التي قدمت في هذا الشأن بتكليف من مجلس المجمع في دورته السابقة من قبل الأطباء ذوي الاختصاص ، وبعد الاطلاع على الإحصائيات التي قدمها بعضهم عما حدث فعلاً في بلاد العالم نتيجة لممارسة الملاكمة ، وما يشاهد في التلفزة من بعض مآسي المصارعة الحرة ؛ قرر مجلس المجمع ما يأتي :

أولاً : الملاكمة :

يرى مجلس المجمع بالإجماع أن الملاكمة المذكورة التي أصبحت تمارس فعلاً في حلبات الرياضة والمسابقة في بلادنا اليوم هي ممارسة محرمة في الشريعة الإسلامية ، لأنها تقوم على أساس استباحة إيذاء كل من المتغالبين للآخر إيذاءً بالغاً في جسمه قد يصل به إلى العمى أو التلف الحاد أو المزمّن في المخ ، أو إلى الكسور البليغة ، أو إلى الموت دون مسؤولية الضارب ، مع

فرح الجمهور المؤيد للمتصر ، والابتهاج بما حصل للآخر من الأذى ؛ وهو عمل محرم مرفوض كلياً وجزئياً في حكم الإسلام لقوله تعالى: ﴿ ولا تلتقوا بأيديكم إلى التهلكة ﴾^(١) ؛ وقوله تعالى: ﴿ ولا تقتلوا أنفسكم ، إن الله كان بكم رحيماً ﴾^(٢) ؛ وقوله ﷺ: (لا ضرر ولا ضرار) .

وعلى ذلك فقد نص فقهاء الشريعة على أن من أباح دمه الآخر فقال له: اقتلني . أنه لا يجوز له قتله ؛ ولو فعل كان مسؤولاً ومستحقاً للعقاب .

وبناء على ذلك يقرر المجمع أن هذه الملاكمة لا يجوز أن تُسمى رياضة بدنية ، ولا تجوز ممارستها ، لأن مفهوم الرياضة يقوم على أساس التمرين دون إيذاء أو ضرر ، ويجب أن تحذف من برامج الرياضة المحلية ومن المشاركات فيها في المباريات العالمية .

كما يقرر المجلس عدم جواز عرضها في البرامج التلفازية كيلا تتعلم الناشئة هذا العمل السيئ وتحاول تقليده .

ثانياً: المصارعة الحرة:

وأما المصارعة الحرة التي يستباح فيها كل من المتصارعين إيذاء الآخر والإضرار به ، فإن المجلس يرى فيها عملاً مشابهاً تمام المشابهة للملاكمة المذكورة ، وإن اختلفت الصورة ، لأن جميع المحاذير الشرعية التي أشير إليها في الملاكمة موجودة في المصارعة الحرة التي تجري على طريقة المصارعة ، وتأخذ حكمها في التحريم .

وأما الأنواع الأخرى من المصارعة التي تمارس لمحض الرياضة البدنية ، ولا يستباح فيها الإيذاء ، فإنها جائزة شرعاً ولا يرى المجلس مانعاً منها .

(١) سورة البقرة: ١٩٥ .

(٢) سورة النساء: ٢٩ .

ثالثاً: مصارعة الثيران :

وأما مصارعة الثيران المعتادة في بعض بلاد العالم ، والتي تؤدي إلى قتل الثور ببراعة استخدام الإنسان المدرب للسلاح ، فهي أيضاً محرمة شرعاً في حكم الإسلام ، لأنها تؤدي إلى قتل الحيوان تعذيباً بما يغرس في جسمه من سهام ، وكثيراً ما تؤدي هذه المصارعة إلى أن يقتل الثور مصارعه .

وهذه المصارعة عمل وحشي ياباه الشرع الإسلامي الذي يقول رسوله ﷺ في الحديث الصحيح : (دخلت امرأة النار في هرة حبستها ، فلا هي أطعمتها وسقتها إذ حبستها ، ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض) . فإذا كان هذا الحبس للهرة يوجب دخول النار يوم القيامة ، فكيف بحال من يعذب الثور بالسلاح حتى الموت ؟

رابعاً: التحريش بين الحيوانات :

ويقرر المجمع أيضاً تحريم ما يقع في بعض البلاد من التحريش بين الحيوانات ؛ كالجمال ، والكباش ، والديكة ، وغيرها ، حتى يقتل أو يؤذي بعضها بعضاً .

خامساً: العدو (الجري على الأقدام) :

كان سلمة بن الأكوع رضي الله عنه يسابق الخيل فيسبقها ، وكان علي رضي الله عنه عداءً (سريع الجري) ؛ وقد أجرى النبي ﷺ مسابقة الجري بين أطفال بني عمه العباس ، وكان يستقبل الفائز بصدرة فيقبلهم ويلتزمهم . وقد كان الصحابة رضي الله عنهم يتسابقون على الأقدام ، والنبي ﷺ يقرهم عليه . وكان النبي ﷺ أحياناً يأمر الركب فينطلق ثم يسابق السيدة عائشة رضي الله عنها ، وفي ذلك تقول أم المؤمنين : (سابقني رسول الله ﷺ فسبقته ، فلبثت حتى إذا أرمقني اللحم سابقني فسبقتني ، فقال : هذه بتلك) رواه أحمد وأبو داود .

ولا يجوز أن تجري المرأة أمام الرجال وهي شبه عارية على النحو الموجود الآن .

سادساً: المصارعة الرومانية :

هكذا توصف الآن تمييزاً لها عن المصارعة الحرة ، وقد مر بك حكم المصارعة الحرة والقول بتحريمها للإيذاء والإضرار الحادث فيها ، فإن خلت من ذلك ومارسها الناس لمحض الرياضة البدنية فلا حرج فيها ؛ وقد صارع النبي ﷺ ركانة - وكان ركانة من مشاهير العرب بالقوة - فصرعه النبي ﷺ ثلاث مرات ، ورد عليه غنمه التي جعلها ركانة رهناً للمصارعة وقال له : (ما كنا لنجمع عليك أن نصرعك ونغرمك ؛ خذ غنمك) . ويستفاد من ذلك أن المسابقة والمصارعة ونحوها لا تنافي الوقار والشرف والعلم والفضل وعلو السن ، فإن النبي ﷺ سابق عائشة ، وكان عمره فوق الخمسين ، وصارع ركانة على نحو ما مر بك .

سابعاً: الكاراتيه . والتايكوندو . والكونج فو ، والنينجا وما شابه ذلك :

تعلم هذه الألعاب بقصد الدفاع عن النفس وإلحاق المضرة والأذى بالمحاربين للإسلام أمر مشروع ، وهو داخل ضمن إعداد القوة المأمور بها في قوله تعالى : ﴿ وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ﴾^(١) ؛ وفي قول النبي ﷺ : (المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف) ؛ ولا يجوز فيها الركوع على سبيل التحية ، ولا ترويع المسلمين بالصيحة المعهودة وغيرها ، ولا استلحاقهم بمضرة أو بأذى^(٢) ؛ ففي الحديث (كل المسلم على المسلم حرام : دمه ، وماله ، وعرضه) رواه مسلم .

(١) سورة الأنفال : ٦٠ .

(٢) في بعض الألعاب يعمد كل لاعب إلى ضرب خصمه في الأماكن القاتلة والتي قد تفضي إلى الموت أو إتلاف عضو . وقد يصاب الوجه وهو مجمع الأعضاء الحساسة الدقيقة كما يحدث في الملاكمة ؛ وفي الحديث « ولا تضرب الوجه » .

ويقول النبي ﷺ: (لا يحل لمسلم أن يروّع مسلماً) رواه أحمد وأبو داود . وقال: (إن الله يكره أذى المؤمنين) رواه أحمد بسند جيد .

وقوله ﷺ: (المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده) متفق عليه . وفي الحديث: (المؤمن من آمنه المؤمنون على أنفسهم وأموالهم) رواه أحمد والترمذي والحاكم .

ثامناً: اللعب بالسهم (التصويب) :

كان النبي ﷺ يقول لأصحابه: (ارموا وأنا معكم) رواه البخاري . وقال أيضاً: (عليكم بالرمي ، فإنه خير لكم) رواه الطبراني والبخاري بإسناد جيد . وفي تفسير قوله تعالى: ﴿ وَأَعِدُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ ﴾^(١)، قال النبي ﷺ: (ألا إن القوة الرمي ، ألا إن القوة الرمي ، ألا إن القوة الرمي) رواه مسلم . وقال: (كل شيء ليس من ذكر الله فهو لهو أو سهو إلا أربع خصال: مشي الرجل بين الغرضين (للرمي) ، وتأديبه فرسه ، وملاعبته أهله ، وتعليمه السباحة) رواه الطبراني بإسناد جيد .

تاسعاً: سلاح الشيش (اللعب بالحراب) :

وهو مثل اللعب بالسهم ، وكلاهما جائز ، وقد مر بنا كيف كان الحبشة يلعبون بالحراب في المسجد بإذن رسول الله ﷺ ، فعن أبي هريرة قال: (بينما الحبشة يلعبون عند النبي ﷺ بحرابهم دخل عمر فأهوى إلى الحصباء فحصبهم بها ، فقال رسول الله ﷺ: دعهم يا عمر) متفق عليه . وكان ﷺ يقول: (دونكم يا بني أرفدة « بلغة الحبشة ») .

(١) سورة الأنفال: ٦٠ .

عاشراً: ألعاب الفروسية :

قال ﷺ : (الخيل معقود بنواصيها الخير) ؛ وقال ﷺ : (ارموا واركبوا) رواه مسلم . وعن ابن عمر : (أن النبي ﷺ سبق بين الخيل وأعطى السابق) رواه أحمد .

وقيل لأنس : أكنتم تراهنون على عهد رسول الله ﷺ ؟ أكان رسول الله ﷺ يراهن ؟ قال : « نعم والله ، لقد راهن على فرس يقال له سبحة ، فسبق الناس فهش لذلك وأعجبه » رواه أحمد .

وقال : (الخيل ثلاثة : فرس للرحمن ، وفرس للإنسان ، وفرس للشيطان ؛ فأما فرس الرحمن فالذي يرتبط في سبيل الله ، فعلفه وروثه وبوله ، وذكر ما شاء الله . وأما فرس الشيطان فالذي يقامر أو يراهن عليه . وأما فرس الإنسان فالذي يربطه الإنسان يلتمس بطنها فهي ستر من فقر) متفق عليه .

وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول : « علموا أولادكم السباحة والرماية ، ومروهم فليشربوا على ظهور الخيل وثباً » .

فتعلم ركوب الخيل من الرياضات النافعة ، وكذلك قيادة السيارات والدبابات والطائرات وما شابه ذلك ؛ ولا حرج في ذلك كله ، ولكن الحرج في ترك دائرة الحلال الواسعة والدخول بالنفس في متاهة الحرام الضيق كما هو الحال الآن في أندية السباق وما يحدث فيها من قمار منهبي عنه ؛ فهذه الفرس التي يقامر عليها هي فرس الشيطان ، وثمنها وزر ، وكذلك علفها وركوبها (راجع حكم الرهان على سباق الخيل) .

حادي عشر: سباق الدراجات والسيارات والزوارق البحرية :

وهذه من الرياضات الجائزة ، وهي ملتحنة بألعاب الفروسية ونفعها وفائدتها واضحة ، غير أنه يُخشى حدوث الهلكة أو غلبة الظن بذلك بسبب

السرعات الجنونية ، وخصوصاً في سيارات السباق ؛ وقد قال تعالى : ﴿ولا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ﴾^(١) ؛ وقال سبحانه : ﴿ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيماً ﴾^(٢) ؛ وقوله ﷺ : (لا ضرر ولا ضرار) . ومن المعلوم أن مع السرعات الكبيرة يصعب التحكم في القيادة .

ثاني عشر: السباحة والغطس :

وهي من أهم الرياضات وأنفعها في الحرب والسلم ، ولل كبير والصغير ؛ وقد مر بنا قول عمر : « علموا أولادكم السباحة والرماية وأن يشبوا على الخيل وثباً » . (وقد سبح النبي ﷺ في بستان أخواله بني النجار ولعب مع الصبيان) رواه أحمد عن أنس .

وقد اشتد الحرج الآن في ارتياد الشواطئ وحمامات السباحة بسبب كشف الرجال والنساء عن عوراتهم ، والاختلاط الذي يحدث في هذه الأمكنة . لقد كان بمقدورنا - إذا أردنا أن نتقي الله - أن نهى أمكنة خاصة بالنساء لا يدخلها الرجال حتى لا تتكشف النساء ، ونشيع المفاهيم الشرعية حتى لا يظهر الرجل عورته أمام الرجال ، ولا المرأة أمام المرأة ، ويتعرف الجميع قيمة السباحة . لا كونها وسيلة للهو واللعب ومعصية الله كما هو الحال الآن .

ثالث عشر: المشي على الجبال :

وهذه أشبه بالمغامرة والمخاطرة والمقامرة بالأرواح ، وتحتاج لدقة متناهية ، وصاحبها في خطر عظيم إذ لا نأمن عليه الوقوع ؛ وشأنه كشأن من يركب البحر وهو هائج ، وكمن ينام على السطح الذي لا سور له . ولا نجز له أن يتلف نفسه دون وجه حق ؛ إذ لا ضرر ولا ضرار ، وليست هذه الرياضة من الرياضات الشائعة ، فهي أشبه بلعب البهلوان في السيرك .

(١) سورة البقرة: ١٩٥ .

(٢) سورة النساء: ٢٩ .

رابع عشر: الصيد :

من اللهو النافع ، وهو متعة ورياضة واكتساب ؛ سواء أكان عن طريق النبال والرماح والبندقية أم عن طريق الجوارح كالكلاب والصقور . وينبغي للإنسان أن يذكر اسم الله على الآلة عند الرمي والضرب بها ، وأن تنفذ في الجسد حتى يكون قتلها بالنفاذ والחדش ، لا بالثقل ؛ فإذا أدرك الصيد حياً زكاه بمُحدد في منحر فيُنهر الدم ويفري الأوداج (وهي عروق العنق) ، وإذا اصطاد بكلب أو باز فيجب أن يكون معلماً ، وأن يصيد الصيد لأجل صاحبه لا لأجل نفسه ، وأن يُذكر اسم الله عليه عند إرساله .

ويشترط في الصائد لكي يؤكل صيده أن يكون مسلماً أو كتابياً ، ولا يصح صيد المحرم بالحج والعمرة ، كما لا يجوز الصيد بالحرم في مكة ، وإذا نسي الصائد التسمية عند الرمي أو الإرسال فليتدارك ذلك عند الأكل ؛ لحديث عائشة رضي الله عنها ، وإذا وجد الصيد ميتاً بعد الرمية فهو حلال بشرط أن لا يقع في الماء أو يتردى من جبل ، وأن لا يجد فيه أثراً لغير سهمه يعلم أنه سبب قتله ؛ وفي الحديث: (إذا رميت سهمك فغاب - أي الصيد - ثلاثة أيام وأدركته فكله ما لم ينتن) رواه مسلم .

وهذه الأحكام المذكورة في صيد البر ؛ أما صيد البحر فقد أحله الله جملة دون قيد: ﴿ أحل لكم صيد البحر وطعامه ﴾^(١) . ولا بد من الحذر من إهلاك الحيوان دون فائدة لمجرد العبث واللعب والضحك ؛ ومن ذلك: (أن النبي ﷺ لعن من اتخذ شيئاً فيه الروح غرضاً) متفق عليه ؛ وذلك لما فيه من تعذيب الحيوان وإتلاف نفسه وإضاعة المال .

(١) سورة المائدة: ٩٦ .

خامس عشر: كرة السلة والطائرة والتنس :

وهذه شبيهة بكرة القدم في حكمها وإن كانت ليست في انتشارها واشتهارها ؛ ولا بد من خلوها من المحاذير والمخالفات حتى يُحكم بإباحتها، ولا يُسمح للنساء بمزاولتها أمام الرجال الأجانب .

سادس عشر: تسلق الجبال والتزحلق على الجليد :

لا حرج في صعود الجبال والوصول إلى القمم لمصلحة أذن الشرع فيها ، مع الأخذ في الاعتبار بأسباب الحيلة وتجنب دواعي الهلكة ؛ أما لغير مصلحة ومع غلبة الظن بالمضرة فلا يجوز ذلك ، وخصوصاً مع تمهد الوسائل الآمنة في الوصول إلى قمم الجبال كجبال الهمالايا والألب . وقد سمعنا عن حوادث كثيرة راح أهلها ضحايا نتيجة هذه المحاولات . ولا بأس بالتزحلق على الجليد مع التأدب بالآداب الشرعية التي ذكرناها .

سابع عشر: كمال الأجسام ورفع الأثقال :

الأخذ بأسباب القوة مشروع ، وترويع الأعداء مطلوب ، فمن دواعي إعداد القوة ما ذكره سبحانه: ﴿ ترهبون به عدو الله وعدوكم ﴾^(١) ، والمؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف كما جاء في الحديث؛ ولا بأس في أن تكون هيئة الإنسان حسنة كما وردت بذلك الأخبار ، ولكن لا بد من الحذر بصفة خاصة في هذه الرياضات من الغرور والكبر والظلم واحتقار الناس والبطش بالضعفاء ؛ ففي الحديث: (بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم) متفق عليه . ويقول النبي ﷺ: (إن الله أوحى إلي أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد) رواه أبو داود وابن ماجه .

وقد حذر سبحانه من الخيلاء فقال: ﴿ ولا تصعر خدك للناس ولا تمش

(١) سورة الأنفال: ٦٠ .

في الأرض مرحاً إن الله لا يحب كل مختال فخور ﴿^(١)﴾ ؛ وقال في النهي عن السخرية بالآخرين: ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيراً منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيراً منهن ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون ﴾ ^(٢) ؛ وقول النبي ﷺ : (أتدرون ما الغيبة ؟ قالوا: الله ورسوله أعلم . قال: ذكرك أخاك بما يكره .

قيل: أرايت إن كان في أخي ما أقول ؟ قال: إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته ، وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهته) رواه مسلم .

ولا يجوز كشف العورات، وخصوصاً في لعبة كمال الأجسام ؛ والضوابط الشرعية التي بينها لا بد من تدبرها وتفهمها في هذه الألعاب وغيرها .

ثامن عشر: ألعاب الورق (كالكوثينة) واليانصيب والحظ :

لا تجوز ألعاب الورق (كالبلوت والكوثينة والثلاث ورقات) ، وقد قال الشيخ ابن باز حفظه الله عنها: « لا تجوز هاتان اللعبتان (البلوت والكوثينة) وما أشبههما لكونهما من آلات اللهو ، ولما فيهما من الصد عن ذكر الله وعن الصلاة وإضاعة الأوقات في غير حق ، ولما قد تُفضي إليه من الشحناء والعداوة ؛ هذا إذا كانت هذه اللعبة ليس فيها عوض ، أما إن كان فيها مال فإن التحريم يكون أشد لأنها بذلك تكون من أنواع القمار الذي لا شك في تحريمه ولا خلاف فيه ، والله ولي التوفيق » .

وجاء في حكم لعب الكوثينة في فتاوى دار الإفتاء المصرية ، صفحة ١٩٠ ، ما نصه: « ونفيد بأن ذلك من الميسر المحرم شرعاً ؛ سواء أكان بين أفراد العائلة بعضهم مع بعض ، أم بين غيرهم ؛ والقول بغير ذلك قول

(١) سورة لقمان: ١٨ .

(٢) سورة الحجرات: ١١ .

في الدين بغير علم ، أو التماس لأعذار لا يقيم لها الشارع ميزاناً . وإذا كان لا بد للنفس من استرواح في وقت الفراغ من العمل فلها فيما أحله الله من العمل متسع فسيح ، وكم من الأعمال الرياضية لها من نفع الجسم والنفس ما لا يُقام بهذه الألعاب وزن بجانبه ؛ والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم .

وجاء في الكتاب نفسه ، صفحة ١٢٤ - ١٢٥ ، في حكم بيع اليانصيب ما نصه : « ورد خطابكم المسطر به السؤال أعلاه ونفيد : أن بيع الأشياء عن طريق البخت (اليانصيب) حرام بلا شك ، لأنه بيع باطل أو فاسد للجهالة ، ولكونه على خطر ، لأن كل من يدفع شيئاً لا يدري عين المبيع الذي يأخذه ، ولا إن كان يأخذ في نظير ما دفع شيئاً أم لا ، فهو في حكم القمار ؛ والله أعلم . »

لا يصح الاحتيال على فعل القمار (اليانصيب) باسم الجمعيات الخيرية والأغراض الإنسانية ، فإن الله طيب لا يقبل إلا طيباً ، والغاية لا تبرر الوسيلة .

حكم المال المستفاد من معاوضات محرمة كالقمار ونحوه :

المال المأخوذ دون وجه حق ؛ قد يكون مغصوباً من أصحابه ، أو نتيجة معاوضات محرمة ؛ كبيع الخمر والزنى والقمار . وفي الحالة الثانية لا يدفع المال لإنسان استعان به على هتك حرمة الله تعالى ، بل يُنفق في أي مصلحة عامة من مصالح المسلمين ، ولا يستبقيه من أخذه إلا إن كان هو من جملة هذه المصالح ، كحاجته إليه في سداد دين ، أو نفقة عيال واجبة ؛ كما يقول شيخ الإسلام في مجموع الفتاوى . أما إن اغتصبه أو سرقه فعليه أن يدفع المال لصاحبه ، فإن لم يجده فللورثة ، فإن لم يجد الورثة تصدق بالمال عن صاحبه ؛ كما صنع ابن مسعود رضي الله عنه عندما اشترى جارية ودخل يزن ثمنها ، فانصرف صاحب الجارية ، فتصدق ابن مسعود بثمنها

وقال: اللهم هذا عن رب الجارية ، فإن رضي فله أجرها ، وإن لم يرض فالأجر لي وله من حسناتي بقدره .

تاسع عشر: منضدة تماثيل لاعبي كرة القدم:

سئلت لجنة الفتوى السعودية عن حكم هذه اللعبة التي ظهرت في الأسواق ويلعبها الأطفال والشبان ، وهي مركبة من منضدة فيها تماثيل لاعبي كرة القدم ، ويوضع فيها كرة صغيرة تحرك بالأيد ، فمن غلب يدفع أجرة اللعبة إلى صاحبها ، والغالب لا يدفع شيئاً . فهل يجوز هذا وأمثاله في الشريعة؟

والجواب: إذا كان حال هذه اللعبة ما ذكرت من وجود تماثيل بالمنضدة التي يُلعب عليها ، ودفع المغلوب أجرة استعمال اللعبة لصاحبها ، فهي محرمة لأمر:

أولاً: إن الاشتغال بهذه اللعبة من اللهو الذي يقطع اللاعب بها فراغه ويضيع عليه الكثير من مصالح دينه ودنياه ، وقد يصير اللعب بها عادة له وذريعة إلى ما هو أشد من ذلك من أنواع المقامرة ؛ وكل ما كان كذلك فهو باطل محرم شرعاً .

ثانياً: صنع التماثيل والصور واقتناؤها من كبائر الذنوب ؛ للأحاديث الصحيحة التي توعد الله تعالى وتوعد رسوله ﷺ من فعل ذلك بالنار والعذاب الأليم.

ثالثاً دفع المغلوب أجرة استعمال اللعبة محرم لأنه إسراف وإضاعة للمال بإنفاقه في لعب ولهو ، وإيجار اللعبة عقد باطل وكسب صاحبها منها سحت وأكل للمال بالباطل ، فكان ذلك من الكبائر والقمار المحرم . وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم . أ.هـ .

عشرون: اللعب بالنرد (الطاولة) :

هذه اللعبة من جملة الألعاب المحرمة ، حتى وإن خلت من القمار ؛ لقول النبي ﷺ: (من لعب بالنردشير « نسبة إلى أحد ملوك فارس » ، فكأنما صبغ يده في لحم خنزير ودمه) رواه مسلم . وروى أبو موسى عن النبي ﷺ أنه قال: (من لعب بالنرد (أي الزهر) فقد عصى الله ورسوله) رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه . وهذه الأحاديث صريحة عامة في كل لاعب ؛ قامر أم لم يقامر ، ومن خالف في ذلك فهو محجوج بهذه الأحاديث الصحيحة .

قال العزيزي: « إنما حُرِّم النرد لأن التعويل فيه على ما يخرج الكعبان - الزهر - فهو كالأزلام » . وقال النووي: شبه تحريم النرد بتحريم أكل لحم الخنزير ودمه ، وكني عن الأكل بغمس اليدين في اللحم والدم . وكان القاسم بن محمد يُلقب اسم الميسر على كل ما ألهى عن ذكر الله .

ودفع المغلوب ثمن ما شرب الغالب على المقاهي هو لون من القمار ، حتى وإن قل وتم به التراضي ؛ إذ القمار كل ما لا يخلو اللعب فيه من ربح أو خسارة . والنرد حرام على كل حال ؛ بعوض أم بغير عوض ، وبشراب أم بغير شراب ، حتى وإن كان للتسلية - كما يقولون .

واحد وعشرون: لعبة الشطرنج

مذهب الإمام أحمد ومالك أنه حرام ؛ وقاسوه على النرد . قال مالك: هو شر من النرد ، ويلهي عن الخير . وقال الإمام أحمد: لا يسلم الإنسان على من يلعب النرد أو الشطرنج . وسئل مالك عن الشطرنج أمن الحق هو؟ قال: لا . ثم قال: فماذا بعد الحق إلا الضلال . وسئل إسحق بن راهويه: هل ترى بلعب الشطرنج بأساً؟ قال: البأس كله . قيل له: فأهل الثغور يلعبونه . قال: إنه لفجور .

ومر علي بن أبي طالب رضي الله عنه على قوم يلعبون به فقال: ما هذه

التمائيل التي أنتم لها عاكفون ! وقال: الشطنرج ميسر الأعاجم . وقد أيد شيخ الإسلام ابن تيمية القول بتحريمه سواء تم بعوض أم بغير عوض ، وله فتوى مطولة في ذلك في الفتاوى الكبرى .

وقول بعضهم عن الشطنرج إنه من الرياضيات الذهنية ، وفيه تدريب للفكر، قول غير صحيح ، فشأنه كشأن النرد ، وحكمه حكمه ، بل هو أضر منه ، فلا يكاد ينفك عن تأخير الصلاة والصد عن ذكر الله ؛ وهو ذريعة للقمار وسبب للفحش والخنا ورديء الكلام ؛ بل إذا قام الرجل إلى الصلاة وترك اللعب فبأي قلب يقوم والتمائيل تتراقص أمامه وهو لا يدري بأي شيء سيُختم الدور ! والله تعالى يقول: ﴿ ما جعل الله لرجل من قلوبين في جوفه ﴾^(١) . ويكره للإنسان الدخول في الصلاة وهو مشغول الفكر والبال بمداغة الأخبثين والطعام وما أشبه ذلك من الشواغل .

ثاني وعشرون: الرياضات الراقصة :

كل ما فيه إثارة للغرائز وتهيج للشهوات ؛ كالغناء الخليع ، والتمثيل الماجن ، والرقص ، لا يقبله الإسلام، وهو نوع من العبث وإن سماه الناس فناً أو رياضة ؛ وعده بعضهم تقدماً كالباليه وبعض صور السباحة والغطس ، فهذه هي عادة الشياطين في تسمية الأشياء بغير اسمها ، وقد نقلها عنهم أولياؤهم من الإنس لتحجيب صورة الفسق والفجور ؛ فكل ما يؤدي إلى الفاحشة أو يغري بها أو يحرض عليها فهو حرام .

قال تعالى: ﴿ ولا تقربوا الزنى إنه كان فاحشة وساء سبيلاً ﴾^(٢) .

ليس من شأن الرجل أن يرقص ، ولا أن يأتي ما يخدش مروءته ، ولا يجيز عاقل ، فضلاً عن مسلم ، ما يفعله راقصوا الباليه وهم شبه عراة من

(١) سورة الأحزاب: ٤ .

(٢) سورة الإسراء: ٣٢ .

حركات وإيماءات جنسية ؛ والأمر أفضح وأشد نكاية إذا أتى من راقصات البالية أو في أثناء السباحة والغطس ! وأين هذا كله من قوله تعالى : ﴿ ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن ﴾^(١) وقوله جلّ وعلا : ﴿ ولا تترجبن تبرج الجاهلية الأولى ﴾^(٢) .

فتوى مهمة في حكم الرقص بأنواعه :

جاء في مختصر فتاوى دار الإفتاء المصرية للمفتي الشيخ عبدالمجيد سليم ، صفحة : ١٨٦ ، ما نصه : سئل (أي المفتي) من الأستاذ محمد نزيه المحرر بمجلة آخر ساعة : هل الرقص الإفرنجي الذي يشترك فيه الرجل والمرأة يخالف الدين الإسلامي ؟ وما حكم الشرع الشريف في المرأة التي ترقص مع أجنبي عنها ، وفي الرجل الذي يرقص مع أجنبية عنه ؟ وما حكم الدين الإسلامي في الرجل الذي يرقص مع امرأته على مرأى من الناس ؟

أجاب : اطلعنا على هذا السؤال ، ونفيد أنه لا يشتبه مسلم في دار الإسلام في أن الرقص الإفرنجي المعروف الذي يشترك فيه الرجل والمرأة محرم شرعاً ، معلومة حرمة من الدين بالضرورة والبداهة ؛ وأن كلاً من المرأة التي ترقص مع أجنبي عنها ، والرجل الذي يرقص مع أجنبية عنه آثم بارتكابه لهذا الفعل ، ومستحق لما أعده الله للفاسقين الظالمين لأنفسهم المجترئين على ربهم من العقوبة في الدنيا والآخرة .

كما أن الرجل الذي يرقص مع امرأته على مرأى من الناس مرتكب لهذا الإثم ، ولهذه المعصية ، وفاسق بذلك ظالم لنفسه مجترئ على ربه مستحق للعقوبة المذكورة . وهي قضايا معلومة بداهة من الدين لا تحتاج إلى إقامة برهان عليها ، ومن يرضى بها سواء أكان حاضراً وقت ارتكابها أم لم يكن حاضراً آثم كذلك ، لأن الرضا بالمعصية معصية ، كما أن الرضا بالكفر كفر .

(١) سورة النور : ٣١ .

(٢) سورة الأحزاب : ٣٣ .

ومن قدر على تغيير هذا المنكر وإزالته ولم يغيره فهو آثم ؛ وقد حرم الله سبحانه وتعالى ما هو أقل من ذلك فساداً ، وأقل منه فحشاً وقبحاً ، فكيف لا يحرم هذه المنكرات ولا ينهى عنها !

والعقل الراجح والفطرة السليمة التي لم تفسد بالشهوات ولا باتباع الهوى يستقبحان هذا الفعل الشنيع ، وينفران منه ومن مرتكبه ؛ سواء أكان ذلك مع أجنبية أم غير أجنبية . وقد جاء في السنة أن المرأة إذا خرجت من بيتها متعطرة فهي زانية ، فكيف بامرأة تخرج متعطرة متجملة متبرجة تختلط بأجنبي عنها هذا الاختلاط ، أو تعمل هذا مع زوجها على مرأى من الناس ويرضى لها زوجها وهي تتحرك معه هذه الحركات المثيرة لقوى الشر في النفوس ! لا شك في أن هذا من الديانة التي لا يدخل صاحبها الجنة ؛ وفي الحديث عن رسول الله ﷺ : (أن الله سبحانه لما خلق الجنة قال : وعزتي وجلالي لا أدخلك بخيل ، ولا كذاب ، ولا ديوث) . وقد فُسر الديوث بأنه من لا غيره له .

وقد ذكر العلامة ابن القيم في كتابه (الطرق الحكيمة في السياسة الشرعية) فصلاً بين فيه أنه يجب على أولي الأمر أن يمنعوا اختلاط الرجال بالنساء في الأسواق ومجامع الرجال ؛ وذكر فيه أن تمكين النساء من اختلاطهن بالرجال أصل كل بليّة وشر ، ومن أعظم أسباب نزول العقوبة العامة . كما أنه من أسباب فساد الأمور العامة والخاصة ، وسبب لكثرة الفواحش والزنى . أ.هـ .

هذا وقد ذكرنا ما يكفي في هذا الموضوع ؛ والمقام لا يتسع لأكثر من ذلك . والله أسأل أن يوفقنا وسائر المسلمين المؤمنين إلى ما يحبه ويرضاه ، وإلى الاعتصام بحبله إنه سميع مجيب .

مهمات المسائل في المسح على الخفين

بقلم: الشيخ سليمان بن عبدالله العلوان

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله . أما بعد؛

فهذه جملة من المسائل التي يحتاج إليها جميع المسلمين المقيمين والمسافرين في المسح على الخفين .

فالمسلم مأمور بتعلم ما يريد فعله ، وقد ذم الله تبارك وتعالى اليهود لكونهم لا يعملون بما يعلمون ، وذم النصارى لكونهم يتعبدون على جهل .

فالمسلم يتعين عليه علم ما يريد فعله حتى يخرج من التشبه بالنصارى ، فإذا علم تعين عليه العمل بما علم حتى لا يتشبه باليهود .

فالعلم لا يراد إلا للعمل ، وإلا فعلم بلا عمل وبال على صاحبه وحجة عليه .

المسألة الأولى : مدة المسح وبدايته

اعلم أن المقيم يمسخ يوماً وليلة ، والمسافر ثلاثة أيام . يتدئ من وقت مسحه على خفيه ، وقد قال بعض أهل العلم : من أول حدث بعد لبس . وهذا ضعيف ، بل الصحيح من وقت مسحه على خفيه ، وهو قول لأحمد ابن حنبل اختاره ابن المنذر ، وهو المأثور عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب^(١) رضي الله عنه .

ولو أحدث ولم يمسخ لم يعتبر شيئاً ، فإذا مسح ابتداءً المدة حتى ولو كان مسحه لتجديد وضوء لظاهر الأخبار الواردة في هذا الباب ، ولذلك عدلت في توقيت مدة المسح عن عبارة من قال كالنووي في المجموع وغيره يتدئ من حين المسح بعد الحدث ، وقلت : من وقت مسحه على خفيه ليدخل فيه الوضوء من غير حدث . واعلم أن دليل التوقيت في حق المقيم والمسافر هو حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه المخرج في صحيح الإمام مسلم (٣/ ١٧٥ - نووي) قال : « جعل رسول الله ﷺ ثلاثة أيام ولياليهن للمسافرين ويوماً وليلة للمقيم » .

والتوقيت على ما جاء في هذا الحديث في حق المقيم والمسافر أمر واجب على الصحيح ، وهو مذهب الجمهور خلافاً لمالك وبعض أهل العلم ، وأدلة الجمهور ومنها حديث علي المتقدم - أظهر دلالة وأقوى برهاناً من أدلة مالك ومن وافقه .

إلا أن المسافر الذي يخشى فوات رفقة أو يتضرر بالنزع ونحو ذلك من الأعذار له أن يمسخ إلى زوال عذره ؛ كما قال بذلك بعض أهل العلم مثل

(١) انظر مسائل الإمام أحمد لأبي داود ص : ١٠ والأوسط لابن المنذر : ٤٤٢/١ - ٤٤٣ ، والمجموع للنووي : ٤٨٧/١ .

شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله^(١) لما روى الدارقطني في سننه والبيهقي في السنن الكبرى عن عقبة بن عامر أنه وفد إلى عمر بن الخطاب عاماً قال عقبة: وعليّ خفاف من تلك الخفاف الغلاظ فقال لي عمر: « متى عهدك بلبسهما » ؟

فقال: لبستهما يوم الجمعة ، واليوم جمعة ، فقال له عمر: « أصبت السنة » .

وهذا الأثر إسناده صحيح إلا أن قوله (أصبت السنة) لم تثبت ، فالصحيح أن عمر قال (أصبت) ، ولم يقل: (السنة) وذكر السنة في الأثر شاذ كما بين ذلك الإمام الدارقطني^(٢) رحمه الله ، وعلى كل فالأثر تقوم به حجة ، فلا يعلم لعمر وعقبة مخالف^(٣) من الصحابة . وفعل عقبة يدل على أن الأمر كان معلوماً عند الصحابة ، ولو لم يسبق لعقبة علم بجواز هذا الفعل ما فعله اجتهداً ، وإن كان فعله اجتهداً فقد صوّبه عمر ، وهو خليفة راشد ملهم قد أمرنا ﷺ أن نقتدي به كما في جامع الترمذي (٥٦٩/٥) من طريق عبد الملك بن عمير عن ربعي عن حذيفة قال: قال رسول الله ﷺ: (اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر) سنده حسن كما قال الترمذي رحمه الله .

المسألة الثانية: اشتراط لبس الخف على طهارة:

لا بد أن يدخل الخفين أو الجوربين على طهارة كما هو محل اتفاق عند أهل العلم^(٤) ، إلا ما ذكر عن بعضهم ، وهو خلاف شاذ لا يعتد به ،

(١) انظر فتاوي شيخ الإسلام جمع ابن القاسم: ٢١ / ٢١٥ ، والإنصاف: ١٧٦ / ١ .

(٢) العلل للدارقطني: ١١٠-١١١ / ٢ .

(٣) قد احتج بأثر عقبة عن عمر من لا يرى التوقيت في المسح علي الخفين ولا حجة فيه فظاهر فعل عقبة أن ذلك للحاجة وأما لغير الحاجة فالتوقيت واجب .

(٤) انظر فتح الباري: ٣٠٩-٣١٠ ، والمغني: ٢٨٤ / ١ - مع الشرح الكبير ، والمجموع

ويجوز على الصحيح كما هو مذهب الأحناف ، ورواية عن أحمد أن يدخل الخف رجله اليمنى بعد غسلها قبل غسل اليسرى ، ثم يغسل اليسرى ، ويدخلها الخف .

ولو أدخل خفيه في قدميه قبل أن يغسلهما لم يجزه ، ووجب عليه نزعهما ثم غسل قدميه .

وفي الصحيحين وغيرهما عن المغيرة بن شعبه رضي الله عنه أنه كان مع النبي ﷺ ذات ليلة في مسير ، فذكر وضوء النبي ﷺ قال : ومسح برأسه ثم أهويت لأنزع خفيه فقال : (دعهما فإنني أدخلتهما طاهرتين ومسح عليهما)^(١) .

المسألة الثالثة : المسح على الخف المخروق :

اختلف العلماء - رحمهم الله تعالى - في حكم المسح على الخف أو الجرب المخرق . وأصح ما قيل في هذه المسألة أنه يجوز المسح على المخرق والمرقع إذ لا دليل على منع المسح على الخف المخرق ، قال الإمام المشهور سفيان الثوري رحمه الله : « امسح عليها ما تعلق به رجلك وهل كانت خفاف المهاجرين والأنصار إلا مخرقة ، مشققة مرقعة » ذكره عبدالرزاق عنه في المصنف^(٢) ومن طريقه رواه البيهقي في السنن الكبرى^(٣) . وهذا قول إسحاق وابن المبارك وابن عيينة وأبي ثور وغيرهم^(٤) والأولى في حق المسلم ما دام يملك مالا ، ولا يشق عليه شراء الخفين السليمين من التخريق ألا يمسح على المخرق كثير التخريق ، فإن مسح صح مسحه .

للنووي : ٥١٢/١ - ٥١٣ .

(١) صحيح البخاري : ٣٠٩/١ - الفتح - وصحيح مسلم : ١٦٩/٣ - ١٧٠ - نووي .

(٢) ج ١/١٩٤ - رقم ٧٥٣ .

(٣) ج ١/٢٨٣ .

(٤) انظر الأوسط لابن المنذر : ٤٤٨/١ - ٤٤٩ .

وأما جعل الخف غير المخرق شرطاً لصحة المسح فلا دليل عليه ؛ فقد رخص النبي ﷺ في المسح على الخفين والجوارب ، وأطلق ، ولم يقيد المسح على الخف أو الجوارب بقيود .

وإطلاق ما أطلق الشارع أمر متعين ؛ فإذا جاء القيد عن الشارع ولم يكن أغلبياً وجب اعتباره وهو منتفٍ هنا ، وأما كوننا نقيد كلام النبي ﷺ بكلام بعض الفقهاء الذين هم بشر يخطئون ويصيبون فهذا أمر لا يجوز .

فلذلك لا يمنع المسلم ولا المسلمة من المسح على الخف أو الجوارب المخرق مادام اسمه باقياً .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في الفتاوى (١٧٤ / ٢١) : فلما أطلق الرسول صلى الله عليه وسلم الأمر بالمسح على الخفاف مع علمه بما هي عليه في العادة ، ولم يشترط أن تكون سليمة من العيوب ، وجب حمل أمره على الإطلاق ولم يجز أن يقيد كلامه إلا بدليل شرعي ، وكان مقتضى لفظه أن كل خف يلبسه الناس ويمشون فيه فلهم أن يمسخوا عليه ؛ وإن كان مفتوقاً أو مخروفاً من غير تحديد لمقدار ذلك فإن التحديد لا بد له من دليل .

وقال أيضاً رحمه الله : (وأيضاً فأصحاب النبي ﷺ الذين بلغوا سنته وعملوا بها لم ينقل عن أحد منهم تقييد الخف بشيء من القيود ؛ بل أطلقوا المسح على الخفين مع علمهم بالخفاف وأحوالهم ، فعلم أنهم كانوا قد فهموا عن نبيهم جواز المسح على الخفين مطلقاً) .

المسألة الرابعة : كيفية المسح :

لم يرد حديث تقوم به حجة في كيفية المسح على أعلى الخفين ، فلذلك يكفي المسلم والمسلمة إمرار اليد على القدم اليمنى واليسرى بحيث يصدق

عليه أنه مسح^(١) ، كما هو قول الشافعي وأبي ثور وغيرهما^(٢) ، ويقتصر بالمسح على أعلى الخف ، أما مسح أسفل الخف فلم يثبت فيه دليل ، والحديث الوارد في ذلك معلول عند الأئمة الكبار^(٣) ، فلا يصح العمل به ، وقد روى أبو داود وغيره بسند حسن عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: « لو كان الدين بالرأي لكان أسفل الخف أولى بالمسح من أعلاه وقد رأيت رسول الله ﷺ يمسح على ظاهر خفيه »^(٤) .

(١) جاءت بعض الأحاديث في بيان مقدار المجزئ من المسح ولكن لا يصح منها شيء كحديث يروى عن علي رضي الله عنه أنه رأى رسول الله ﷺ (يمسح على ظهر الخف خطوطاً بالأصابع) .

وحديث جابر رضي الله عنه قال: (مر رسول الله ﷺ برجل يتوضأ فغسل خفيه فنفسه برجليه وقال: ليس هكذا السنة أمرنا بالمسح هكذا وأمر بيديه على خفيه) . وحديث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه قال: (رأيت رسول الله ﷺ بال ثم جاء حتى توضأ ومسح على خفيه ووضع يده اليمنى على خفه الأيمن ويده اليسرى على خفه الأيسر ثم مسح أعلاه مسحاً واحدة حتى كأنني أنظر إلى أصابعه ﷺ على خفيه) .

فهذه الأحاديث كلها ضعيفة واهية فلا تقوم بها حجة لأن الحجة في الأحاديث الصحيحة دون الضعيفة .

والمسلم لم يشرع له العمل بالحديث الضعيف ، وأما تساهل الكثير في العمل بالحديث الضعيف خصوصاً إذا كان في فضائل الأعمال فهذا لا يخرج عن كونه ضعيفاً . والصحيح من أقوال أهل العلم أن الحديث الضعيف لا يعمل به مطلقاً لا في الفضائل ولا في الأحكام ولا في غيبتها فالكل شرع من عند الله ولا يقوم الشرع إلا على صحيح الأخبار لا على ضعيفها وساقطها . والله الموفق والهادي إلى سبيل الرشاد .

(٢) انظر الأوسط لابن المنذر: ٤٥٦/١ والحاوي: ٣٧١/١ .

(٣) فقد ضعفه أحمد والبخاري وأبو حاتم وأبو زرعة والترمذي والشافعي وغيرهم من الأئمة وانظر جامع الترمذي: ١٦٣/١ والعلل لابن أبي حاتم: ٥٤/١ والتلخيص: ١/١٥٩ لابن حجر .

(٤) أبو داود: ٢٧٨/١ - عون المعبود .

المسألة الخامسة: حكم وضوء من نزع خفيه:

اختلف العلماء - رحمهم الله - تعالى في حكم وضوء المسلم إذا نزع خفيه أو جوربيه بعد المسح هل يبقى على وضوئه أم أن طهارته تنتقض ؟ فيكون نزع الخفين ناقضاً من النواقض أم أنه يغسل قدميه إذا نزع خفيه كما قال بذلك بعض الفقهاء ؟

أصح هذه الأقوال فيما يظهر من حيث الدليل أن طهارته باقية ، ونقل هذا القول عن جماعة من أهل العلم منهم الحسن البصري والنخعي وقتادة وعطاء وغيرهم ، واختاره ابن حزم وشيخ الإسلام ابن تيمية^(١) .

وبعضهم قاس ذلك على من مسح رأسه ثم حلقه فإنه لا يجب عليه أن يعيد مسح رأسه . وهذا القياس ضعيف جداً فلا التفات إليه ، لأن الشعر أصل في الرأس وليس بدلاً ، وأما المسح على الخفين فإنه بدل عن غسل القدمين ، فلا يقاس ما كان أصلاً على ما كان بدلاً.

وقلت: إن هذا القول هو الصحيح ، لأنه مذهب الخليفة الراشد علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، ولم يخالفه في ذلك أحد من الصحابة فيما أعلم ، فنستغني به عن القياس الذي لم تتوفر شروطه وتتنف موانعه ، وقد روى البيهقي^(٢) والطحاوي^(٣) في شرح معاني الآثار واللفظ له عن أبي ظبيان أنه رأى علياً رضي الله عنه: « بال قائماً ، ثم دعا بماء فتوضأ ، ومسح على نعليه ، ثم دخل المسجد فخلع نعليه ، ثم صلى » ، وهذا أثر صحيح . وقوله: (بال قائماً) فيه رد لقول من قال إن علياً تطهر طهراً على طهر ، وفيه محل الشاهد أنه لا ينتقض وضوء الماسح على الخف أو

(١) انظر صحيح البخاري: ٢٨٠/١ - مع الفتح وفتح الباري: ٣١٠/١ والأوسط لابن المنذر: ٤٥٩/١ واختيارات شيخ الإسلام للبعلي ص: ١٥ والمحلى: ٣٣٧/١ .

(٢) ٢٨٨/١ .

(٣) ٩٧/١ - طبعة دار الكتب العلمية .

الجورب ، وكذلك العمامة بالنزع .

فإن قال قائل : أيعيدهما - أعني الخفين أو الجوربين - مرة أخرى ويبتدئ المسح من جديد . ويحصل بذلك تسلسل ، كلما أوشكت المدة أن تنقضي نزع خفيه أو جوربيه ، ثم أدخلهما ، ويصدق عليه أنه أدخلهما على طهارة .

قلت : هذا ممنوع ، لأن النبي ﷺ قال : (دعهما ، فإني أدخلتهما طاهرتين)^(١) والمقصود بالطهارة هنا الطهارة بالماء ، والذي ينزع خفيه ويريد إدخالهما مرة أخرى إنما يدخلهما على طهارة مسح ، وهذا لا يجوز ، لأنه لم يدخلهما على طهارة ماء ، والنص جاء بطهارة الماء ، ولم يرد بطهارة المسح .

ولذلك لا يجوز إعادة الخفين أو الجوربين والمسح عليهما منعاً للتسلسل الحاصل بالجواز ، ومنعاً لإلغاء المدة التي وقتها النبي ﷺ للمقيم والمسافر ؛ لأنه لو أجزى إعادتهما والمسح عليهما - ولا قائل به^(٢) - لم يكن لتوقيت النبي ﷺ فائدة ، لأنه يلزم من القول بإعادتهما القول بابتداء مدة المسح من الإدخال ، ويحصل بذلك إلغاء للتوقيت ومخالفة صريحة لما سنه النبي ﷺ لأُمَّته ، ولو كان هذا جائزاً لأرشد إليه النبي ﷺ ولما أمرهم بالنزع ... والله أعلم .

(١) الحديث متفق عليه من حديث المغيرة وقد تقدم ذكره .

(٢) وأما ما رواه عبدالرزاق في المصنف: ٢١٠/١ من طريق فضيل بن عمرو وعن إبراهيم: أنه كان يحدث ثم يمسخ على جرموقين له من لبود يمسخ عليهما ثم ينزعهما وإذا قام إلى الصلاة لبسهما ويصلي .
فيقال عنه إنه ليس فيه أنه أحدث ومسح عليهما بعد الحدث - غاية ما فيه أنه لبسهما على طهارة المسح وهذا لا شيء فيه . إنما الكلام فيما إذا لبسهما على طهارة المسح ثم أحدث . الذي عليه العمل أنه لا يمسخ عليهما بل يجب عليه نزعهما وغسل قدميه ... والله أعلم .

المسألة السادسة: المسافر يصل إلى بلده وقد مسح فوق يوم وليلة:

إذا مسح المسافر يوماً وليلة فما فوق ، ثم قدم بلده الذي يسكن فيه فلا يجوز له في هذه الحالة المسح على الخفين ، بل ينزعهما ، ثم يغسل قدميه ، لأن رخص السفر قد انتهت بالوصول إلى البلد ، فلا يجوز الزيادة عن اليوم والليلة في المسح ؛ كما هو قول جمهور العلماء^(١) .

وإن وصل بلده وقد مضى دون يوم وليلة يتمهما ، وأما المقيم إذا مسح يوماً ثم سافر فإنه يمسح يومين زيادة على اليوم ، فيكون قد مسح ثلاثة أيام ، وهذا الصحيح من أقوال أهل العلم ، وبه قال الأحناف^(٢) . ورواية عن الإمام أحمد رجحها كثير من أصحابه ، وجاء عن الإمام أحمد رحمه الله أنه رجع عن قوله (يتم مسح مقيم) . لأن رخص السفر قد حلت له ، والمسافر كما تقدم في حديث علي يمسح ثلاثة أيام إلا أن يخشى فوات رفقة أو يتضرر بالنزع لشدة برد ونحو ذلك من الأعذار فله أن يمسح أكثر من ثلاثة أيام لأثر عقبة بن عامر ، وقد تقدم ذكره في المسألة الأولى والله أعلم .

المسألة السابعة: إذا لبس جورباً على جورب :

إن كان لبس ذلك على طهارة فالحكم في هذه الحالة للفوقاني ، وإن مسح على التحتاني صحَّ ذلك على الصحيح .

وأما إن لبس فوقاني على حدث فلا يجوز له أن يمسح على فوقاني عند جمهور أهل العلم^(٣) ، لأنه لبس ذلك على غير طهارة . فإذا مسح على

(١) انظر مسائل الإمام أحمد رواية ابنه عبدالله: ١١٩/١-١٢٠ والأوسط: ٤٤٦/١ والمغني: ٢٩٦-٢٩٧/١ والمجموع: ٤٨٩/١ .

(٢) انظر شرح فتح القدير: ١٥٤-١٥٥/١ والمغني: ٢٩٥/١ والمبدع في شرح المقنع: ١/١٤٣ .

(٣) وقد أجاز بعض أهل العلم كما في المجموع: ٥٠٦/١ المسح على فوقاني وإن لبسه على حدث ومنه تعلم ما في قول ابن قدامة رحمه الله في المغني: ٢٨٦/١-مع الشرح الكبير إذا لبس خفين ثم أحدث ثم لبس فوقهما خفين أو جروموقين لم يجز المسح =

التحتاني ، ثم لبس فوقاني جاز له حينئذ المسح على فوقاني .

وفي هذا الحالة - على هذا القول - إذا نزع فوقاني فالحكم كالحكم فيما إذا نزع خفيه ، وقد سبق أن الطهارة لا تنتقض .

وهذه المسائل السبع من أهم المسائل في المسح على الخفين والسؤال يكثُر عنها ، والقصد من كتابة هذه المسائل هو تقريب المسائل بأدلتها إلى سائر الخلق لتكون عوناً لهم على معرفة أمور دينهم والتفقه على وفق الأدلة الصحيحة .

فالمسلم لم يقيد بمذهب أو بقول أحد سوى قول الرسول ﷺ .

والله الموفق للصواب والهادي إلى سبيل الرشاد . . .

وصلّى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه .

= عليهما بغير خلاف لأنه لبسهما على حدث . ونفي الخلاف في المسألة فيه نظر .
فالمسألة فيها خلاف ولم ينعقد فيها إجماع غاية ما في ذلك أن المنع قول الجمهور وهذا ليس بإجماع وأيضاً لا يلزم منه الرجحان .

والقول بالجواز فيه قوة وله وجه من النظر ، والقول بأنه لبسهما على غير طهارة لا يضر مادام الأصل المباشر للقدم ملبوساً على طهارة وفوقاني تابع للتحتاني فهما كالجورب الواحد ولذلك يتبعه في التوقيت ولا يأخذ توقيفاً مستقلاً ولذلك أقول : لا يصح القول بأنه أدخلهما على غير طهارة لأن الخف أو الجورب الأول أدخل على طهارة وهذا فوقاني تابع له فلذلك لم يأخذ حكماً مستقلاً في مدة المسح بل تبع أصله ، وعلى هذا القول إذا نزع فوقاني لا يؤثر على طهارته وله إعادته مرة أخرى لثبوت أحكام المسح بالخف أو الجورب المباشر للقدم فهذا وجه هذا القول وفيه قوة ، والنفس تميل إليه ، ومن أراد الاحتياط بحيث لا يلبس فوقاني إلا على طهارة فهذا حسن ولكن الاحتياط شيء والمنع شيء آخر ، علماً أنه يلزم المانعين بعض اللوازم كتسلسل مدة المسح لأن فوقاني لا يتعلق بالتحتاني فله حكم مستقل ، وكذلك يلزم من جواز لبس الجورب على جورب منع ذلك وإن لبسه على طهارة لأن الطهارة طهارة مسح وليس بطهارة ماء ، فالذي لا يجعلهما بمنزلة الخف الواحد يطالب بالدليل على جواز اللبس على طهارة المسح . ولو كنت لا أرى جواز لبس الجورب فوقاني على حدث لمنعت لبس الجورب على جورب وإن لبسه على طهارة لأن الطهارة طهارة مسح ولم يرد دليل بجواز ذلك .

والقول بهذا القول - أعني منع لبس الجورب على جورب عند من لا يرى جواز لبس فوقاني على حدث متعين لأنه أسلم من التناقض والاضطراب . . . والعلم عند الله .

دعوة الحق

بقلم الدكتور: عبدالرحمن أمين

الحلقة الثانية^(١)

الجماعة في الإسلام

وردت في الجماعة معان عديدة ، نحدث عنها أهل العلم

١- الجماعة هي الصحابة :

« إن الجماعة هي الصحابة على الخصوص ، فإنهم الذين أقاموا عماد الدين ، وأرسوا أوتاده ، وهم الذين لا يجتمعون على ضلالة أصلاً ، ومن قال بهذا القول عمر بن عبدالعزيز .

فعلى هذا القول فلفظ الجماعة مطابق للرواية الأخرى في قوله عليه الصلاة والسلام : (ما أنا عليه وأصحابي) ، فكأنه راجع إلى ما قالوه ، وما سنّوه ، وما اجتهدوا فيه ، حجة على الإطلاق ، وبشهادة رسول الله ﷺ لهم بذلك ، خصوصاً في قوله : (فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين) وأشباهه ، أو لأنهم المتقلدون لكلام النبوة ، المهتدون للشرعية ، الذين فهموا دين الله بالتلقي من نبيه مشافهة ، على علم وبصيرة بمواطن التشريع وقرائن

(١) نشرت الحكمة في العدد السابق القسم الأول من هذا المقال ، ونشر في هذا العدد القسم الثاني والأخير منها .

الأحوال ، بخلاف غيرهم ، فلماذا ما سئوه فهو سنة من غير نظير فيه ،
بخلاف غيرهم ، فإن فيه لأهل الاجتهاد مجالاً للنظر رداً وقبولاً .

فأهل البدع إذاً غير داخلين في الجماعة قطعاً على هذا القول ^(١) .

« وقال قوم: المراد بالجماعة الصحابة دون من بعدهم » ^(٢) .

٢- هم أهل العلم:

وهذا هو قول البخاري ، فقد عقد باباً في كتابه الصحيح سماه:

(باب: وكذلك جعلناكم أمة وسطاً ، وما أمر به النبي ﷺ بلزوم
الجماعة ، وهم أهل العلم) ^(٣) .

قال ابن حجر: وقال قوم: المراد بهم أهل العلم ؛ لأن الله جعلهم حجةً
على الخلق ، والناس تبع لهم في أمر الدين ^(٤) .

٣- هم السواد الأعظم:

« وهذا هو قول الطبري، قال: فقال قوم: والجماعة السواد الأعظم » ^(٥) .

« وعن الحسين قيل له: أبو بكر خليفة رسول الله ﷺ ؟ فقال: إي
والذي لا إله إلا هو ، ما كان الله ليجمع أمة محمد على ضلالة . فعلى
هذا القول يدخل في الجماعة مجتهدو الأمة وعلماءها ، وأهل الشريعة
العاملون بها ، ومن سواهم داخلون في حكمهم ؛ لأنهم تابعون لهم ،
ومقتدون بهم ، فكل من خرج عن جماعتهم ، فهم الذين شذوا ، وهم

(١) الاعتصام للشاطبي: ٢٦٢-٢٦٣ .

(٢) فتح الباري: ٣١٧/١٣ .

(٣) المصدر السابق: ٣١٦/١٣ .

(٤) المصدر السابق: ٣١٧/١٣ .

(٥) المصدر السابق: ٣١٧/١٣ .

نهبة الشيطان . ويدخل في هؤلاء جميع أهل البدع ؛ لأنهم مخالفون لمن تقدم من الأمة ، لم يدخلوا في سوادهم بحال «^(١) .

٤- أهل الحل والعقد من كل عصر :

وهذا قول ابن حجر : « والمراد بالجماعة أهل الحل والعقد من كل عصر » . وقال الكرماني : « مقتضى الأمر بلزوم الجماعة أنه يلزم المكلف متابعة ما أجمع عليه المجتهدون ، وهو المراد بقوله (وهو البخاري) : وهم أهل العلم »^(٢) .

ذكر الترمذي في سننه : « وتفسير الجماعة عند أهل العلم هم أهل الفقه والعلم والحديث »^(٣) ، وهذا لا يختلف عن قول البخاري : « هم أهل العلم » .

٥- هم جماعة المسلمين إذا اجتمعوا على أمير :

قال الطبري : « والصواب أن المراد من الخبر لزوم الجماعة الذين في طاعة من اجتمعوا على تأييده ، فمن نكث بيعته خرج عن الجماعة »^(٤) . وهذا ما نقله الشاطبي أيضاً عن الطبري^(٥) .

٦- إن الجماعة هي جماعة الإسلام :

إذا أجمعوا على أمر ، فواجب على غيرهم من أهل الملل اتباعهم ، وهم الذين ضمن الله لئيبه عليه الصلاة والسلام أن لا يجمعهم على ضلالة ، فإذا وقع بينهم اختلاف ، فواجب تعرف الصواب فيما اختلفوا فيه ، قال

(١) الاعتصام ، للشاطبي : ٢٦١/٢ .

(٢) فتح الباري : ٣١٧/١٣ .

(٣) سنن الترمذي : ٤٦٥/٤ .

(٤) فتح الباري : ٣١٧/١٣ .

(٥) الاعتصام ، للشاطبي : ٢٦٤/٢ .

الشافعي: « الجماعة لا تكون فيها غفلة عن معنى كتاب الله ، ولا سنة ، ولا قياس ، وإنما تكون الغفلة في الفرقة » ^(١).

وذكر الشاطبي قولاً وجيزاً ومفيداً لمعنى الجماعة ، وحاصله أن الجماعة راجعة إلى الاجتماع على الإمام الموافق للكتاب والسنة ، وذلك ظاهر في أن الاجتماع على غير سنة خارج عن معنى الجماعة الوارد في الأحاديث المذكورة، كالخوارج ومن جرى مجراهم ^(٢).

قول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في هذه المسألة:

« قال ابن تيمية رحمه الله تعالى الحديث صحيح مشهور في السنن والمسانيد ، كسنن أبي داود ، والترمذي ، والنسائي ، وغيرهم ، ولفظه: (افتترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة ، وافتترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة ، وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة) .

وفي لفظ: (على ثلاث وسبعين ملة) ، وفي رواية: قالوا: يا رسول الله من الفرقة الناجية ؟ قال: (من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي) ، وفي رواية قال: (هي الجماعة ، يد الله على الجماعة) .

ولهذا وصف الفرقة الناجية بأنها أهل السنة والجماعة ، وهم الجمهور الأكبر والسواد الأعظم . وأما الفرق الباقية ، فإنهم أهل الشذوذ والتفريق والبدع والأهواء ، ولا تبلغ الفرقة من هؤلاء قريباً من مبلغ الفرقة الناجية ، فضلاً عن أن تكون بقدرها ، بل قد تكون الفرقة منها في غاية القلة ، وشعار هذه الفرق مفارقة الكتاب والسنة والإجماع، فمن قال بالكتاب والسنة والإجماع ، فإنه من أهل السنة والجماعة » ^(٣).

(١) المصدر السابق: ٢/٢٦٣ .

(٢) المصدر السابق: ٢/٢٦٥ .

(٣) مجموع الفتاوى: ٣/٣٤٦ .

وقال في موضع آخر .

« وبهذا تبين أن أحق الناس بأن تكون هي الفرقة الناجية أهل الحديث والسنة : الذين ليس لهم متبوع يتعصبون له إلا رسول الله ﷺ ^(١) .

وهم أعلم الناس بأقواله وأحواله ، وأعظمهم تمييزاً بين صحيحها وسقيمها ، وأئمتهم فقهاء فيها (وأهل) معرفة بمعانيها واتباعاً لها ، تصديقاً وعملاً وحباً وموالة لمن والاها ، ومعاداة لمن عاداها ، الذين يرون المقالات المجملة إلى ما جاء به من الكتاب والحكمة ، فلا ينصبون مقالة ويجعلون من أصول دينهم وجمل كلامهم إن لم تكن ثابتة فيما جاء به الرسول ، بل يجعلون ما بعث به الرسول من الكتاب والحكمة هو الأصل الذي يعتقدون ، ويعتقدونه ، ويعتمدونه ^(٢) . أ.هـ .

أهل السنة والجماعة :

وأما تعبير أهل السنة والجماعة ، فهو لا يختلف عما ورد ذكره ، فهم من كان على مثل ما عليه النبي ﷺ وصحابته رضوان الله عليهم ، وهم حملة منهج الكتاب والسنة علماً وعملاً ، في كل زمان ومكان ، رافعين لوائه ، وقائمين على أمر الله فيه ، فهم الفرقة الناجية ، والطائفة المنصورة ، وهم أهل العلم ، وأهل الفقه والحديث ، وهم السواد الأعظم من أتباع الكتاب والسنة ، وهم أهل الحل والعقد . وكل من خالف منهجهم ، فهو ليس من هذه الجماعة حتى يستوفي خصالها اللازمة وشروطها الموجبة لها ؛ لكي يفوزوا برضا ربهم وبشارة نبيهم عليه الصلاة والسلام .

وأما لماذا سموا بأهل السنة والجماعة ؟ فلنتطلع على ما قاله شيخ الإسلام ابن تيمية ، رحمه الله ، بهذا الصدد :

(١) في الوقت الذي نرى في زمننا هذا أن الكثير من الأحزاب والجماعات يتعصبون لزعمائهم أكثر مما يتعصبون للنبي ﷺ ، وذلك بسبب ما أصيبوا به من داء الحزبية المقيتة ، والتقليد الأعمى ، من غير هدى ، ولا كتاب منير .

(٢) مجموع الفتاوى : ٣/ ٣٤٧ .

« ثم من طريقة أهل السنة والجماعة: اتباع آثار رسول الله ﷺ باطناً وظاهراً ، واتباع سبيل السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار ، واتباع وصية رسول الله ﷺ ، حيث قال: (عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي ، تمسكوا بها ، وعضوا عليها بالنواجذ ، وإياكم ومحدثات الأمور ، فإن كل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة) .

ويعلمون أن أصدق الكلام كلام الله ، وخير الهدي هدي محمد ﷺ ، ويؤثرون كلام الله على كلام غيره من كلام أصناف الناس ، ويقدمون هدي محمد ﷺ على هدي كل أحد ، وبهذا سموا أهل الكتاب والسنة ، وسموا أهل الجماعة ؛ لأن الجماعة هي الاجتماع ، وضدها الفرقة ، وإن كان لفظ الجماعة قد صار اسماً لنفس القوم المجتمعين ، و« الإجماع » هو الأصل الثالث الذي يعتمد عليه في العلم والدين ، وهم يزنون بهذه الأصول الثلاثة جميع ما عليه الناس من أقوال وأعمال باطنة أو ظاهرة مما له تعلق بالدين . والإجماع الذي ينضبط هو ما كان عليه السلف الصالح ؛ إذ بعدهم كثر الاختلاف وانتشرت الأمة «^(١) ا.هـ.

قول عبدالله بن المبارك في الجماعة:

« قيل لعبدالله بن المبارك: من الجماعة الذين ينبغي أن يقتدى بهم ؟

قال: أبو بكر وعمر - فلم يزل يحسب حتى انتهى إلى محمد بن ثابت ، والحسين بن واقد ، فقليل: هؤلاء ماتوا ، فمن الأحياء ؟ قال: أبو حمزة^(٢) السكري «^(٣) ا.هـ .

ولقد أراد ابن المبارك ، رحمه الله ، أن خصال الجماعة قد اجتمعت في أبي حمزة السكري ، بعد أن تفرقت في غيره من تحرر للحق ، واتباع منه

(١) المصدر السابق: ١٥٨/٣ .

(٢) أبو حمزة السكري هو محمد بن ميمون المروزي: « ت سنة ١٦٨ هـ » .

(٣) الاعتصام ، للشاطبي: ٢٦١/٢ - ٢٦٢ .

للكتاب والسنة ، وجمع بين العلم والعمل ، إضافة لخصال الخير الأخرى ،
من التي ينبغي أن تكون فيمن يصدق فيه قول الجماعة .

ما العدد اللازم لهذه الجماعة :

والسؤال الذي يطرح نفسه ، كما يقولون ، ويراود الكثير منا ، هو ما
عدد هذه الجماعة ، وما نصابها ، وهل يشترط فيها الكثرة أم القلة ... ؟

أقول: إن أهم الدروس التي يجب أن يعيها الدعاة إلى منهج الكتاب
والسنة أن الحسابات العددية ليس لها وجود أو قيمة تذكر في مسيرة الدعوة،
وأن الاهتمام بالإكثار من عدد اللاحقين بها ، من غير الاهتمام بمقومات هذه
الدعوة ، ومن أهمها العلم الشرعي ، لهو أمر خاطئ ، بل خطأ قاتل كان
سبباً في إخفاق وضياع كثير من الدعوات ، من التي جعلت طريقة التجميع
والترقيع على حساب القيم والمبادئ والاهتمام بأرقام المنظمين والمؤيدين مقدماً
على العناية بالعمل الشرعي والتربية المبنية على الأصول الصحيحة لمنهج الكتاب
والسنة ..

ومن الملاحظ أن فكرة الاستزادة والتجميع هو دأب الأحزاب السياسية
اللا دينية ، وذلك لأن واقع حالها يتطلب ذلك .. أما المسلمون ، فمقياسهم
الوحيد هو الشرع من غير الالتفات إلى الأمور الدنيوية الأخرى .. وأريد أن
أقول في هذا المقام كلمة ابتغي منها الذكرى لا غير: إن الحريصين على أن
يكون للأعداد والأرقام حيز في دعواتهم سيخفقون حتماً ، ولن يجنوا منها غير
الآوهم والآلام ، فضلاً عن الجهد المهدور ، والوقت الضائع ..

أما الدعاة إلى منهج الكتاب والسنة قولاً وعملاً ، فعليهم أن يربوا المدعوين
على المنهج الصحيح وعلى الصدق والإخلاص ، وأن لا يلتفتوا إلى كثرة أو
عدد ، فالهمم لدينا هو صدق القادمين والمقبلين على الدعوة ، ومدى
إخلاصهم لها ، وإن كانوا قلة قليلة والعبرة كما يقولون بالنوع لا
بالكم ...

فإبراهيم عليه السلام كان وحده فوصفه الله سبحانه بالأمّة ، حيث قال عزّ من قائل: ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾^(١) .

يقول ابن مسعود في شرح هذه الآية: « الأمّة: المعلم للخير » .. « وهو الذي يقتدى به ويؤتم به ، وهو الذي جمع صفات الكمال في العلم والعمل ، وهو الذي بقي فيها فرداً وحده ، فهو الجامع لخصال تفرقت في غيره ، فكأنه باين غيره في اجتماعها فيه ، وتفرقها أو عدمها في غيره »^(٢) .

يقول ابن مسعود رضي الله عنه: « الجماعة ما وافق الحق ، وإن كنت وحدك »^(٣) . وفي لفظ: « الجماعة ما وافق طاعة الله ، وإن كنت وحدك »^(٤) .

وفي حديث ابن عباس الطويل ، قال النبي ﷺ: (عرضت علي الأمم فرأيت النبي ومعه الرهط ، والنبي ومعه الرجل والرجلان ، والنبي وليس معه أحد)^(٥) ... الحديث .

فانظر يا أخي إلى هذا الحديث العظيم ، وتأمله جيداً ، وحاول أن تستنبط منه الدروس والعبر ؛ لتستعين بها على دعوتك ... فأنت لست بأفضل من الأنبياء ، ولا أقدر منهم ، فإن الله سبحانه أعطاهم ما لم يعطك ، بل اختارهم واصطفاهم لهذه المهمة ... مهمة الدعوة إلى الله ... فهم إذاً جاهزون ومستعدون لها ، ويمكنون منها ، ومع هذا يأتي النبي يوم القيامة ، ولم يستجب له أحد ... فلم يكن ذلك عيباً فيهم ، ولا في أسلوب دعوتهم ، فهم أفضل الخلق ، وأكملهم علماً وعملاً ، وأقربهم إلى

(١) سورة النحل: ١٢٠ .

(٢) فتح المجيد: ٦٧ .

(٣) الحوادث والبدع ، لأبي شامة: ٢٢ .

(٤) اللالكائي في شرح السنة: ٨٠١/١ ، ٩٠١ .

(٥) متفق عليه .

الله تعالى . ولكن هذه هي حال الدعوات ، فقد تدعو وتدعو ، ولا يستجيب لك أحد ، ولكن تبرأ ذمتك بتبليغ الدعوة .

فخذ من قصص الأنبياء وأحوالهم مع أقوامهم ما تحتاج إليه في دعوتك ، ففيها ما لا يعد ولا يحصى من المقاصد والحكم . يقول الله تعالى : ﴿ لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب ﴾ ^(١) .

ولو نظرنا في أحوال أهل الحق في كل زمان ومكان ، لوجدناهم قليلين نسبة إلى غيرهم من أهل الباطل . وهذا مصداق قول ربنا تبارك وتعالى : ﴿ وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله ﴾ ^(٢) ، وقوله تعالى : ﴿ وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين ﴾ ^(٣) ، وقوله تعالى : ﴿ وأكثرهم للحق كارهون ﴾ ^(٤) .

وأخيراً يا أخي ، أختتم حديثي عن هذا الموضوع بعبارة مضيئة تستحق أن تكتب بماء الذهب ، وليجعلها الدعاء إلى الله ، والسائرون في طريقه ، نصب أعينهم ، حيثما توجهوا ، وأينما وجدوا ، وهي مقولة الفضيل بن عياض رحمه الله : « عليك بسبل الهدى ، ولا يوحشك قلة السالكين ، وإياك وسبل الضلالة ، ولا يغرك كثرة المتهالكين » .

(١) سورة يوسف : ١١١ .

(٢) سورة الأنعام : ١١٦ .

(٣) سورة يوسف : ١٠٣ .

(٤) سورة المؤمنون : ٧٠ .

دعوة الكتاب والسنة والجهاد في سبيل الله

١- الحرص على العلم والجهاد معاً:

إن من أهم مميزات هذه الدعوة الجهاد في سبيل الله ، ولست هنا بصدد الحديث عن الجهاد وتفصيلاته الأخرى ، ولكن أريد أن أنوه إلى مسألة لظالما غابت عن أذهان الكثير من دعائنا إلى هذا المنهج الرباني العظيم ، وخاصة في زمننا هذا ، ألا وهو أهمية هذه الفريضة الغائبة عن حياة الفرد والمجتمع ، ولا أقصد - معاذ الله - أن حملة هذا المنهج قد قصروا في هذا الجانب ، بل إن تاريخ هذه الدعوة المباركة حافل بقصص وأخبار تلك البطولات الرائعة ، التي ضرب بها سلفنا الصالح أعظم الأمثلة في الفداء والتضحية في سبيل هذا الدين ... والداعون إلى هذا المنهج ، كانوا وما زالوا ، السباقين دوماً إلى ساحات الوغى لمنازلة أعداء الله ، المحاربين لكتابه ولسنة نبيه ﷺ .

فالذي أريد إلفات النظر إليه هو أنه لا بدّ للدعاة إلى منهج الكتاب والسنة أن يفكروا ملياً وجدياً بأهمية الجهاد والإعداد له إعداداً شاملاً وكاملاً ، ومتناولاً لجميع حيثيات الجهاد وتفصيلاته ، جهاد بالقلم واللسان ، وجهاد بالسيف والسنان .

ولذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية : « والله تعالى يقول : ﴿ هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ﴾ ^(١) : بالحجة والبيان ، وباليدين واللسان هذا إلى يوم القيامة » ^(٢) . ا.هـ .

ومن البديهي أن طالب العلم كلما ازداد علماً ، ازداد معرفة بدين الله ، وأهمية الجهاد في سبيله ، ولهذا كان أهل العلم فيما مضى أحرص الناس على الجهاد ؛ لأنهم أعلم الناس بفضله من غيرهم .
ومن أراد أن يكون أكمل الناس هداية ، فعليه أن يكون أعظمهم جهاداً .

(١) سورة التوبة : ٣٣ .

(٢) مجموع الفتاوى : ٣٨/٢٨ .

يقول ابن القيم ، رحمه الله ، في تفسيره لقوله تعالى : ﴿ والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا ﴾ ^(١) : « علق سبحانه الهداية بالجهاد ، فأكمل الناس هداية أعظمهم جهاداً ، وفرض الجهاد ؛ جهاد النفس ، وجهاد الهوى ، وجهاد الشيطان ، وجهاد الدنيا ، فمن جاهد هذه الأربعة في الله هداه الله سبل رضاه الموصلة إلى جنته ، ومن ترك الجهاد ، فاته من الهدى بحسب ما عطل من الجهاد » ^(٢) . أ.هـ .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في معرض ذكره لفضائل الجهاد : « ولهذا كان أفضل ما تطوع به الإنسان ، وكان باتفاق العلماء ، أفضل من الحج والعمرة ، ومن صلاة التطوع ، والصوم التطوع ، كما دل عليه الكتاب والسنة ، حتى قال النبي ﷺ : (رأس الأمر الإسلام وعموده الصلاة ، وذروة سنامه الجهاد) ، وقال : (إن في الجنة لمائة درجة ، ما بين الدرجة والدرجة كما بين السماء والأرض ، أعدها الله للمجاهدين في سبيله) . متفق عليه ... » ^(٣) . أ.هـ .

ثم قال : « وهذا باب واسع ، لم يرد في ثواب الأعمال وفضلها مثل ما ورد فيه ، وهو ظاهر عند الاعتبار ، فإن نفع الجهاد عام لفاعله وغيره في الدين والدنيا ، ومشمئ على جميع أنواع العبادات الباطنة والظاهرة ، فإنه مشتمل من محبة الله تعالى ، والإخلاص له ، والتوكل عليه ، وتسليم النفس والمال له ، والصبر والزهد ، وذكر الله ، وسائر أنواع الأعمال .

والقائم به من الشخص والأمة بين إحدى الحسنين دائماً ، إما النصر والظفر ، وإما الشهادة والجنة ، فإن الخلق لا بد لهم من محيا وممات ، ففي استعماله محياهم ومماتهم في غاية سعادتهم في الدنيا والآخرة ، وفي تركه ذهاب السعادتين أو نقصهما ، فإن من الناس من يرغب في الأعمال

(١) سورة العنكبوت : ٦٩ .

(٢) الفوائد ، لابن القيم : ٥٩ .

(٣) مجموع الفتاوى : ٣٥٢/٢٨ .

الشديدة في الدين مع قلة منفعتها ، فالجهاد أنفع فيهما من كل عمل شديد ، وقد يرغب في ترقية نفسه ، حتى يصادفه الموت ، فموت الشهيد أيسر من كل ميتة ، وهي أفضل الميتات ^(١) . ا.هـ .

وقال في موضع آخر: « واعلموا أن الجهاد فيه خير الدنيا والآخرة ، وفي تركه خسارة الدنيا والآخرة ، قال الله تعالى في كتابه: ﴿ قل هل تربصون بنا إلا إحدى الحسنيين ﴾ ^(٢) ، يعني: إما النصر والظفر ، وإما الشهادة والجنة ، قال النبي ﷺ: (يعطى الشهيد ست خصال ، يغفر له بأول قطرة من دمه ، ويُرَى مقعده من الجنة ، ويكسى حلة من الإيمان ، ويزوج ثنتين وسبعين من الحور العين ، ويوقى فتنة القبر ، ويؤمن من الفزع الأكبر) . رواه أهل السنن . وقال ﷺ: (مثل المجاهد في سبيل الله مثل الصائم القائم القانت ، الذي لا يفتر من صلاة ، ولا صيام) .

وقال رجل: أخبرني بعمل يعدل الجهاد في سبيل الله ؟

قال: (لا تستطيعه) ، قال أخبرني به ؟ قال: (هل تستطيع إذا خرج المجاهد أن تصوم لا تفطر ، وتقوم لا تفر ؟) قال: لا ، قال: (فذلك الذي يعدل الجهاد في سبيل الله) ، وهذه الأحاديث في الصحيحين ، وغيرهما ^(٣) .

وقال: « والمرابطة في سبيل الله أفضل من المجاورة بمكة والمدينة وبيت المقدس ، حتى قال أبو هريرة رضي الله عنه: « لأن أرباط ليلة في سبيل الله أحب إليّ من أن أوافق ليلة القدر عند الحجر الأسود » . فقد اختار رباط ليلة على العبادة في أفضل الليالي ، عند أفضل البقاع ، ولهذا كان النبي ﷺ وأصحابه يقيمون بالمدينة دون مكة ، لمعان منها: أنهم كانوا مرابطين بالمدينة ، فإن الرباط هو المقام بمكان يخيفه العدو ، ويخيف العدو . فمن أقام فيه بنية دفع العدو فهو مرابط ، والأعمال بالنيات ، وفي صحيح مسلم عن سلمان ،

(١) المصدر السابق: ٣٥٣ - ٣٥٤ .

(٢) سورة التوبة: ٥٢ .

(٣) مجموع الفتاوى: ٤١٧/٢٨ - ٤١٨ .

أن النبي ﷺ قال: (رباط يوم وليلة في سبيل الله خير من صيام شهر وقيامه ، ومن مات مرابطاً أجرى عليه عمله ، وأجرى عليه رزقه من الجنة ، وأمن الفتان) يعني منكر ونكير، فهذا في الرباط ، فكيف الجهاد ؟ ^(١) .

وروى الحافظ ابن عساكر في ترجمة عبدالله بن المبارك ، قال عبدالله بن محمد ، قاضي نصيبين: حدثني محمد بن إبراهيم بن أبي سكينه ، أنه أملى عليه عبدالله بن المبارك هذه الأبيات بطرسوس ، وواعده الخروج ، وأنشدها معه إلى الفضيل بن عياض في سنة سبع وسبعين ومائة ، قال:

يا عابد الحرمين لو أبصرتنا	لعلمت أنك بالعبادة تلعب
من كان يخضب خده بدموعه	فمحورنا بدمائنا تتخضب
أو كان يتعب خيله في باطل	فخيولنا يوم الصيحة تتعب
ريح العبير لكم ، ونحن عيرنا	رهج السنايك والغبار الأطيب
ولقد أتانا عن مقال نينا	قول صحيح صادق لا يكذب
لا يستوي غبار خيل الليل في	أنف امرئ ودخان نار تلهب
هذا كتاب الله ينطق بيننا	ليس الشهيد بميت لا يكذب

قال: فلقيت الفضيل بكتابه في المسجد الحرام، فلما قرأه ذرفت عيناه فقال: صدق أبو عبدالرحمن ، ونصحني ، ثم قال: أنت ممن يكتب الحديث؟ قلت: نعم. قال لي: اكتب هذا الحديث ، وأملى عليّ الفضيل بن عياض: حدثنا منصور بن المعتمر عن أبي صالح عن أبي هريرة: « أن رجلاً قال: يا رسول الله ، علمني عملاً أنال به ثواب المجاهدين في سبيل الله ، فقال: (هل تستطيع أن تصلي فلا تفتر ، وتصوم فلا تفطر ؟) فقال: يا رسول الله ، أنا أضعف من أن أستطيع ذلك ، ثم قال النبي ﷺ: (فوالذي نفسي بيده ، لو طوّقت ذلك ما بلغت فضل المجاهدين في سبيل الله ، أما علمت أن فرس المجاهد لیسْتَنُّ في طوله ، فيكتب له بذلك حسنات) ^(٢) ، ^(٣) .

(١) المصدر السابق: ٤١٨/٢٨ .

(٢) رواه البخاري، في كتاب الجهاد، ورقمه: ٢٧٨٥ .

(٣) فتح المجيد: ٤٦٢ .

٢- الجهاد باللسان والدعوة:

فيقول النبي ﷺ: (إن المؤمن يجاهد بسيفه ولسانه) ^(١) . وهذا يعني أن الدعوة باللسان هي نوع من أنواع الجهاد ، ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: « لكن الجهاد المكي بالعلم والبيان ، والجهاد المدني مع المكي باليد والحديد . قال تعالى: ﴿ فلا تطع الكافرين وجاهدوهم به جهاداً كبيراً ﴾ ^{(٢)(٣)} وهي مكة .أ.هـ .

ونستنبط من ذلك أن أصل الجهاد قائم في المرحلتين المكية منها والمدنية ، ولكن الفرق هو اختلاف الوسائل المعتمدة في هذا الجهاد ، وتطور هذه الوسائل واختلافها أمر تحكمه مجموعة من الأسباب والشروط تحدث عنها أهل العلم وأفاضوا فيها .

وعلى هذا الأساس فقد تكون الدعوة بالعلم والحجة والبيان هي وسيلة الجهاد المثلى في مكان ما من الأرض ، وفي الوقت ذاته تكون وسيلة الجهاد بالسيف والسنان هي الأنسب في مكان آخر، على اشتراط اقترانها بالدعوة إلى المنهج الحق .

وفي أي حال من الأحوال فالجهاد قائم وباقي إلى يوم الدين ، والناس مأمورون بالبحث عن أسباب الجهاد والعمل بها .

ولا يجرؤ أحد كائناً من يكون (جماعات أو أفراداً) أن يعطلوا أمر الجهاد، بحجة مكية المرحلة أو مدنيته .

فنحن نعيش المراحل باختلاف تسمياتها ، ونحتاج إلى الوسائل باختلاف

(١) صحيح الجامع برقم: ١٩٩٤ .

(٢) سورة الفرقان: ٥٢ .

(٣) مجموع الفتاوى: ٤١٧/٢٨ - ٤١٨ .

أنواعها، والجهاد ماض حتى تقوم الساعة . أما من يحدد ويقرر نوعية هذه الوسائل وتوقيتها ، فهم بالتاكيد أهل العلم من ورثة الأنبياء (والذين هم حجة الله على الخلق والناس تبع لهم في أمر الدين) . فهم وحدهم قادرون على ذلك ، بشرط أن يكونوا من أهل العلم الحقيقيين ، ممن تربوا على منهج سلفنا الصالح من الصحابة والتابعين ، ومن نهج نهجهم ، وسار على هداهم ممن قرن بين العلم والعمل والدعوة والجهاد، ووقفوا بوجه الكفر والظلم بكل أشكاله ، فتارة تراهم معلمين وواعظين في حلقات العلم ، وتارة واقفين بوجه السلطان ، يأمرونه بالمعروف ، وينهونه عن المنكر ، لا يخافون في الله لومة لائم ، وأخرى فرساناً في ساحات الجهاد ، يدافعون عن دين الله ، ويردّون كيد أعدائه ، هؤلاء يستحقون ، وبجدارة ليس لها مثيل ، صفة أهل العلم ، وينالون ، وباستحقاق ثقة الناس بهم ، فيكونون لهم مرجعاً في دينهم ودنياهم ، يعرفون بين الناس بسعة علمهم ، وجلاء صدقهم ، وحسن إخلاصهم ، وبفضلهم على غيرهم .

يقول الله تعالى : ﴿ فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَثْخَتَمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوُثَاقَ فَمَا مِنْهُ بَعْدَ وَإِنَّمَا فِدَاءٌ حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ﴾ ^(١) ، قال مجاهد : حتى ينزل عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام . وكأنه أخذه من قوله ﷺ : (لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق حتى يقاتل آخرهم الدجال) ^(٢) .

(١) سورة محمد : ٤ .

(٢) رواه أحمد والنسائي .

الطائفة المنصورة

١- الطائفة المنصورة ووجوب اللحاق بها في كل زمان ومكان :

ابتداءً أود إيراد بعض من الأحاديث المتعلقة بذكر الطائفة المنصورة ، التي وردت عن نبينا محمد ﷺ :

١- عن ثوبان قال : قال رسول الله ﷺ : (لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك) ^(١) .

٢- عن قيس بن المغيرة قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : (لن يزال قوم من أمتي ظاهرين على الناس ، حتى يأتيهم أمر الله ، وهم ظاهرون) ^(٢) .

٣- عن جابر بن سمرة عن النبي ﷺ قال : (لن يرح هذا الدين قائماً يقاتل عليه عصاة من المسلمين حتى تقوم الساعة) ^(٣) .

٤- عن جابر بن عبد الله يقول : سمعت النبي ﷺ يقول : (لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ، ظاهرين إلى يوم القيامة ، قال : فينزل عيسى بن مريم ﷺ ، فيقول أميرهم : تعال صل لنا ، فيقول : لا ، إن بعضكم على بعض أمراء ، تكرمه الله هذه الأمة) ^(٤) .

٥- عن معاوية يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول : (لا تزال طائفة من أمتي قائمة بأمر الله ، لا يضرهم من خذلهم ، أو خالفهم ، حتى يأتي أمر الله ، وهم ظاهرون على الناس) ^(٥) .

٦- عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : لا تقوم الساعة إلا على شرار الخلق ، هم شر من أهل الجاهلية ، لا يدعون الله بشيء إلا رده

(١) رواه مسلم .

(٢) رواه مسلم .

(٣) رواه مسلم .

(٤) رواه مسلم .

(٥) رواه مسلم .

عليهم ، فينما هم على ذلك أقبل عقبة بن عامر ، فقال مسلمة : يا عقبة ، اسمع ما يقول عبدالله ، فقال عقبة : هو إمام ، وأما أنا ، فسمعت رسول الله ﷺ يقول : (لا تزال عصاة من أمتي يقاتلون على أمر الله قاهرين لعدوهم ، لا يضرهم من خالفهم ، حتى تأتيهم الساعة ، وهم على ذلك) ، فقال عبدالله : أجل ، (ثم يبعث الله عليهم ريحاً كريح المسك ، مسها الحرير ، فلا تترك نفساً في قلبه مثقال حبة من الإيمان إلا قبضته ، ثم يبقى شرار الناس ، عليهم تقوم الساعة)^(١) .

٧- عن سعد بن أبي وقاص قال : قال رسول الله ﷺ : (لا يزال أهل الغرب ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة)^(٢) .

٢- من الطائفة المنصورة وأين مكانها ومتى يحين زمانها :

وقد تسأل نفسك يا أخي ، فمن هذه الطائفة ، وهل تختلف عن الجماعة التي تحدثنا عنها آنفاً ، وما مدى علاقتها بالفرقة الناجية ، التي وردت في الأحاديث سالفة الذكر ؟

أقول : إن الطائفة المنصورة هي الفرقة الناجية بعينها ، وهي كذلك الجماعة آنفة الذكر... وإليك مجموعة من أقوال سلفنا الصالح ، مبينين لنا ، رحمهم الله ، من هذه الطائفة المنصورة ، وما صفاتها :

ذكرنا سابقاً بعضاً من أقوال سلفنا الصالح بهذا الصدد ، ومنها أقوال شيخ الإسلام ابن تيمية ، رحمه الله ، وإليك أخي المزيد منها :

يقول شيخ الإسلام في المجموع ، واصفاً طريقة أهل السنة والجماعة :

« وطريقتهم هي دين الإسلام ، الذي بعث الله به محمداً ﷺ : (أن أمته ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة ، كلها في النار إلا واحدة ، وهي الجماعة) .

(١) رواه مسلم .

(٢) رواه مسلم .

وفي حديث عنه عليه السلام أنه قال: (هم من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي) . صار المتمسكون بالإسلام المحض الخالص عن الشوب هم أهل السنة والجماعة ، وفيهم الصديقون والشهداء والصالحون ، ومنهم أعلام الهدى ومصايح الدجى ، أولو المناقب الماثورة ، والفضائل المذكورة ، وفيهم الأبدال: الأئمة الذين أجمع المسلمون على هدايتهم ودرائتهم ، وهم الطائفة المنصورة ، الذين قال فيهم النبي عليه السلام: (لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى تقوم الساعة) . فنسأل الله العظيم أن يجعلنا منهم ^(١) .

قال النووي رحمه الله: « وأما هذه الطائفة ، فقال البخاري: هم أهل العلم ، وقال أحمد بن حنبل: إن لم يكونوا أهل الحديث ، فلا أدري من هم . قال القاضي عياض: « إنما أراد أحمد أهل السنة والجماعة ، ومن يعتقد مذهب أهل الحديث » .

« إن هذه الطائفة مفترقة بين أنواع المؤمنين ، منهم شجعان مقاتلون ، ومنهم فقهاء ، ومنهم محدثون ، ومنهم زهاد ، وأمرون بالمعروف ، وناهون عن المنكر ، ومنهم أهل أنواع أخرى من الخير ، ولا يلزم أن يكونوا مجتمعين ، بل قد يكونون متفرقين في أقطار الأرض » . أ.هـ . كلام النووي .

وفي هذا الحديث معجزة ظاهرة ؛ فإن هذا الوصف ما زال ، بحمد الله تعالى ، من زمن النبي عليه السلام إلى الآن ، ولا يزال حتى يأتي أمر الله المذكور في الحديث ، وفيه دليل لكون الإجماع حجة ، وهو أصح ما استدل به له من الحديث .

قوله عليه السلام: (ظاهرين على من ناوهم) ، وهو بهمزة بعد الواو ؛ أي عاداهم ، وهو مأخوذ من نأى إليهم ، وناوا إليه ؛ أي نهضوا للقتال .

قوله عليه السلام: (لا يزال أهل الغرب ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة) .

(١) مجموع الفتاوى: ١٥٩/٣ .

قال علي بن المديني: أهل الغرب العرب ، والمراد بالغرب الدلو الكبير ؛ لاختصاصهم بها غالباً . وقال آخرون: المراد به الغرب من الأرض ، وقال معاذ: هم بالشام ، وفي حديث آخر: (هم بيت المقدس) ، وقيل (هم أهل الشام) وما وراء ذلك . قال القاضي: وقيل: المراد بأهل الغرب: أهل الشدة والجلد ، وغرب كل شيء حده ^(١) .

وذكر البخاري باباً سماه: « باب قول النبي ﷺ: لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق ، وهم أهل العلم » وذكر حديثين:

الأول: عن المغيرة بن شعبة ، عن النبي ﷺ قال: (لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين حتى يأتيهم أمر الله وهم ظاهرون) ^(٢) .

والثاني: عن معاوية بن أبي سفيان قال: سمعت النبي ﷺ يقول: (من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين ، وإنما أنا قاسم ، ويعطي الله ، ولن يزال أمر هذه الأمة مستقيماً ، حتى تقوم الساعة ، أو حتى يأتي أمر الله) ^(٣) .

قال ابن حجر في الفتح: « وأخرج الحاكم في علوم الحديث بسند صحيح ، عن أحمد: إن لم يكونوا أهل الحديث ، فلا أدري من هم . ومن طريق يزيد بن هارون مثله . قال الكرماني: يؤخذ من الاستقامة المذكورة في الحديث الثاني أن من جملة الاستقامة أن يكون التفقه ؛ لأنه الأصل .

قوله: (حتى يأتيهم أمر الله وهم ظاهرون) ؛ أي على من خالفهم ؛ أي غالبون . أو المراد بالظهور: أنهم غير مستترين ، بل مشهورون . والأول أولى ^(٤) . أ.هـ .

(١) شرح صحيح مسلم ، للنووي: ٦٦/١٣ - ٦٨ .

(٢) فتح الباري: ٢٩٣/١٣ .

(٣) المصدر السابق .

(٤) فتح الباري: ٢٠٩/١٣ . باختصار .

وقوله: (من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين) مشتمل على ثلاثة أحكام:

أحدها: فضل التفقه في الدين .

وثانيها: أن المعطي في الحقيقة هو الله .

وثالثها: أن بعض هذه الأمة سيبقى على الحق أبداً .

قوله (يفقهه) ؛ أي يفهمه ، يقال فقهه بالضم ؛ إذا كان الفقه له سجية ، وفقه بالفتح ؛ إذا سبق غيره إلى الفهم ، وفقه بالكسر ؛ إذا فهم . ونكّر (خيراً) ليشمل القليل والكثير ، والتنكير للتعظيم ؛ لأن المقام يقتضيه ، ومفهوم الحديث أن من لم يتفقه في الدين ؛ أي يتعلم قواعد الإسلام ، وما يتصل بها من الفروع ، فقد حرم الخير . وفي ذلك بيان ظاهر لفضل العلماء على سائر الناس ، ولفضل التفقه في الدين على سائر العلوم ^(١) . ١. هـ .

وفي فتح المجيد شرح كتاب التوحيد: « وقال معاذ بن جبل رضي الله عنه: « هم بالشام » ، وفي كلام الطبري ما يدل على أنه لا يجب أن تكون في الشام ، أو بيت المقدس دائماً ، بل قد تكون في موضع آخر في بعض الأزمنة ، قلت: (أي الشيخ عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ مؤلف الكتاب) ويشهد له الواقع ، وحال أهل الشام ، وأهل بيت المقدس ، فإنهم من أزمنة طويلة لا يعرف فيهم من قام بهذا الأمر بعد شيخ الإسلام ابن تيمية ، رضي الله عنه ، وأصحابه في القرن السابع وأول الثامن ، فإنهم كانوا في زمانهم على الحق ، يدعون إليه ، وينظرون عليه ، ويجاهدون فيه ، وقد يجيء من أمثالهم بعد بالشام من يقوم مقامهم بالدعوة إلى الحق ، والتمسك بالسنة ، والله على كل شيء قدير .

ومما يؤيد هذا أن أهل الحق والسنة في زمن الأئمة الأربعة وتوافر العلماء

(١) المصدر السابق: ١٦٤/١ - ١٦٥ . مختصراً .

في ذلك الزمان ، وقبله ، وبعده ، لم يكونوا في محل واحد ، بل هم في غالب الأمصار في الشام ، وفي الحجاز ، وفي مصر ، وفي العراق ، واليمن ، وكلهم على الحق ، يناضلون ، ويجاهدون أهل البدع ، ولهم المصنفات التي صارت أعلاماً لأهل السنة ، وحجة على كل مبتدع ، فعلى هذا فهذه الطائفة قد تتجمع ، وقد تتفرق ، وقد تكون في الشام ، وقد تكون في غيره ، فإن حديث أبي أمامة ، وقول معاذ ، لا يفيد حصرها بالشام ، وإنما يفيد أنها تكون في الشام في بعض الأزمان لا في كلها^(١) . هـ .

٣- كيف تكون واحداً من هذه الطائفة :

لعلك الآن أخي القارئ قد أدركت من هي الطائفة المنصورة ، التي أخبر عنها الصادق المصدوق عليه الصلاة والسلام ، وما هي خصائصها ، وأين مكانها . ولا أريد أن أزيد على ما قيل ، ولكنني أحب أن أتوقف عند إحدى روايات حديث الطائفة المنصورة ، وذلك قوله عليه الصلاة والسلام : (من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين ، ولا تزال عصاة من المسلمين يقاتلون على الحق ، ظاهرين على من ناوهم إلى يوم القيامة)^(٢) . لو أمعنا النظر في الحديث لوجدنا أن هناك أمرين ، حث عليهما النبي ﷺ ضمناً ، ودعا إلى لزومهما .

الأول : هو الفقه في دين الله .

والثاني : هو المقاتلة على الحق .. فاجتمع في هذا الحديث خيران :

الخير الأول : هو الفقه في دين الله ، « وكل من أراد الله به خيراً لا بد أن يفقهه في الدين ، فمن لم يفقهه في الدين ، لم يرد الله به خيراً »^(٣) .
والخير الثاني : هو خير الجهاد في سبيل الله ..

(١) فتح المجيد شرح كتاب التوحيد : ٣٣٢ - ٣٣٣ .

(٢) رواه مسلم .

(٣) مجموع الفتاوى : ٨٠ / ١٣ .

وهاتان الصفتان صفة العلم ، وصفة المقاتلة هما علامتان المضيفتان المميزتان للطائفة المنصورة ، فبهما قوام الدين كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية : « وذلك أن الله يقول في كتابه : ﴿ لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب ﴾ ^(١) ، فأخبر أنه أنزل الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط ، وأنه أنزل الحديد كما ذكره ، فقوام الدين بالكتاب الهادي والسيف الناصر ﴿ وكفى بربك هادياً ونصيراً ﴾ ^{(٢)(٣)} . ا.هـ .

وقال في موضع آخر : « فمن عدل عن الكتاب قوم بالحديد ، ولهذا كان قوام الدين بالمصحف والسيف » ^(٤) . ا.هـ .

فمن أراد أن يلحق بركب الطائفة المنصورة ، وأن يكون من أهلها ، فعليه أن يتصف بالصفتين ، صفة العلم والفقہ في دين الله ، مقروناً بالعمل ، وصفة القتال والجهاد في سبيل الله مقروناً بالإخلاص ، وعلى كل مسلم مخلص حريص على دينه ، راغب برضا ربه ، أن يفكر جدياً بأمر هذه الطائفة ، ويجعلها نصب عينيه . وعليه أن لا يطمئن له بال ، ولا يهدأ له حال ، حتى يلتحق بها ، وينضم إليها ، وينضوي تحت رايتها .

وهذه الطائفة لا يشترط أن يكون كل أفرادها على درجة واحدة من العلم والتخصص ، ولا في مكان واحد معين ، كما قال النووي رحمه الله : « إن هذه الطائفة مفرقة بين أنواع من المؤمنين ، منهم شجعان مقاتلون ، ومنهم فقهاء ، ومنهم محدثون ، ومنهم زهاد ، وأمرون بالمعروف ، وناهون عن المنكر ، ومنهم أهل أنواع أخرى من الخير ، ولا يلزم أن يكونوا مجتمعين ، بل قد يكونون متفرقين في أقطار الأرض » ^(٥) .

(١) سورة الحديد : ٢٥ .

(٢) سورة الفرقان : ٣١ .

(٣) المصدر السابق : ٢٣٢/١٣ .

(٤) المصدر السابق : ٢٦٤/١٣ .

(٥) شرح صحيح مسلم : ٦٧/١٣ .

لدين الذي ارتضاه الله تعالى لنا :

يقول الله تعالى : ﴿ إن الدين عند الله الإسلام ﴾^(١) .

ويقول تعالى : ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً ﴾^(٢) ، يقول ابن كثير رحمه الله تعالى : « هذه أكبر نعم الله تعالى على هذه الأمة ، حيث أكمل تعالى لهم دينهم ، فلا يحتاجون إلى دين غيره ، ولا إلى نبي غير نبيهم صلوات الله وسلامه عليه ، ولهذا جعله الله خاتم الأنبياء ، وبعثه إلى الإنس والجن ، فلا حلال إلا ما أحله ، ولا حرام إلا ما حرمه ، ولا دين إلا ما شرعه ، كل شيء أخبر به فهو حق ، وصدق ، لا كذب فيه ، ولا خلف ، فلما أكمل لهم الدين تمت عليهم النعمة »^(٣) .

صفة هذا الدين :

- ١- دين يكون فيه التوحيد عقيدة للناس ، لا عقائد الشرك والوثنية والضلال .
- ٢- دين خلا من العبودية إلا لله وحده ، فلا يتحاكم الناس إلا إلى الله ورسوله ، ولا يعبدون إلا الله ، ولا يطيعون غيره ، إلا إذا علموا أن في طاعته طاعة لله ، ولا يتبعونه على غير بصيرة من الله .
- ٣- دين يكون فيه الكتاب والسنة هو المنهج عملاً وتطبيقاً ، يعمل به الناس ، لا مجرد كلمات تردد على الألسن من غير فهم لمعناها ، ولا عمل بمقتضاها .
- ٤- دين يكون حكم ما أنزل الله سبحانه هو النافذ ، وشرع الله هو القائم والمسيطر ، وشرعية الإسلام هي المصدر الوحيد والأوحد ، لا كما يزعم الزاعمون ، ويدّعي المبطلون على أنه المصدر الرئيسي .

(١) سورة آل عمران: ١٩ .

(٢) سورة المائدة: ٣ .

(٣) تفسير ابن كثير: ١٩/٢ .

٥- دين يقدم فيه قول الله ورسوله على ما سواه من أقوال .

واسمع يا أخي إلى ابن القيم رحمه الله ، يقول : « وقد كان السلف يشتد نكيرهم وغضبهم على من عارض حديث رسول الله ﷺ برأي ، أو قياس ، أو استحسان ، أو قول أحد من الناس ، كائناً من كان ، ويهجرون فاعل ذلك ، وينكرون على من ضرب له الأمثال ، ولا يسوغون غير الانقياد له ﷺ ، والتلقي بالسمع والطاعة - حتى قال رحمه الله - : فدفعنا إلى زمان إذا قيل لأحدهم : ثبت عن النبي ﷺ أنه قال كذا وكذا ، يقول : من قال بهذا ؟ دفعاً في صدر الحديث ، ويجعل جهله بالعلم بالقاتل حجة له في مخالفته وترك العمل به ، ولو نصح نفسه لعلم أن هذا الكلام من أعظم الباطل ، وأنه لا يحل له دفع سنن رسول الله ﷺ بمثل هذا الجهل .

وأقبح من ذلك عذره في جهله ؛ إذ يعتقد أن الإجماع منعقد على مخالفة تلك السنة ، وهذا سوء ظن بجماعة المسلمين ؛ إذ ينسبهم إلى اتفاقهم على مخالفة سنة رسول الله ﷺ ، وأقبح من ذلك عذره في دعوى هذا الإجماع ، وهو جهله ، وعدم علمه بمن قال بالحديث ، فعاد الأمر إلى تقديم جهله على السنة ، والله المستعان » ^(١) . ١. هـ .

٦- دين تعلق فيه السنة ، وتنطمس فيه البدعة ، وتزول فيه الشبهات ، وتضمحل عنده الشهوات ، وتنطوي فيه الضلالات ، وعندها لن يبقى للضلال والمنحرفين والجهال والمغرضين مكان فيه .

٧- دين لا تغطي فيه مفاهيم السياسة التشريعية على شرع الله تعالى بحجة مصلحة الدعوة .

٨ - دين لا تكون فيه الحزبية المقياس الوحيد لتقييم الناس ، والحكم عليهم .

(١) أعلام الموقعين : ٤٦٤/٣ - ٤٦٥ .

٩- دين يكون التعلق فيه بالحق لا بالرجال ، يقول أبو حامد الغزالي رحمه الله : « ومن عادة ضعفاء العقول أنهم يعرفون الحق بالرجال لا الرجال بالحق » . وهذا واحد من أعظم قواعد معرفة الحق ...

١٠- دين يكون للناس منهج حياة ، لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا بينها ، وعندها فقط لن يحتاج الناس إلى أفكار مستوردة ، ولا إلى قيم فاسدة ، أو مفاهيم عفا عليها الزمن ، ودب فيها العفن ، لتكون بديلاً لهم ، يقول سيد قطب - رحمه الله - : « إن دين الله يتمثل في الضمير وفي الحياة سواء . يتمثل في عقيدة تعمر القلب ، وشعائر تقام للتعبد ، ونظام يصرف الحياة ، ولا يقوم دين الله إلا في هذا الكل المتكامل ، ولا يكون الناس على دين الله إلا وهذا الكل الكامل متمثل في نفوسهم وفي حياتهم ، وكل اعتبار غير هذا الاعتبار تميع للعقيدة ، وخداع للضمير ، ولا يقدم عليه مسلم نظيف الضمير . وعلى المسلم أن يجهر بهذه الحقيقة ، ويفاصل الناس على أساسها ، ولا عليه مما ينشأ عن هذه المفاصلة ، والله هو العاصم » ^(١) .

١١- دين أرسل الله به رسوله ﷺ ؛ ليظهره على غيره من الأديان ، بالحجة والبرهان ، والعز والتمكين والسلطان : ﴿ هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ﴾ ^(٢) . فمن ابتغى غيره ديناً كان من الخاسرين : ﴿ ومن يتبع غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين ﴾ ^(٣) . يقول النبي ﷺ : (والذي نفسي بيده ، لا يسمع بي رجل من هذه الأمة ، ولا يهودي ، ولا نصراني ، ثم لم يؤمن بي ، إلا كان من أهل النار) ^(٤) .

(١) الدعوة في ظلال القرآن .

(٢) سورة التوبة : ٣٣ .

(٣) سورة آل عمران : ٨٥ .

(٤) رواه مسلم ، وابن منده ، وغيرهما ، « السلسلة الصحيحة للألباني : ١٥٧ » .

١٢- دين يعيش فيه الناس شعوباً وقبائل متآخين متحابين؛ ليتعارفوا من غير ميول قومية، أو نزعة عرقية، أو دعوى عصبية . والمعيار الوحيد هو التقوى، يقول الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾^(١) .

١٣- دين تهافت فيه العلاقات الحزبية ، وتساقط عنده الصلات الفئوية ؛ لينطلق الناس إلى عالم الإسلام الرحيب ، تربطهم وشيجة الإسلام الخالدة ، وتحكمهم علاقات الأخوة الحقيقية ، يجمعهم التوحيد عقيدة ومنهجاً ، فالمسلم أخو المسلم من غير شروط مسبقة ، والناس أضحواء بنعمة الله إخواناً لا بنعمة البشر^(٢) ، يقول النبي ﷺ : (لا تحاسدوا ، ولا تناجشوا ، ولا تباغضوا ، ولا تدابروا ، ولا يبيع بعضكم على بيع بعض ، وكونوا عباد الله إخواناً ، المسلم أخو المسلم ، لا يظلمه ، ولا يحقره ، ولا يخذله ...) . الحديث^(٣) .

١٤- إنه دين الرحمة ، أرسل الله به نبيه عليه الصلاة والسلام ليكون رحمة للعالمين: ﴿ وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ﴾^(٤) . إنه الدين الذي ارتضاه الله لنا: ﴿ ورضيت لكم الإسلام ديناً ﴾^(٥) .

فاللهم اجعلنا من الداعين إلى دينك ، والتمسكين بكتابك وسنة نبيك ، ﷺ ، وأمتنا عليهما ، إنك سميع مجيب .

(١) سورة الحجرات: ١٣ .

(٢) يقول الله تعالى: ﴿ واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداءً فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً ﴾ سورة آل عمران: ١٠٣ .

(٣) رواه مسلم . عن أبي هريرة .

(٤) سورة الأنبياء: ١٠٧ .

(٥) سورة المائدة: ٣ .

استراحة في طريق الدعوة

أرجو من الله يا أخي أن أكون قد وفقت في توضيح بعض من معالم منهج الكتاب والسنة ، وإلقاء الضوء على ما ينبغي أن يكون عليه الإنسان المسلم في هذا الزمان ، وفي كل زمان ، وتبيان أن هذا المنهج هو السبيل الوحيد للهداية ، ومجانبة الضلال في الدنيا ، والفوز بالجنة ، والنجاة من النار في الآخرة . وبذا نكون قد قطعنا سوية خطوات في طريق دعوتنا إلى الله تعالى . ولكنني أريد أن ألفت انتباهك إلى أمور لا ينبغي إغفالها ، وأنت تسير في دربك مع السالكين ، قاصداً وجه ربك الكريم ، عليك الأخذ بأشياء والحذر من أشياء أخرى :

عليك : بطلب العلم ، فإنه مع التقوى يشكلان لك زاد المسير .

أما العلم : فبه يعرف الحق من الباطل ، والهدى من الضلال ، يذل لك العقبات ، ويسر لك طريق الوصول .

يقول الله تعالى : ﴿ أفمن كان على بينة من ربه كمن زين له سوء عمله واتبعوا أهواءهم ﴾^(١) . فمن غير العلم ستبقى أعزل أمام أعدائك من شياطين الإنس والجن ، من الذين يعرضون لك بين الحين والآخر ، وأنت تسير في هذا الدرب الطويل .

وإليك بعضاً من الوصايا التي تتعلق بالعلم وطلبه ، فالزمها واحرص عليها :

١- العلم النافع هو علم الكتاب والسنة ، فاطلبه ولا تطلب غيره :

يقول ابن القيم رحمه الله : « أعلى الهمم في طلب العلم طلب علم الكتاب والسنة ، والفهم عن الله ورسوله ، وأخس همم طلاب العلم قصر همته على تتبع شواذ المسائل ، وما لم ينزل ، ولا هو واقع ، أو كانت همته معرفة الاختلاف ، وتتبع أقوال الناس ، وليس له همة إلى معرفة

(١) سورة محمد : ١٤ .

الصحيح من تلك الأقوال . وقلَّ أن ينتفع واحد من هؤلاء بعلمه « ^(١) . هـ .
قال الأوزاعي : « العلم ما جاء به أصحاب محمد ﷺ ، فما كان غير ذلك فليس بعلم » ^(٢) .
وقال الجنيدي : « علمنا هذا مقيد بالكتاب والسنة ، من لم يقرأ القرآن ، ويكتب الحديث ، لا يقتدى به في علمنا هذا » ^(٣) .
وقال الحسن : « العلم علمان : فعلم على اللسان ، فذاك حجة الله على ابن آدم ، وعلم في القلب ، فذاك العلم النافع » ^(٤) .

٢- اقرن علمك بالعمل ، فلا خير في علم من غير عمل :

كان اليهود - عليهم لعائن الله - أهل علم وكتاب ، ولكن علمهم لم يفدهم في شيء ؛ لأنهم لم يعملوا به ، بل كتموه ، وحرفوا كلام الله عن مواضعه ، ونسوا حظاً مما ذكروا به ، فحل بهم غضب الله وسخطه ، ونزل بهم عقابه وعذابه ، ووجبت عليهم لعائنه ، يقول الله تعالى : ﴿ لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون .. كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون ﴾ ^(٥) ، ويقول تعالى : ﴿ بما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظاً مما ذكروا به ﴾ ^(٦) .

فليست العبرة بكثرة العلم وغزارته ، ولكن العبرة بمدى العمل به ، فكم

(١) الفوائد ، لابن القيم : ٦١ .

(٢) أخرجه ابن عبد البر : ٢٩/٢ ، فضل علم السلف على الخلف ، لابن رجب الحنبلي : ٤٢ ؛ تحقيق علي حسن عبد الحميد .

(٣) أخرجه أبو نعيم ، والخطيب . المصدر السابق : ٤٤ .

(٤) المصدر السابق : ٥٠ .

(٥) سورة المائدة : ٧٩-٧٨ .

(٦) سورة المائدة : ١٣ .

من الناس حملوا علوما فاقوا بها غيرهم ، ولكنها لم تكن إلا عبثاً ثقيلاً عليهم ؛ لأنهم لم يترجموها إلى حقيقة واقعة ، ولم يجسدها في أنفسهم قولاً وعملاً ، ولذلك كان خير الناس نبينا محمد ﷺ يقول في دعائه : (اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع ، ومن قلب لا يخشع ، ومن نفس لا تشبع ، ومن دعوة لا يستجاب لها)^(١) .

يقول ابن رجب : « فليس العلم بكثرة الرواية ، ولا بكثرة المقال ، ولكنه نور يقذف في القلب ، يفهم به العبد الحق ، ويميز به بين الباطل ، ويعبر عن ذلك بعبارات وجيزة محصلة للمقاصد »^(٢) .

فالعلم النافع ما كان مقروناً بالعمل الصالح ، والعمل مهما كثر لن يكون صالحاً ، ولن يتقبله الله تعالى ، حتى يكون خالصاً لوجهه الكريم ، وموافقاً لسنة نبيه عليه الصلاة والسلام . وهذا هو خير العمل وأحسنه ، كما قال الفضيل بن عياض رحمه الله في قوله تعالى : ﴿ لِيَبْلُوكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾^(٣) ، قال : « أخلصه وأصوبه ، قيل : يا أبا علي ، ما أخلصه وأصوبه ؟ قال : إن العمل إذا كان خالصاً ، ولم يكن صواباً ، لم يقبل ، وإذا كان صواباً ، ولم يكن خالصاً ، لم يقبل حتى يكون خالصاً صواباً ، فالخالص ما كان لله ، والصواب ما كان على السنة »^(٤) .

ويقول ابن القيم رحمه الله : « فالأعمال لا تتفاضل بصورها وعددها ، وإنما تتفاضل بتفاضل ما في القلوب ، فتكون صورة العملين واحدة ، وبينهما من التفاضل كما بين السماء والأرض »^(٥) .

(١) رواه مسلم ، والنسائي ، وأحمد ، والبغوي ، والطبراني في الكبير ، عن زيد بن أرقم ، رضي الله عنه .

(٢) فضل علم السلف على الخلف : ٣٧ .

(٣) سورة هود : ٧ .

(٤) فتح المجيد : ٤٥٠ .

(٥) فتح المجيد : ٦٩ .

٣- إياك وعلوم الكلام وعلوم الفلسفة فإنها لا تأتي بخير:

« فاما الدخول مع ذلك في كلام المتكلمين ، أو الفلاسفة فشر محض ، وقلّ من دخل في شيء من ذلك إلا وتلطخ ببعض أوضارهم ، كما قال أحمد: لا يخلو من نظر في الكلام إلا تجهم ، وكان هو وغيره من أئمة السلف يحذرون من أهل الكلام ، وإن ذبوا عن السنة » ^(١).

٤- اجتنب المراء والجدل فطالب العلم ينبغي أن يكون أبعد الناس عنهما:

عن أبي أمامة رضي الله عنه: « ما ضل قوم بعد هدى إلا أوتوا الجدل ». والحديث مرفوع ^(٢).

وقال معروف الكرخي: « إذا أراد الله بعبده خيراً فتح له باب العمل ، وأغلق عنه باب الجدل ، وإذا أراد الله بعبده شراً ، أغلق عنه باب العمل ، وفتح له باب الجدل » ^(٣).

وقال مالك: « المراء والجدال في العلم يذهب بنور العلم » ^(٤).

وقال: « المراء في العلم يقسي القلب ، ويورث الضغن » ^(٥).

(١) فضل علم السلف على الخلف: ٤٣.

(٢) أخرجه أحمد ، والترمذي ، وابن ماجه ، وابن أبي عاصم ، والطبراني في الكبير ، والحاكم بإسناد حسن .

(٣) أخرجه أبو نعيم في الحلية: ٣٦١/٨ .

(٤) فضل علم السلف على الخلف: ٣٣.

(٥) المصدر السابق: ٣٣ .

علامات العلم النافع

١- الخشية من الله وزيادة محبته والقرب منه :

قس علمك بمقياس الخشية ، لتدرك مدى نفعه ، يقول الله تعالى : ﴿ إنما يخشى الله من عباده العلماء ﴾^(١).

وكان الإمام أحمد رحمه الله يقول : « أصل العلم خشية الله »^(٢). يقول ابن رجب : « فأصل العلم : العلم بالله الذي يوجب خشيته ، ومحبته ، والقرب منه ، والأنس به ، والشوق إليه ، ثم يتلوه العلم بأحكام الله ، وما يحبه ، ويرضاه من العبد من قول ، أو عمل ، أو حال ، أو اعتقاد ، فمن تحقق بهذين العلمين كان علمه نافعاً ، وحصل له العلم النافع ، والقلب الخاشع ، والنفس القانعة ، والدعاء المسموع »^(٣).

٢- ازدياد التواضع لله تعالى :

قال بعض السلف : « ينبغي للعالم أن يضع التراب على رأسه تواضعاً لربه »^(٤).

٣- الإعراض عن الدنيا :

ومن علامات العلم النافع أن يدل صاحبه على الزهد في الدنيا ، وأعظمها الرياسة والشهرة والمدح ، فالتباعد عن ذلك ، والاجتهاد في مجانبته من علامات العلم النافع ، فإن وقع شيء من ذلك من غير قصد واختيار ، كان صاحبه في خوف شديد من عاقبته ، بحيث إنه يخشى أن يكون مكرراً أو

(١) سورة فاطر : ٢٨ .

(٢) فضل علم السلف على الخلف : ٥٢ .

(٣) المصدر السابق : ٥٦ .

(٤) المصدر السابق : ٥٠ .

استدراجاً ، كما كان الإمام أحمد يخاف ذلك على نفسه عند اشتهاه اسمه ، وبعد صيته ^(١) .

يقول ابن القيم : « كل من آثر الدنيا من أهل العلم واستحبها ، فلا بد أن يقول على الله غير الحق في فتواه وحكمه في خبره وإلزامه » ^(٢) .

قال الحسن : « إنما الفقيه : الزاهد في الدنيا ، الراغب في الآخرة ، البصير بدينه ، المواظب على عبادة ربه » ^(٣) .

٤- عدم ادعاء العلم ولا الفخر به ونسب الغير إلى الجهل :

« ومن علامات العلم النافع أن صاحبه لا يدعي العلم ، ولا يفخر به على أحد ، ولا ينسب غيره إلى الجهل إلا من خالف السنة وأهلها ، فإنه يتكلم فيه غضباً لله لا غضباً لنفسه ، ولا قصداً لرفعها على أحد » ^(٤) .

وما أحسن قول أبي حنيفة ، رحمه الله ، وقد سئل عن علقمة والأسود أيهما أفضل ؟ فقال : « والله ما نحن بأهل أن نذكرهم ، فكيف نفضل بينهم ! » .

وكان ابن المبارك إذا ذكر أخلاق من سلف ينشد :

لا تعرضن بذكرنا مع ذكرهم ليس الصحيح إذا مشى كالمقعد ^(٥)

(١) المصدر السابق : ٥٦ .

(٢) الفوائد : ١٠٠ .

(٣) فضل علم السلف على الخلف : ٥٥ .

(٤) المصدر السابق : ٥٦ - ٥٧ .

(٥) المصدر السابق : ٥٨ .

ثمرته :

يقول ابن رجب - رحمه الله - :

« فإذا أثمر العلم لصاحبه هذا ، فهو علم نافع ، فمتى كان العلم نافعا ، ووقر في القلب ، فقد خشع القلب لله ، وانكسر له ، وذلك هية وإجلالا وخشية ومحبة وتعظيماً ، ومتى خشع القلب لله ذل وانكسر له ، قنعت النفس بيسير الحلال من الدنيا وشبعت به ، فأوجب لها ذلك القناعة والزهد في الدنيا ، وكل ما هو فان لا يبقى من المال والجاه وفضول العيش ، الذي يُنقص به حظ صاحبه عند الله من نعيم الآخرة ، وإن كان كريماً على الله كما قال ابن عمر وغيره من السلف ، روي مرفوعاً .

وأوجب ذلك أن يكون بين العبد وبين ربه عز وجل معرفة خاصة ، فإن سأل أعطاه ، وإن دعاه أجابه ، كما قال في الحديث القدسي : (ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه) إلى قوله : (فلئن سألتني ل أعطيه ، ولئن استعاذني لأعيذنه)^(١).

وقيل لمعروف : ما الذي هيجك إلى الانقطاع ؟ وذكر له الموت ، والقبر ، والموقف ، والجنة ، والنار ، فقال : إن ملكاً هذا ملكه ، إذا كانت بينك وبينه معرفة ، كفاك هذا كله »^(٢).

وأما التقوى :

فإنها معين لا ينضب ، وزاد لا يشح ، وكثر لا ينفد ، والله تعالى يقول : ﴿ وتزودوا فإن خير الزاد التقوى واتقون يا أولي الألباب ﴾^(٣).

يقول ابن القيم : « فاعلم أن العبد إنما يقطع منازل السير إلى الله بقلبه

(١) رواه البخاري .

(٢) فضل علم السلف على الخلف : ٥٠ .

(٣) سورة البقرة : ١٩٧ .

وهمته ، لا بيدنه ، والتقوى في الحقيقة تقوى القلوب ، لا تقوى الجوارح ، قال تعالى : ﴿ ذلك ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب ﴾^(١) ، وقال : ﴿ لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم ﴾^{(٢)(٣)} .

» ودع ابن عون رجلاً ، فقال : عليك بتقوى الله ؛ فإن المتقي ليست عليه وحشة .

وقال زيد بن أسلم : كان يقال : من اتقى الله أحبه الناس ، وإن كرهوا . وقال الثوري لابن أبي ذئب : إن اتقيت الله ، كفاك الناس ، وإن اتقيت الناس ، لن يغنوا عنك من الله شيئاً^(٤) . ا.هـ .

واحذر :

يا أخي من الشيطان وجنوده من الأنس والجن ، فإنهم سيعرضون عليك بصور شتى ، وطرق مختلفة ، وسيحاولون تزيين الباطل لك ، وتليسه بلباس الحق ، والله تعالى يقول : ﴿ وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً شياطين الإنس والجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً ﴾^(٥) .

والشيطان ، عليه لعنة الله ، لن يدعك تمضي في سبيلك من غير أن يتعرض لك بشتى الوسوس ، ويوحي إليك بمختلف الأوهام والهواجس ، ليشتبك عن بلوغ مرامك ، والوصول إلى مطلوبك ، والفوز برضا محبوبك .. كما في قوله تعالى : ﴿ قال فما أغويتني لأقعدن لهم صراطك المستقيم . ثم لأآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ولا

(١) سورة الحج : ٣٢ .

(٢) سورة الحج : ٣٧ .

(٣) الفوائد : ١٤٢-١٤٣ .

(٤) الفوائد : ٥٤ .

(٥) سورة الأنعام : ١١٢ .

تجد أكثرهم شاكرين ﴿^(١)﴾ .

يقول النبي ﷺ : (إن الشيطان قعد لابن آدم بأطرقه ، فقعد له بطريق الإسلام ، فقال : تُسلم وتذر دينك ودين آبائك وآباء آبائك ؟ فعصاه ، فأسلم ، ثم قعد له بطريق الهجرة ، فقال : تهاجر وتدع أرضك وسماؤك ، وإنما مثل المهاجر كمثل الفرس في الطول ، فعصاه ، فهاجر .

ثم قعد له بطريق الجهاد فقال : تجاهد ، فهو جهد للنفس والمال ، فتقاتل ، فتقتل ، فتتكح المرأة ، ويقسم المال ، فعصاه ، فجاهد ، فمن فعل ذلك كان حقاً على الله أن يدخله الجنة ، ومن قتل كان حقاً على الله أن يدخله الجنة ، وإن غرق كان حقاً على الله أن يدخله الجنة ، وإن وقصته دابة كان حقاً على الله أن يدخله الجنة) ^(٢) .

وفي حديث آخر قال الرسول ﷺ : (إن الشيطان قال : وعزتك يا رب ، لا أبرح أغوي عبادك ، ما دامت أرواحهم في أجسادهم ، فقال الرب : وعزتي وجلالي ، لا أزال أغفر لهم ما استغفروني) ^(٣) .

ولكن تذكر يا أخي أن كيد الشيطان ضعيف ما دمت قوياً بدينك .
والله تعالى يقول : ﴿ إن كيد الشيطان كان ضعيفاً ﴾ ^(٤) .

أما إذا ضعفت ووهنت وتقاعست عن نيل المطلوب ، فحينئذ ستسهل مهمته ، ويحصل على مراده ، وتحقيق غايته في إبعادك عن دينك ، وحرفك عن طريق الوصول الذي أزمعت السير فيه ؛ فاحذره وأعد العدة لذلك .

وإليك هذه الكلمات المضيئة لتستنير بنورها ، ولتؤنس بها وحشتك ، ولتعينك على وعشاء السفر ، ومشقة الطريق ..

(١) سورة الأعراف: ١٦-١٧ .

(٢) صحيح الجامع الصغير ، للألباني برقم: ١٦٥٢ .

(٣) المصدر السابق ، صحيح برقم: ١٦٥٠ .

(٤) سورة النساء: ٧٦ .

يقول ابن القيم رحمه الله :

طالب النفوذ إلى الله والدار الآخرة ، بل إلى كل علم وصناعة ورئاسة ،
وبحيث يكون رأساً في ذلك ، مقتدى به يحتاج أن يكون :
شجاعاً مقداماً .

حاكماً على وهمه ، غير مقهور تحت سلطان تخيله .
زاهداً في كل ما سوى مطلوبه .. عاشقاً لما توجه إليه ...
عارفاً بطريق الوصول إليه ، والطرق القواطع عنه ...
مقدام الهمة ثابت الجأش ، لا يشنيه عن نيل مطلوبه لوم لائم ، ولا عذل
عاذل ... كثير السكوت ، دائم الفكر ...
غير مائل مع لذة المدح ، ولا ألم الذم ...
قائماً بما يحتاج إليه من أسباب معونته ...
لا تستفزه المعارضات . شعاره الصبر ، وراحته التعب ...
محباً لمكارم الأخلاق ...

حافظاً لوقته ، لا يخالط الناس إلا على حذر ، كالطائر يلتقط الحب
بينهم ... قائماً على نفسه بالرغبة والرغبة ... طامعاً في نتائج الاختصاص
على بني جنسه ...

غير مرسل شيئاً من حواسه عبثاً ، ولا مسرحاً خواطره في مراتب
السكون ...

وملاك ذلك هجر العوائد ، وقطع العلائق الحائلة بينك وبين
المطلوب...^(١)

(١) الفوائد: ١٩١ - ١٩٢ .

نصيحة الملك الأشرف

كُتِبَها: الإمامُ الحافظُ ضياءُ الدينِ المقدسيُّ

المتوفى سنة (٦٤٣ هـ) رحمه الله

حَقَّقَها وعلق عليها

علي حسن علي عبدالحميد الحلبي الأثري

الحمدُ لله حقَّ حمده ، والصلاة والسلامُ على نبيه وعبدِهِ ، وعلى آلِهِ وصحبِهِ ووفدِهِ .

أما بعدُ:

فهذه رسالةٌ علميَّةٌ دعوِيَّةٌ ؛ تُبَيِّنُ حقيقةَ المنهج الذي سار عليه علماءُ الإسلام السابقون في مُناصحةِ الحُكَّامِ أولياءِ الأمور ، وتقديمِ حقِّ النُصحِ لهم ؛ استجابةً لأمرِ الله سبحانه ، واتباعاً لسنةِ رسولِهِ ﷺ .

وأصلُ هذه الرسالةِ المخطوط من محفوظاتِ ظاهريَّةِ دمشق - حرسها اللهُ تعالى - ؛ وهي في المجموع (١١١) ، وهي نسخةٌ عزيزةٌ ؛ إذ إنَّها نُسخةُ المؤلِّف (١) .

وحتى يتمَّ الانتفاعُ بهذه الرسالة انتفاعاً علمياً تاماً أقدمُ بين يديها مقدِّمات:

(١) ولقد نَسَخَها - بخطِ يده - شيخُنا العلامة محمد ناصر الدين الألباني ضحى يوم السبت الثالث من جمادى الآخرة سنة (١٣٧٦ هـ) في دمشق ، أي قبل نحو أربعين عاماً ؛ ومنه أخذتها ؛ فجزاه اللهُ خيراً ، وأطال بقاءه ، ونفع به .

١- كلمة في النصيحة

النصيحة في الإسلام نورٌ سارٍ بين الأمة ، تشتدُّ بها صِلاتها ، وتتوثق من خلالها روابطها ، إذ إنَّها تُمثِّلُ في حقيقتها « إرادة الخير للمنصوح له » ، كما قال الخطابي في « معالم السنن » (١٢٥/٤) .

وقال الفيروزآبادي في « بصائر ذوي التمييز » (٦٣/٣) : « النصيحة : كلمة جامعة مشتقة من مادة (ن ص ح) الموضوعة لمعنيين :

أحدهما : الخُلوص والبقاء .

والثاني : الالتئام والرِّفاء .

يقال : نصَحَ الشيءُ ؛ إذا خلَصَ ؛ ويمكن أن يكون النصْحُ والنصيحة من هذا المعنى ؛ لأنَّ الناصح يَخْلُصُ للمنصوح له عن الغشِّ .

والمعنى الثاني : نصَحَ الثوبُ نصْحاً ؛ خاطه ... ويُمكن أن تكون النصيحة من هذا المعنى ؛ لأنَّ الناصح يَرْفَأُ ويُصلح حال المنصوح له ، كما يفعل الخياط بالثوبِ المخروق .

وفي حديث « الدين النصيحة » - الآتي ذكره - إشارة إلى أهمية النصيحة ، وذلك بتكريره ﷺ لهذه الجملة ، فَيُعَدُّ هذا منه ﷺ « اهتماماً للمقام ، وإرشاداً للأمة أن يعلموا حقَّ العلم أنَّ الدينَ كله - ظاهره وباطنه - منحصرٌ في النصيحة ، وهي القيام التامُّ بهذه الحقوق الخمسة » ^(١) ، وهي :

أ - النصِّحَ لله سبحانه .

ب - النصِّحَ لكتاب الله عزَّ شأنه .

ج - النصِّحَ لرسوله ﷺ .

د - النصِّحَ لأئمة المسلمين .

هـ - النصِّحَ لعامة المسلمين .

(١) « بهجة قلوب الأبرار » (ص ١٨) للعلامة السَّعْدِي .

فكلُّ منها له أحكامه ، وله آدابه ، وله شروطه وقواعدهُ ، بحيث لو نُفِذت على وجهها الشرعيُّ لكان للمجتمع المسلم مكانته المُميّزة ، وخصائصه المُعتبرة .

والخلاصة أن النصيحة كلمة جمعت « كلَّ خير يُتغى ويؤمر به ، وكلَّ شر يُتقى ويُنهى عنه » ^(١) .

٢- النصيحة لأئمة المسلمين

... ومن تلکم الحقوق المُشار إليها آنفاً حقُّ النصيحة لأئمة المسلمين وحُكّامهم ؛ « فإنَّ الأئمة هم الولاءُ من الخلفاء الراشدين ومن بعدهم ممن يلي أمر الأمة ويقوم به .

ومن نصيحتهم مُعاونتهم على الحقِّ ، وطاعتهم فيه ، وأمرهم به ، وتنبيههم وتذكيرهم برفق ، وإعلامهم بما عَقَلُوا عنه ، وتركُ الخروج عليهم ^(٢) ، وتآلفُ الناس لطاعتهم ، والصلاةُ خلقهم ، والجهادُ معهم ، وأداءُ الصدقاتِ إليهم .

والأ يغرّوهم بالثناء الكاذب عليهم ، وأن يُدعى لهم بالصلاح » ^(٣) .

قال العلامة السَّعدي في « بهجة قلوب الأبرار » (ص ١٩) :

« وأما النصيحة لأئمة المسلمين - وهم ولائهم ؛ من الإمام الأعظم ، إلى الأمراء والقضاة ، إلى جميع مَنْ لهم ولايةُ عامّة أو خاصّة - فباعتقاد ولايتهم ، والسمع والطاعة لهم ، وحثُّ الناس على ذلك ، وبَذَلُ ما يستطيعه من إرشادهم ، وتنبيههم إلى كلِّ ما ينفعهم وينفعُ الناس ، وإلى القيام بواجبهم .

(١) « تعظيم قدر الصلاة » : ٦٨١/٢ لابن نُصْر المَرْوزي .

(٢) وفي هذا تفصيلات فقهية دقيقة ، ليس هنا موضعُ بيانها .

(٣) « البصائر » : ٦٥/٣ .

وقال الحافظ ابن حَجَرٍ في « فتح الباري » (١٣٨/١) :

« والنصيحة لأئمة المسلمين إعانتهم على ما حُمِّلوا القيام به ، وتنبيههم عند الغفلة ، وسدُّ خَلَّتِهِمْ عند الهفوة ، وجمعُ الكلمةِ عليهم ، وردُّ القلوب النافرة إليهم .

ومن أعظم نصيحتهم دفعهم عن الظلم بالتي هي أحسنُ » .

أقولُ: وأئمةُ المسلمين - حقاً - هم الذين ارتضوا بالله ربّاً ، وبالإسلام ديناً ، وبالقرآن دستوراً ، وبالرسول ﷺ أسوةً وقُدوةً ...
ليسوا هم الذين غيَّروا وبدَّلوا ...

وليسوا هم المنحرفين الطاغين الفاجرين ...

وليسوا هم الحاكمين بغير ما أنزل ربُّ العالمين ..

٣- الصِّلة بين العلماء والأمراء

....الأصلُ في ذلك قوله ﷺ: (وَمَنْ أَتَى السَّلْطَانَ اثْنَيْنِ) ^(١) .

لما يترتَّبُ على القُرب من السُّلَاطِين - غالباً - من مخالَفات شرعية ، وسكوت عن الحقِّ ، ورضا بالباطل ... وهكذا .

قال محمد طاهر القُتْنِي في « مَجْمَع بحار الأنوار » (٩٩/٤) شارحاً :
« وهذا لمن دَخَلَ مُدَاهَنَةً ، وَمَنْ دَخَلَ أَمْرًا وَنَاهِيًا وَنَاصِحًا كَانَ دَخُولُهُ أَفْضَلَ » .

فَمِنْ هَا هُنَا كَانَ دَخُولُ الْعُلَمَاءِ الْمُخْلِصِينَ عَلَى الْحُكَّامِ الصَّادِقِينَ ، الَّذِينَ

(١) رواه أبو داود (٢٨٥٩) والترمذي: ٢٢٥٦ والنسائي: ١٩٥/٧ ، وأحمد: ٣٥٧/١ ، عن ابن عباس بسندٍ ضعيفٍ .

وله شاهدٌ عن أبي هريرة:

رواه أبو داود: ٢٨٦٠ ، وأحمد: ٣٧١/٢ و ٤٤٠ ، وابن عدي: ٣١٢/١ ، فهو به قويٌّ إن شاء الله .

يَتَّبِعُونَ الْحَقَّ وَيَسْتَجِيبُونَ لَهُ .

قال الشيخ عبدالعزيز البدر في كتابه « الإسلام بين العلماء والحكام »
(ص ١٢ - ١٣) :

« ... وهؤلاء الحكام الذين عاصروا علماءنا ، ما كانوا يكرهون الإسلام ، ولا يستكبرون عن حكمه وتحكيمه ، بل كانوا يطبقونه ، ويرعون شؤون المسلمين على أساسه ، وأعلنوا الحرب على أعدائه ، ودافعوا عن بيضة المسلمين ، وحمّوا حمى الإسلام ...

ولكن مع ذلك فقد نالت الدنيا منهم بعض الشيء ، فحملهم على اتباع الهوى في بعض الأمور حرصهم على الحكم والسلطان ...
وما أعظم فتنة الحكم والسلطان !! » .

وقد روى ابن أبي حاتم في « مقدمة الجرح والتعديل » (٣٠ / ١) عن الإمام مالك أنه قيل له : إنك تدخل على السلطان ! وهم يظلمون ويجورون !!

فقال مالك رحمه الله : يرحمك الله ! فأين المتكلم بالحق ؟ !
ولقد قال رسول الله ﷺ : (أفضل الجهاد كلمة حق عند ذي سلطان جائر)^(١) .

ومن أجل ذلك طرّق العلماء أبواب السلاطين ، لا من أجل الدنيا ، ولكن من أجل كلمة حق يقذفونها في قلوب الحكّام لعلّ الله يشرح بها صدورهم ، ويُنير بها قلوبهم .

« وهم - أي : الحكّام - في أمسّ الحاجة إلى من يُذكّرهم بالله ، ويُصارعهم بأخطائهم ويُرشدهم إلى الخير ، ويُعلّمهم بأن مسؤولية الإسلام أول ما تقع عليهم ، ولن ينجو حاكمٌ واحدٌ من غضب الله وسخطه إن هو

(١) رواه ابن ماجه: ٤٠١٢ ، وأحمد: ٢٥١/٥ و ٢٥٦ ، عن أبي أمامة بسند حسن.

قَرَّطَ فِي حَقِّ اللَّهِ ، وَأَهْمَلَ وَاجِبَهُ كِرَاعَ اسْتِرْعَاةِ اللَّهِ عَلَى خَلْقِهِ ؛ ﴿ فَلَنَسْأَلَنَّ
الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ ﴾ ^(١) .

وليس هناك عملٌ أفضل من هداية الحاكم نحو الخير ، لأنَّ في صلاحه
صلاح البلاد والعباد .

يقول إمام دار الهجرة مالك بن أنس : « حقٌّ على كل مسلم أو رجل
جعل الله في صدره شيئاً من العلم والفقه ، أن يدخل على ذي سلطان
يأمره بالخير وينهاه عن الشر ويَعْظُهُ » ^(٢) .

ويُعَلِّل ذلك بقوله : « لأنَّ العالم إنما يدخل على السلطان يأمره بالخير
وينهاه عن الشر ، فإذا كان فهو الفضل الذي ليس بعده فضلٌ » .

ذلك لأن العلماء دعاةٌ بالسنتهم ، وأصحاب السلطان دعاةٌ بالسنتهم
وسُلْطَانِهِمْ ، وباتِّفَاقِ الْعُلَمَاءِ وَأَصْحَابِ السُّلْطَانِ ، وتعاونِهِمْ فِي الْخَيْرِ تَقْوَمُ
الْمَدِينَةُ الْفَاضِلَةُ ، وَيُصْلِحُ أَمْرُ الْبِلَادِ وَالْعِبَادِ ، فَالْعُلَمَاءُ وَرَثَا مِنْ مَقَامِ النَّبَوَةِ
الْعِلْمَ ، وَأَهْلُ السُّلْطَانِ وَرَثَا مِنْ مَقَامِ النَّبَوَةِ الْقُوَّةَ » ^(٣) .

وبالرغم من ذلك كله ؛ فإننا نرى عبارات كثيرة عن العلماء والأئمة فيها
التحذير من قُرْبِهِمْ ، أو الاتصال بهم ؛ وما ذاك - في حقيقته - إلا خشية
على دينهم مِنَ الْأَنْسِ بِالْمُنْكَرِ ، أو الرُّضَا بِالْبَاطِلِ ، أو السكوت على
الانحراف :

قال حماد بن سلمة : « إِنَّ دَعَاكَ الْأَمِيرُ لَتَقْرَأَ عَلَيْهِ : ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾
فَلَا تَأْتِهِ » ! ^(٤) .

(١) الأعراف : ٦ .

(٢) « ترتيب المدارك » : ٢٠٧/١ - ٢٠٨ للقاضي عياض .

(٣) « مناهج العلماء في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر » (ص ٨٤) فاروق
السامرائي .

(٤) « حلية الأولياء » : ٢٥١/٦ .

وما ذاك منه - أو من غيره - رحمه الله إلا سداً لباب لا يعلم قرارة إلا ربُّ العالمين ، وقد يلجُّ مَنْ ليس له باهل ، فيفسد إفساداً عظيماً شديداً .

وصفوهُ القول أن مَنْ عَرَفَ في دينه ثباتاً ، وفي علمه سعةً ، وفي نفسه إخلاصاً ، وفي كلامه صدقاً ، وفي نُصْحِهِ إصلاحاً ، وفي توجيهه استجابةً: وجَبَ عليه هذا النَّصْح ، ولزِمَه ذلك التَّوجيه ؛ لعلَّ الله سبحانه يُصْلِحُهُ فيُصلِح به

ولقد قال الفضيل بن عياض: « لو أنَّ لنا دعوةً مُستجابةً ما صيرناها إلا للإمام »^(١) .

والمعنى المراد من هذه الكلمة: « إذا جعلتها في نفسي لم تُعْذِني ، وإذا جعلتها في السلطان صلَحَ ، فصَلَحَ بِصَلاحِهِ العبادُ والبلاد »^(٢) .

من أجل هذا كان الإمام أحمد يقول: « وإني لأدعو له - أي: الإمام - بالتسديد والتوفيق - في الليل والنهار - والتأييد ، وأرى ذلك واجباً عليَّ »^(٣) .

قلتُ: ونحن نقولُ ذلك ، لكنْ .. لمن يرفعُ للإسلام - بالإسلام - رأسه ، ويشدُّدُ على المنحرفِ عنه - المخالفِ له - بأسه ..

والله الهادي - وحده - إلى سواءِ السَّبيل .

(١) « الحلية »: ٩١/٨ - ٩٢ .

(٢) « شرح السنة »: ص ٥١ للبربري .

(٣) « السنة » رقم: ١٤ ، للخلال . وانظر « التاصيل »: ٧٧/١ ، للشيخ بكر أبو زيد .

٤- نماذج من نصائح العلماء للأمرء

وعبر تاريخ الأمة الحافل الشر نرى صوراً شتى متعددة متنوعة من نصائح العلماء للأئمة والسلاطين ، نقتبس منها - في هذه المقدمة الوجيزة صورتين :

الأولى : النصيحة المباشرة مواجهةً :

فقد حكى ابن خلكان في « وفيات الأعيان » : ٢٦٤/٤ ، أن الإمام أبا بكر الطرطوشي دخل على الأفضل ابن أمير الجيوش^(١) بمصر ، فبسط تحته مِثْرَةً ، وكان إلى جانب الأفضل نصراني^{!!} فوعظ الطرطوشي الأفضل حتى أبكاه ..

وفي « نفح الطيب » : ٨٧/٢ للمقري شيء من نصيحة المشار إليه ، فكان منه قوله له : « إن الأمر الذي أصبحت فيه من الملك إنما صار إليك بموت من كان قبلك ، وهو خارج عنك بمثل ما صار إليك ، فأتق الله فيما حولك من هذه الأمة ، فإن الله عز وجل سائلك عن النقيير والقِطْمير والفتيل !

واعلم أن الله عز وجل أتى سليمان بن داود ملك الدنيا بحذافيرها ، فسخر له الإنس والجن والشياطين والطير والوحش والبهائم ، وسخر له الريح تجري بأمره رخاء حيث أصاب ، ورفع عنه حساب ذلك أجمع ، فقال عز من قائل : ﴿ هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾^(٢) فما عدَّ ذلك نعمة كما عدَّ ثَمَمُوهَا ! ولا حَسِبَهَا كرامة كما حَسِبْتُمُوهَا ! بل خاف أن يكون استدراجاً من الله عز وجل ، فقال : ﴿ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ﴾^(٣) فافتح الباب ، وسهل الحجاب ، وانصر المظلوم .

(١) انظر « النجوم الزاهرة » : ٢٢٢/٥ ، و « البداية والنهاية » : ١٨٨/٢ .

(٢) سورة ص : ٣٩ .

(٣) سورة النمل : ٤٠ .

ثم أنشدَه مُشيراً إلى النصراني:
يَا ذَا الَّذِي طَاعْتُهُ قُرْبَةً وَحَقُّهُ مُفْتَرَضٌ وَاجِبُ
إِنَّ الَّذِي شُرُفْتَ مِنْ أَجْلِهِ ^(١) يَزْعُمُ هَذَا ^(٢) أَنَّهُ كَاذِبُ
فَلَمَّا سَمِعَ الْأَفْضَلُ ذَلِكَ أَقَامَ النَّصْرَانِيَّ مِنْ مَوْضِعِهِ ^(٣)
فَانظُرُوا - رَحِمَكُمُ اللَّهُ - إِلَى اسْتِجَابَةِ الْأَمِيرِ لِلنُّصْحِ الْعَالِمِ ، وَاتِّمَارِهِ بِأَمْرِهِ ،
وَقِيَامِهِ بِحَقِّهِ ..

الصورة الثانية: النصيحة المباشرة مكاتبة:

قال ابن العطار في « تحفة الطالبين » : (١٠١) :
« وَكَانَ الْإِمَامُ النَّوَوِيُّ مُوَاجِهًا لِلْمُلُوكِ وَالْجَبَابِرَةِ بِالْإِنْكَارِ ، وَلَا يَأْخُذُهُ فِي
اللَّهِ لَوْمَةٌ لَائِمٌ ، وَكَانَ إِذَا عَجَزَ عَنِ الْمُوَاجَهَةِ ؛ كَتَبَ الرِّسَائِلَ ، وَتَوَصَّلَ إِلَى
إِبْلَاغِهَا .
وَمِمَّا كَتَبَهُ لِبَعْضِ سُلَاطِينِ عَصْرِهِ لَمَّا سُلِبَ كَثِيرٌ مِنْ أَمْلاكِ دِمَشْقَ ،
وَأَخَذَهَا أَعْوَانُ السُّلْطَانِ مِنْ أَصْحَابِهَا :

(١) وهو كتابُ اللهِ وَسُنَّةُ رَسُوْلِهِ ﷺ .

(٢) أي: النصراني بسبب كفره .

(٣) وانظر « سير أعلام النبلاء » : ٤٩٢/١٩ .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين .

قال الله تعالى: ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَ تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ ^(١) .

وقال تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لُبِئْتُكُمْ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ ﴾ ^(٢) .

وقال تعالى: ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾ ^(٣) .

وقد أوجب الله على المكلفين نصيحة السلطان - أعز الله أنصاره - ونصيحة عامة المسلمين ، ففي الحديث الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال: (الدين النصيحة ؛ لله ولكتابه ، ورسوله ، وأئمة المسلمين وعامتهم) ^(٤) .

ومن نصيحة السلطان - وفقه الله لطاعته ، وتولاه بكرامته - أن يُنهى ^(٥) إليه الأحكام إذا جرت على خلاف قواعد الإسلام .

وأوجب الله تعالى الشفقة على الرعية ، والاهتمام بالضعة ، وإزالة الضرر عنهم .

قال الله تعالى: ﴿ وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ ^(٦) .

وفي الحديث الصحيح: قال رسول الله ﷺ: (إنما تُنصرون وتُرزقون

(١) سورة الذاريات: ٥٥ .

(٢) سورة آل عمران: ١٨٧ .

(٣) سورة المائدة: ٢ .

(٤) سيأتي تخريجه .

(٥) أي يصله ويرفع إليه .

(٦) سورة الحجر: ٨٨ .

بضعفائكم) (١).

وقال ﷺ: (مَنْ كَشَفَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ الدُّنْيَا ؛ كَشَفَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا دَامَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ) (٢).

وقال ﷺ: (اللَّهُمَّ مَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ الْمُسْلِمِينَ شَيْئًا ، فَرَّقَ بِهِمْ ؛ فَارْتُقِ بِهِ ، وَمَنْ شَقَّ عَلَيْهِمْ ؛ فَاشْتَقَّ عَلَيْهِ) (٣).

وقال ﷺ: (كُلُّكُمْ رَاعٍ ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ) (٤).

وقال ﷺ: (إِنَّ الْمَقْسِطِينَ عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ عَلَى يَمِينِ الرَّحْمَنِ ؛ الَّذِينَ يَعْدِلُونَ فِي حُكْمِهِمْ ، وَأَهْلِيهِمْ ، وَمَا وَلُّوا) (٥).

وقد أنعم الله تعالى علينا وعلى سائر المسلمين بالسُّلطان - أعزَّ الله أنصاره - فقد أقامه لِنُصْرَةِ الدِّينِ ، والدَّبِّ عَنْ الْمُسْلِمِينَ ، وأَذْلَّ بِهِ الْأَعْدَاءَ مِنْ جَمِيعِ الطَّوَائِفِ ، وفتح عليه الْفُتُوحَاتِ الْمَشْهُورَةَ فِي الْمَدَّةِ الْيَسِيرَةِ ، وأَوْقَعَ الرُّعْبَ مِنْهُ فِي قُلُوبِ أَعْدَاءِ الدِّينِ ، وسائر المَارِدِينَ ، ومَهَّدَ لَهُ الْبِلَادَ وَالْعِبَادَ ، وقَمَعَ أَهْلَ الزَّيْغِ وَالْفَسَادِ ، وأَمَدَّهُ بِالْإِعَانَةِ وَاللِّطْفِ وَالسَّعَادَةِ .

فلله الْحَمْدُ عَلَى هَذِهِ النِّعَمِ الْمُنْظَاهِرَةِ ، وَالْخَيْرَاتِ الْمُتَكَاثِرَةِ ، ونَسْأَلُ اللَّهَ الْكَرِيمَ دَوَامَهَا لَهُ وَلِلْمُسْلِمِينَ ، وَزِيَادَتَهَا فِي خَيْرٍ وَعَافِيَةٍ . آمِينَ .

(١) هو بهذا اللفظ - في « مسند أحمد » : ١٩٨/٥ « وسنن النسائي » : ٤٥/٦ ، وسنن الترمذي : ١٧٠٢ ، و« صحيح ابن حبان » : ٤٧٦٧ ، بسند صحيح . وهو في « صحيح البخاري » : ٢٨٩٦ ، عن سعد بن أبي وقاص بلفظ : (هل تُنصرون إلا بضعفائكم) .

(٢) رواه مسلم : ٢٦٩٩ .

(٣) رواه مسلم : ١٨٢٨ .

(٤) رواه البخاري : ٩٨٣ ، ومسلم : ١٨٢٩ .

(٥) رواه مسلم : ١٨٢٧ .

وقد أوجب الله شكرَ نِعَمِهِ ، ووعدَ الزيادةَ للشَّاكرين ، فقال تعالى :
﴿لئن شكرتم لأزيدنكم﴾ ^(١) .

ولقد لحقَ المسلمین بسببِ هذه الحوطةِ على أملاكِهِم أنواعٌ من الضرر ، لا
يُمكنُ التَّعبيرُ عنها ، وطلبَ منهم إثباتُ لا يلزمهم ، فهذه الحوطةُ لا تحلُّ
عند أحدٍ من علماء المسلمين ، بل مَنْ في يده شيءٌ ؛ فهو مُلكه ، لا يحلُّ
الاعتراضُ عليه ، ولا يُكلفُ بإثباته .

وقد اشتهرَ من سيرةِ السلطان أنَّه يُحبُّ العملَ بالشرع ، ويوصي نوابه ،
فهو أولى مَنْ عملَ به .

والمسؤولُ إطلاقُ النَّاسِ من هذه الحوطةِ ، والإفراجُ عن جميعهم ،
فأطلقهم أطلقك الله من كل مكروه ؛ فهم ضَعْفَةٌ ، وفيهم الأيتامُ ،
والأراملُ ، والمساكينُ ، والضعفَةُ ، والصالحونُ ، وبهم تُنصرُ وتُغاثُ ،
وتُرزقُ ، وهم سكان الشام المبارك ، جيران الأنبياء - صلواتُ الله وسلامه
عليهم - وسكَّانُ ديارهم ، فلهم حُرُماتٌ من جهات .

ولو رأى السُّلطانُ ما يلحقُ النَّاسَ من الشَّدائدِ ؛ لاشتدَّ حُزْنُهُ عليهم ،
وأطلقهم في الحال ، ولم يؤخِّرهم ، ولكن لا تُنهي الأمورُ إليه على
وجهها .

فبالله ! أغثِ المسلمين ؛ يُغثِكَ الله ، وارفق بهم ؛ يرفق الله بك ، وعجلْ
لهم الإفراجَ قبل وقوع الأمطار ، وتلف غلاتهم ؛ فإنَّ أكثرهم ورثوا هذه
الأملاك من أسلافهم ، ولا يُمكنهم تحصيلُ كُتبِ شراء ، وقد نُهبَت كُتُبُهُم .
وإذا رفقَ السلطانُ بهم ؛ حصل له دعاءُ رسولِ الله ﷺ لمن رفق بأمته ^(٢) ،

(١) سورة إبراهيم : ٧ .

(٢) كما في « صحيح مسلم » : ١٨٢٨ عن عائشة رضي الله عنها مرفوعاً : (اللهم من
ولي من أمر أمتي شيئاً فشق عليهم ، فاشقق عليه ، ومن ولي من أمر أمتي شيئاً
فرفق بهم ، فارفق به) .

ونصره على أعدائه ؛ فقد قال الله تعالى : ﴿ إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ ﴾ ^(١) .
وتتوفر له من رعيته الدعوات ، وتظهر في مملكته البركات ، ويُبارك له
في جميع ما يقصده من الخيرات .
وفي الحديث عن رسول الله ﷺ قال : (من سنَّ سُنَّةَ حسنة ؛ فله أجرها
وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة ، ومن سنَّ سُنَّةَ سيئة ؛ فعليه وزرها
وزر من عمل بها إلى يوم القيامة) ^(٢) .
فنسأل الله الكريم أن يوفق السلطان للسُننِ الحسنة التي يُذكر بها إلى يوم
القيامة ، ويحميه من السُننِ السيئة .
فهذه نصيحتنا الواجبة علينا للسلطان ، ونرجو من فضل الله تعالى أن
يلهمه فيها القبول .
والسلام عليكم ورحمة الله .

(١) سورة محمد : ٧ .

(٢) سيأتي تخريجه .

٥- ترجمة الملك الأشرف^(١)

صاحبُ دِمَشقَ ، السُّلطانُ الملكُ الأشرفُ ، مظفرُ الدِّينِ أبو الفتح موسى شاه أرمن ، ابنُ العادل .

وُلد بالقاهرة في سنة ستّ وسبعين ، فهو من أقرانِ أخيه المعظم .
وروى عن ابنِ طبرزد . وحَدَّثَ عنه أيضاً القُوصيُّ في « معجمه » ،
وسمع « الصحيح » في ثمانية أيام من ابنِ الزَّبيديّ . تَمَلَّك القدسَ أولاً ،
ثم أعطاه أبوه حَرَانَ والرُّها وغير ذلك ، ثم تَمَلَّك خِلاط ، وتنقلت به
الأحوال ، ثم تَمَلَّك دِمَشقَ بعد حصارِ الناصر بها ، فعَدَلَ وخَفَّفَ الجُورَ ،
وأحَبَّتْهُ الرِّعيّة . وكان فيه دينٌ وخوفٌ من الله - على لعبه - ، وكانَ
جواداً ، سمحاً ، فارساً ، شجاعاً ، لديه فضيلة .

ولما مرَّ بحلب سنة خمس وستمئة تلقاه الملكُ الظاهرُ ابنُ عمِّه وأنزله في
القلعة ، وبالع في الإنفاق عليه ، فأقام عنده خمسة وعشرين يوماً ، فلعله نابه
فيها لأجله خمسون ألف دينار ، ثم قَدَّمَ له تقدمةً وهي : مائة بُقجةٍ مع مائة
مملوك فيها فاخرُ الثياب ، وخمسةٌ وعشرون رأساً من الخيل ، وعشرون
بغلاً ، وقطارانِ جمالٍ ، وعدةٌ خِلعٍ لخواصّه ، ومائة ألف درهم ، وأشياء
سوى ذلك .

ومن سعادته أنَّ أخاه الملكَ الأوحد صاحبَ خِلاط مَرَضَ فعادَهُ الأشرفُ ،
فأسرَّ الطبيبُ إليه : إنَّ أخاك سيموتُ ، فمات بعد يوم واستولى الأشرفُ
على أرمينية .

وكان مليحَ الهيئة ، حُلُوَ السمائل . قيل : ما هُزمت له رايةٌ . وكان له
عكوفٌ على الملاهي والمسكر عفا الله عنه ! ويُبَالِغُ في الخُضوعِ للفقراءِ
ويزورُهُم ويُعطِيهِم ، ويُجيزُ على الشَّعرِ ، ويبعث في رمضان بالحلاوات إلى
أماكن الفقراء ، ويُشارك في صنائع ، وله فُهمٌ وذكاءٌ وسياسة . أخربَ

(١) وهي مختصرةٌ من « سير أعلام النبلاء » : ١٢٢/٢٢ - ١٢٧ .

خان العقبة ، وعمله جامعاً .

قال سبط الجوزي: فجلستُ فيه ، وحَضَرَ الأشرَفُ وبكى واعتق جماعة .
وعمل مسجدَ بابِ النَّصر ، ودار السَّعادة ، ومسجدَ أبي الدرداء ، وجامعَ جراح ، وداري الحديث بالبلد وبالسَّفح والدَّهْشَة ، وجامعَ بنت الأبار .
قال سبط الجوزي: كان الأشرَفُ يحضرُ مجالسي بحرَّان ، وبخِلاط ، ودمشق ، وكان ملكاً عَظِيماً ، قال لي: ما مددتُ عيني إلى حريم أحدٍ ولا ذكرٍ ولا أنثى ؛ جاءني عَجُوزٌ من عند بنت صاحب خِلاط شاه أرمن بأنَّ الحَاجِبَ عليّاً أخذ لها ضيعة ، فكتبت بإطلاقها، فقالت العَجُوزُ: تريد أنْ تحضَرَ بين يديك . فقلت: باسم الله ، فجاءت بها فلم أرَ أحسنَ من قوامِها ولا أحسنَ من شكلِها فَحَدَمْتُ ، فُكِمْتُ لها، وقلتُ: أنتِ في هذا البلد وأنا لا أدري ؟

فَسَقَرْتُ عن وجهِ أضاءت منه العُرفَةُ ، فقلت: لا ، استتري . فقالت: مات أبي واستولى على المدينة بكَثْمُر ، ثم أخذ الحَاجِبُ قريتي ، وبقيتُ أعيشُ من عَمَلِ النَّقْشِ وفي دارٍ بالكراء .

فبكيتُ لها ، وأمرتُ لها بدار وقِماش ، فقالت العَجُوزُ: يا خَوْنُدُ ألا تحظى الليلة بك ؟ فوقع في قلبي تَغْيِيرُ الزمان وأن خِلاط يملكها غييري ، وتحتاجُ بنتي أن تقعد هذه القعدة ^(١) ، فقلت: معاذ الله ما هذا من شيمتي . فقامت الشابة باكية تقول: صان الله عواقبك .

وله شعرٌ فيما قيل .

قال: وكنتُ أغشاه في مرضه ، فقلت له: استعدَّ للقاء الله فما يضرُّ ، فقال: لا والله بل ينفعُ ، فَفَرَّقَ البلادَ ، وأعتق مَماليكهُ نحو مئتين ، ووقف دار السَّعادة والدَّهْشَة على بنته .

وقال ابنُ واصل: خَلَفَ بنتاً فتزوَّجها الملكُ الجواد ، فلما تُسلطنَ عَمَّها

(١) الله أكبر ! ما أعزُّ الشرفَ عند أهل الإسلام !

الصَّالِحُ فسخَ نِكَاحَهَا ، ولأنه حلف بطلاقها على شيء فعله ، ثم زوجها بولده المنصور محمد ، فدامت في صُحبته إلى اليوم .

وكان للأشرف مِثْل إلى المحدثين والحنابلة ؛ قال ابنُ واصل : وقعت فتنة بين الشافعية والحنابلة بسبب العقائد ، قال : وتُعصَّب الشيخ عز الدين بن عبد السلام على الحنابلة ، وجرت خِبطَةٌ ، حتى كتب عز الدين رحمه الله إلى الأشرف يقَعُ فيهم ، وأن الناصحَ ساعدَ على فتح باب السلامة لعسكر الظاهر والأفضل عندما حاصروا العادل ، فكتب الأشرف : يا عز الدين الفتنة ساكنة لعن الله مُثيرَها ، وأما بابُ السلامة فكما قيل :

وَجُرْمُ جَرَّةِ سَفَهَاءِ قَوْمٍ فَحَلَّ بِغَيْرِ جَانِيهِ الْعَذَابُ

وقد تاب الأشرفُ في مرضه وابتهل ، وأكثر الذُّكْرَ والاستغفار .

قلت : مَرَضَ مرضين مختلفين في أعلاه وأسفله ، فقليل : كان الجرائحي يُخرجُ من رأسه عظاماً ، وهو يحمّدُ الله .

وقال ابنُ حَمَوَيْهِ : كان به دما ملُ في رأسه ومخرجه ، وتأسَفَ الخلقُ عليه .

قلتُ : كان يبالغُ في تعظيم الشيخ الفقيه^(١) ، تَوْضُحاً الفقيه يوماً ، فوثب الأشرفُ ، وحلَّ من تخفيفته ورماها على يَدَيِ الشيخ لِنُشْفِ بها . رأى ذلك شيخنا أبو الحسين ، وحكاها لي .

مات في رابع المحرم سنة خمس وثلاثين وستمائة ، وكان آخر كلامه « لا إله إلا الله » فيما قيل^(٢) .

رحمه الله ، وعفا عنه .

(١) هو اليونيني ، ستاتي ترجمته .

(٢) انظر في ترجمته - أيضاً - « التكملة » : ٢٧٧٥ ، للمندري ، و « وفيات الأعيان » : ٣٣٥/٥ ، و « العبر في أخبار من عَبر » : ١٤٦/٥ ، و « البداية والنهاية » : ١٤٦/١٣ .

٦- ترجمة الإمام الضياء المقدسي^(١)

هو محمد بن عبد الواحد بن أحمد بن عبد الرحمن بن إسماعيل بن منصور السعدي ، المقدسي ، الصالح ، الحافظ الكبير ، ضياء الدين أبو عبدالله بن أبي أحمد .

مُحدثُ عصره ، ووحيدُ دهره ، وشهرته تُغني عن الإطناب في ذكره ، والاشتهار في أمره .

ولد في خامس جمادى الآخرة سنة تسع وستين وخمسائة . كذا وُجد بخطه .

وسمع بدمشق من أبي المجد البانياسي ، والحضر بن هبة الله بن طاووس ، وأحمد بن الموازني ، وغيرهم .

وسمع بمصر من البوصيري ، وفاطمة بنت سعد الخير ، وجماعة .

وسمع ببغداد الكثير من ابن الجوزي ، وابن المغطوش ، وابن سَكينة ، وابن الأخضر ، وطبقتهم .

وَرَحَلَ مرتين إلى أصبهان ، وسمع بها ما لا يُوصف كثرة .

وكتب بخطه الكثير من الكتب الكبار وغيرها ، ويقال : إنه كتب عن أزيد من خمسمائة شيخ ، وحصل أصولاً كثيرة ، وأقام بهراً ، ومرو ، مدة . وله إجازة من السلفي ، وشهادة .

قال ابن النجار : كُتِبَ عنه ببغداد ونيسابور ، ودمشق .

وهو حافظ ، مُتَقِنٌ ، ثَبَتٌ ، ثقة ، صدوقٌ نبيلٌ حجة ، عالمٌ بالحديث وأحوال الرجال .

له مجموعات وتخریجات ، وهو ورعٌ تقيٌّ زاهد ، عابدٌ محتاطٌ في أكل

(١) وهي مُلخضة من « ذيل طبقات الحنابلة » : ٢/٢٣٦ - ٢٤٠ ، لابن رجب .

الحلال ، مجاهدٌ في سبيل الله .

ولَعَمْرِي ما رأت عيناى مثله ؛ في نزاهته وعفته ، وحسن طريقته في طلب العلم .

وقال عمرُ بن الحَاجب: شيخُنا أبو عبدالله شيخُ وقته ، ونسيجُ وحده ، عِلْماً وحفظاً ، وثقةً وديناً ، من العلماء الربانيّين ، وهو أكبرُ من أن يَدُلَّ عليه مثلي .

كان شديدَ التحريّ في الرواية ، مُجتهداً في العبادة ، كثيرَ الذكر ، مُنقطعاً عن الناس ، مُتواضعاً في ذاتِ الله ، سَهْلَ العارِية .

رأيتُ جماعةً من المحدثين ذكروه فأطَبُّوا في حقِّه ، ومدحوه بالحفظ والزهد .

سألت الزكيَّ البرزالي عنه ، فقال: ثقةٌ جليلٌ ، حافظٌ دينٌ .

وقال الشَّرفُ بن النابلسي: ما رأيتُ مثل شيخنا الضياء .

وقال أبو إسحاق الصَّريفيّني: كان الحافظ الزاهدُ العابدُ ضياءُ الدين المقدسيُّ رفيقي في السَّفر ، وصاحبي في الحَضَر ، وشاهدتُ من كثرةِ فوائده وكثرةِ حديثه وتبحُّره فيه .

ونقل الذهبيُّ عن الحافظ المزيُّ أنه كان يقولُ: الضياءُ أعلمُ بالحديث والرجالِ من الحافظ عبدالغنيّ ، ولم يكن في وقته مثله .

وقال الذهبيُّ: الإمامُ العالمُ ، الحافظُ الحجةُ ، مُحَدِّثُ الشام ، وشيخُ السنةِ ضياءُ الدين ، صَنَّفَ ، وصَحَّحَ وَلَيَّن ، وجَرَّحَ وَعَدَّلَ ، وكان المرجوعُ إليه في هذا الشأن .

وقال الشريفُ أبو العباس الحُسَيني: حَدَّثَ بالكثيرِ مدةً : وخرَّجَ تخاريجَ كثيرةً مفيدةً ، وصنَّفَ تصانيفَ حسنةً .

وكان أحدَ أئمةِ هذا الشأنِ ، عارفاً بالرجالِ وأحوالهم ، والحديثِ صحيحه

وسقيمه ، ورعاً مُتديناً طارحاً للتكلف .

وقال الذهبي أيضاً: بنى مدرسة على باب الجامع المُظفري بسفح قاسيون وأعانه عليها بعضُ أهل الخير ، ووقف عليها كُتبه وأجزاءه .

وقال غيره: بناها للمُحدثين والغُرباء الواردين ، مع الفقير والقلة ، وكان يَنيي منها جانباً ويصبرُ إلى أن يجتمعَ معه ما يَنيي به ، ويحملُ فيها بنفسه ، ولم يقبل من أحدٍ فيها شيئاً تورُّعاً .

ومناقبه أكثرُ من أن تُحصَرَ ، وإنما أشرتُ إلى بُذةٍ منها .

له تصانيفُ كثيرةٌ ، منها:

كتاب « الأحكام » يعوزُ قليلاً ، في نحو عشرين جزءاً في ثلاثِ مجلداتٍ .

كتاب « الأحاديث المختارة » ^(١) وهي الأحاديثُ التي يَصلحُ أن يُحتجَ بها سوى ما في « الصحيحين » ، خرجها من مسموعاته ، كتب منها تسعين جزءاً ولم تُكْمَلُ .

قال بعضُ الأئمة ^(٢) : هي خيرٌ من « صحيح » ^(٣) الحاكم .

كتاب « فضائل الأعمال » أربعة أجزاء ^(٤) .

كتاب « فضائل الشَّام » ^(٥) ثلاثة أجزاء .

كتاب « مناقب أصحاب الحديث » أربعة أجزاء .

(١) وقد طبع منه ست مجلدات .

(٢) هو شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ، قاله في « مجموع الفتاوى » : ٤٢٦/٢٢ . وانظر « الرسالة المستطرفة » : ١٩ - ٢٠ للكتاني .

(٣) يريد « المستدرک » .

(٤) وقد طبع قريباً ، في مؤسسة الرسالة - بيروت .

(٥) وقد طبع في مصر .

- « صفة الجنة » ثلاثة أجزاء .
- « صفة النار » جزآن .
- « أفراد الصَّحيح » جزء و« غرائب » تسعة أجزاء « ذمّ المسكر » جزء ،
- « الموبقات » أجزاء كثيرة .
- و« كلام الأموات » جزء .
- « شفاء العليل » جزء « الهجرة إلى أرض الحبشة » جزء .
- « قصة موسى عليه السلام » جزء .
- « فضائل القرآن » جزء .
- « الرواة عن البخاري » جزء .
- « دلائل النبوة » .
- « الإلهيات » ثلاثة أجزاء .
- « فضائل الجهاد » جزء .
- « النهي عن سبّ الأصحاب » ^(١) جزء .
- « الحكايات المستطرفات » أجزاء كثيرة ، فيها أحاديثٌ مخرّجة .
- كتاب « سبب هجرة المقدسة إلى دمشق ، وكرامات مشايخهم » نحو عشرة أجزاء .
- وأفردَ لأكابريهم ^(٢) من العلماء ، لكلّ واحد سيرةً في أجزاء كثيرة .
- « أطراف الموضوعات » لابن الجوزي في جزأين ، « تحريم الغيبة » جزء ،
- « الموقف والاقتصاص » جزء .
- « الاستدراك » على الحافظ عبدالغني ، في عزوه أحاديث في « دُرر الأثر » جزء .

(١) تحت الطبع بتحقيق أخينا الشيخ مشهور حسن .

(٢) أي: أكابر علماء المقدسة .

« الاستدراك ، على المشايخ النُّبَل « لابن عساكر جزء .
كتاب « الإرشاد إلى بيان ما أشكل من المرسل في الإسناد » جزء كبير ،
فيه فوائد جلية^(١) .

« الموافقات » جزء .

« طرق حديث الحوض النبوي » جزء .

« أحاديث الحرف والصُّوت » جزء .

« الأمر باتباع السُّنن واجتناب البدع »^(٢) جزء .

كتاب « مسند فضالة بن عبيد » جزء .

كتاب « الأمراض والكفارات والطبّ والرّقيات » .

روى عنه ابن نُقطة في « استدراكه » ، فقال: حدّثنا محمد بن عبدالواحد
الجبليّ بالجليل ظاهر دمشق ، وابن النجّار في « تاريخه » ، والبرزالي وعُمر
بن الحاجب ، وابن أخيه الفخر بن البخاريّ ، والقاضي تقيّ الدين سليمان ،
وابن الفراء ، والنَّجم الشُّقراويّ ، وإسماعيل بن الحُبّاز ، والحسن ابن
الخلال ، والدَّشتي ، وأبو بكر بن عبد الدايم ، وعيسى المطعم ، وخلق
كثير .

توفي في يوم الاثنين الثامن عشر من جمادى الآخرة سنة ثلاثٍ وأربعين
وستمائة بسفح قاسيُون ، ودُفن به .

رحمه الله تعالى^(٣) .

(١) وقد ضَمَّته العلانيُّ كتابه « جامع التحصيل » كما ذكر فيه (ص ١٦٧) .

(٢) وقد طبع بتحقيقي .

(٣) يُنظر لترجمته - أيضاً - « تذكرة الحفاظ » : ٤/١٤٠٥ ، و« الوافي بالوفيات » : ٤/٦٥ ، و« البداية والنهاية » : ١٣/١٦٩ ، و« شذرات الذهب » : ٥/٢٢٤ .

نصيحة الملك الأشرف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي تواضع كل شيء لعظمته .

والحمد لله الذي استسلم كل شيء لقدرته .

والحمد لله الذي خضع كل شيء لملكه .

اللهم صل على محمد كما تحب أن تُصلي عليه ، وصل على محمد كما أمرت أن يُصلي عليه ، وصل على محمد كما ينبغي أن يُصلي عليه ، وعلى آله وسلم .

قال الله تعالى في كتابه: ﴿ وَذَكَرْ فَإِنَّ الذُّكْرَ تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾^(١) .

١- وقال النبي ﷺ: (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه أو لجاره ما يحب لنفسه)^(٢) .

٢- وقال ﷺ: (ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه)^(٣) .

٣- وقال النبي ﷺ: (الدين النصيحة ، الدين النصيحة)^(٤) .

(١) الذاريات: ٥٥ .

(٢) أخرجه البخاري: رقم: ١٣ ، ومسلم رقم: ٤٥ عن أنس بن مالك . ورواه النسائي: ١١٥/٨ ، وزاد: « من الخير » .

قال الحافظ في « فتح الباري »: ٥٤/١: « والمراد بالثقي كمال الإيمان ، ونفي اسم الشيء على معنى نفي الكمال عنه مستفيض في كلامهم » .

(٣) رواه البخاري: ٦٠١٤ ، ومسلم: ٢٦٢٤ عن عائشة .

وفي الباب عن ابن عمر ، وابن عمرو ، وغيرهما .

(٤) رواه مسلم برقم: ٩٥ عن تميم الداري رضي الله عنه .

وفي الباب عن عدة من الصحابة استوعبت تخريج رواياتهم في جزء مفرد بعنوان « تجريد القريحة في طرق حديث: الدين النصيحة » وهو الجزء رقم: ٢١ من سلسلتي: « الأجزاء الحديثية » .

قيلَ: لمن يا رسولَ الله ؟

قال: (الله ، وكتابه ، ورسوله ، ولأئمة المسلمين وعامتهم)^(١) .

فإذا جاورَ إنسانٌ إنساناً فَيَنْبَغِي له أن يَنْصَحَهُ^(٢) ، وَيَدُلُّهُ على ما يَعْلَمُ له من الخيرة في أمر دينه ودُنياه .

ولما أن سَهَّلَ اللهُ تعالى مُجاورةَ الملكِ الأشرفِ لأهل الشام زاده اللهُ شرفاً فيما يقربُهُ إليه ، وجَعَلَهُ من حِزْبِ الْمُتَوَكِّلِينَ عليه ، وجَبَّهَ أهوالَ ما بين يَدَيْهِ ، ووفَّقَهُ توفيقَ العارفين ، وجَعَلَهُ من أوليائه الْمُتَّقِينَ ، وعبادِهِ الصالحين ؛ وذلك - إن شاء اللهُ - مِمَّا خَارَ له فيه ، فإنَّ النبيَّ ﷺ قال في غير حديثٍ:

٤- (عَلَيْكُمْ بِالشَّامِ ، فإنَّ اللهَ قد ثَقَّلَ لي بالشَّامِ وأهله)^(٣) .

(١) قال ابنُ الأثير في « جامع الأصول » : ٥٥٨/١١ :
« النصيحةُ : كلمةٌ يُعَبَّرُ بها عن جُملةٍ ، وهي : إرادةُ الخيرِ للمنصوح له ، وليس يُمكن أن يُعَبَّرَ عن هذه اللفظةِ بكلمةٍ تَحْصُرُها وتَجْمَعُ معناها غيرها .
وأصلُ النصيحة في اللغة : الخُلُوصُ .
ومعنى النصيحة لله عزَّ وجلَّ : صحةُ الاعتقاد في وحدانيته وإخلاصُ النيةِ في عبادته .
والنصيحةُ لكتابِ الله تعالى : هو التصديقُ به ، والعملُ بما فيه .
والنصيحةُ لرسوله : التصديقُ بنبوته ، وبذلُ الطاعة فيما أَمَرَ به ونهى عنه .
والنصيحةُ لأئمة المؤمنين : أن يُطِيعَهُم في الحقِّ ، ولا يرى الخروجَ عليهم بالسيفِ إذا جاروا .
والنصيحةُ لعامة المسلمين : إرشادُهُم إلى مصالحهم » أ.هـ .

(٢) كما في حديث جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْبَجَلِيِّ قال :
« بايَعْتُ رسولَ الله ﷺ على إقامِ الصلاةِ ، وإيتاءِ الزكاةِ ، والنُّصحِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ » .
رواه البخاري : ٥٧ ، ومسلم برقم : ٥٦ .

(٣) رواه الحاكم : ٥١٠/٤ ، وأحمد : ٢٨٨/٥ ، ٣٣ ، وأبو داود : ٢٤٨٣ ، والطحاوي في « مشكل الآثار » : ٣٥/٢ ، من طرق عن عبد الله بن حوالة .
ورواه الطبراني في « المعجم الكبير » : ٥٨/٢٢ / رقم : ١٣٧ ، وفي « مسند الشاميين » : ٣٣٨٢ ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » : ١٠٨/١ ، وابن الجوزي في « العلل المتناهية » : ٣١١/١ ، من طرق عن وائلة بن الأسقع .
وقال شيخنا في « تخريج أحاديث فضائل الشام » (ص ١٢) :
« حديث صحيح جداً » .
ثم قال : « وله شواهد » .

٥- (صفوة الله من بلاده يَجْتَبِي إليه خير عباده)^(١) .

فَتَحَقَّقْ عِنْدَنَا نُصْحَهُ فِيمَا نَعْلَمُهُ ، وَتَدُلُّهُ عَلَى مَا نَرَاهُ صَوَاباً .

وبالله التوفيقُ:

فَيُنَبِّغِي لِلْعَبْدِ أَنْ يَشْكُرَ نِعْمَةَ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْهِ ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ: ﴿ لَنْ يَزِيدَكُمْ شُكْرُكُمْ إِلَّا زَيْدًا نَكْمٌ ﴾^(٢) .

وقال تعالى: ﴿ مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَأَمْتُمْ ، وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴾^(٣) .

وَإِذَا لَمْ يَشْكُرِ النِّعَمَ بِطَاعَةِ اللَّهِ تَعَالَى خِيفَ مِنْ زَوَالِهَا ، فَلِإِنَّهُ رُوي عَنْ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ:

٦- (إِذَا أَعْطَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الْعَبْدَ مَا يُحِبُّ وَهُوَ مُقِيمٌ عَلَى مَعَاصِيهِ ، فَإِنَّمَا ذَلِكَ اسْتِدْرَاجٌ)^(٤) .

ثُمَّ نَزَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِهَذِهِ الْآيَةِ: ﴿ فَلَمَّا تَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَخَنَّا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فِإِذَا هُمْ

(١) قطعة من الذي قبله .

(٢) إبراهيم: ٧ .

(٣) النساء: ١٤٧ .

(٤) أخرجه أحمد في « المسند »: ١٤٥/٤ ، وفي « الزهد »: ص: ١٢ ، وابن جرير: ١١٥/٧ ، والدُّولابي: ١١١/١ ، والبيهقي في « الأسماء والصفات »: ٤٨٨ ، والخرائطي في « فضيلة الشكر » رقم: ٧٢ ، من طرق عن حرملة بن عمران التَّجِيبِي ، عن عَقْبَةَ بْنِ مُسْلِمٍ ، عن عَقْبَةَ بْنِ عامر . وهذا إسنادٌ صحيح .

وله طرقٌ أخرى عند الطبراني في « الكبير »: ٢٨٣/١٧ ، وابن عبدالحكم في « فتوح مصر » ٢٩٣ .

وانظر « مجمع الزوائد »: ٢٠/٧ ، ٢٤٥/١٠ .

(فائدة): روى ابنُ أبي الدنيا في « الشكر »: ١١٥ ، والبيهقي في « الأسماء والصفات »: ٤٨٩ ، عن سفيان في قوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ سَتَنْذِرُجَهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف: ١٨٢] ، قال: (يُسَبِّحُ عَلَيْهِمُ النِّعَمُ ، وَيَمْنَعُهُمُ الشُّكْرُ) .

مُبْلَسُونَ^(١) .

وَيَنْبَغِي أَنْ تُتَقَى الْمَظَالِمُ :

قال الله تعالى : ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ، وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ ﴾^(٢) .

وَرَوَى عَنْ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ :

٧- (الظلمُ ظلماتٌ يومَ القيامةِ)^(٣) .

وقال فيما يحكيه عن رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنَّهُ قَالَ :

٨- (يَا عِبَادِي ! إِنِّي حَرَّمْتُ الظْلَمَ عَلَى نَفْسِي ، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا فَلَا تَظَالُمُوا)^(٤) .

وقال النبي ﷺ لِمُعَاذٍ لَمَّا بَعَثَهُ إِلَى الْيَمَنِ :

٩- (إِيَّاكَ وَدَعْوَةَ الْمَظْلُومِ ، فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ)^(٥) .

(١) سورة الأنعام : ٤٤ .

(٢) سورة الأنبياء : ٤٧ .

(٣) رواه البخاري : ٢٤٤٧ ، ومسلم : ٢٥٧٩ ، عن ابن عمر .
وفي الباب عن جابر ، وابن عمر ، وغيرهما .

(٤) رواه مسلم : ٢٥٧٧ ، عن أبي ذر .
وقد رواه الإمام النووي في « الأذكار » : ص ٤٣٧ بسنده ثم قال : « قال أبو مُسْنَوْر : قال سعيد بن عبدالعزيز : كان أبو إدريس إذا حَدَّثَ بهذا الحديثِ جَنَّا على رُكْبَتَيْهِ . هذا حديثٌ صحيحٌ ، رُوِيَّاهُ في « صحيحِ مُسْلِمٍ » وغيره ، ورجالُ إسناده مُتَنِي إلى أبي ذر رضي الله عنه كلهم دمشقيون ، ودَخَلَ أبو ذر رضي الله عنه دمشق . فَاجْتَمَعَ في هذا الحديثِ من الفوائد :
مِنْهَا صَحَّةُ إِسْنَادِهِ ، وَمَتْنُهُ ، وَعُلُوُّهُ ، وَتَسْلُسُلُهُ بِالدمشقيين رضي الله عنهم وبارك فيهم .

ومِنْهَا ما اشْتَمَلَ عليه من البيان لقواعد عظيمةٍ في أصول الدين وفروعه ، والآداب ، ولطائف القلوب وغيرها ، والله الحمد « أ.هـ .
ولشيخ الإسلام ابن تيمية رسالة مفردة في شرحه .

(٥) لم أَفَهِ عَلَيْهِ مِنْ وَصِيَّةِ النَّبِيِّ ﷺ لِمُعَاذٍ ١١ ولكن المرفوع منه صحيحٌ ، وَرَدَّ مِنْ عِدَّةٍ طَرُقَ ، اسْتَوْعَبَهَا تَخْرِيجًا وَتَعْلِيقًا شَيْخُنَا الألباني في كتابه المُسْتَطَاب « سلسلة

وَرَوَى عَنْهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ قَالَ :

١٠- « فِي بَعْضِ الْكُتُبِ الَّتِي أَنْزَلَهَا اللَّهُ عَلَى بَعْضِ أَنْبِيَائِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَسَلَّمَ : أَيُّهَا الْمَلِكُ الْمُتَبَلَّى الْمَغْرُورُ ! إِنِّي لَمْ أَبْعَثْكَ لِتَجْمَعَ الدُّنْيَا بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ ، وَلَكِنْ بَعَثْتُكَ لِتَرُدَّ عَنِّي دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ ؛ فَإِنِّي لَا أَرُدُّهَا ، وَلَوْ كَانَتْ مِنْ كَافِرٍ » ^(١) .

وَقَالَ النَّبِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ :

١١- (مَنْ كَانَتْ عِنْدَهُ مَظْلَمَةٌ لِأَخِيهِ فِي عِرْضِهِ أَوْ مَالِهِ ، فَلْيَتَحَلَّلْهَا مِنْهُ قَبْلَ أَنْ يُؤْخَذَ حَيْثُ لَا يَكُونُ دِينَارٌ وَلَا دِرْهَمٌ ، إِنْ كَانَ لَهُ عَمَلٌ صَالِحٌ أَخَذَ مِنْهُ بِقَدَرِ مَظْلَمَتِهِ ، وَإِنْ لَمْ تَكُنْ لَهُ حَسَنَاتٌ أَخَذَ مِنْ سَيِّئَاتِ صَاحِبِهِ فَحُمِلَتْ عَلَيْهِ) ^(٢) .

وَرَوَى عَنِ النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ قَالَ :

١٢- (أَتَدْرُونَ مَنْ الْمُفْلِسُ ؟) .

قَالُوا : الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ .

قَالَ : (فَإِنَّ الْمُفْلِسَ مَنْ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ وَزَكَاةٍ وَصِيَامٍ ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا ، وَقَذَفَ هَذَا ، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا ، وَسَقَكَ دَمَ هَذَا ، وَضَرَبَ هَذَا ، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ : أَخَذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ ، فَطَرَحَتْ عَلَيْهِ ، ثُمَّ طَرَحَ فِي

= الْأَحَادِيثُ الصَّحِيحَةُ « رَقْم : ٧٦٧ .

وَانْظُرْ « الْإِحْسَانُ إِلَى تَقْرِيبِ صَحِيحِ ابْنِ حَبَانَ » : ٨٧٥ .

(١) رَوَاهُ ابْنُ حَبَانَ : ٣٦١ ، وَأَبُو نُعَيْمٍ : ١٦٦/١ ، وَالْأَجْرِيُّ فِي « الْأَرْبَعِينَ » رَقْم : ٤٠ - بِتَحْقِيقِي ، عَنْ أَبِي ذَرٍّ .

وَفِي سَنَدِهِ إِبْرَاهِيمُ بْنُ هِشَامٍ بْنُ يَحْيَى التَّسَانِي ، وَهُوَ مَتْرُوكٌ كَمَا فِي « الْمِيزَانِ » : ٧٣/١ .
وَانْظُرْ تَمَامَ تَخْرِيجِهِ فِي تَعْلِيقِي عَلَى « الْأَرْبَعِينَ حَدِيثًا » : ص : ١٣٠ لِلْأَجْرِيِّ ، وَقَارِنْ بِ« الدَّرِّ الْمَشُور » : ٣٤١/٦ لِلْسَّيُوطِيِّ .

(٢) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ : ٢٤٤٩ ، ٦٥٣٤ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ .

النَّارُ^(١).

وَرَوَى عَنْ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ:

١٣- (الأميرُ الذي على النَّاسِ راع وهو مسؤولٌ عن رعيته)^(٢).

فَتَعْلَمُ لِسَعَادَتِهِ - جَعَلَ اللهُ الْخَيْرَ مِنْ عَادَتِهِ - أَنَّ بِهِذِهِ الْبَلَدَةِ أَشْيَاءَ لَا يَحِلُّ فَعْلُهَا
مِثْلُ خَمَّارِ الْخُمُورِ^(٣) ، وَدَارِ الطَّعَمِ^(٤) ، وَمَا يُؤْخَذُ عَلَى الْغَالَةِ وَسُوقِ الْغَنَمِ ،
وَشَبِهَ هَذَا كُلَّهُ .

وَهَذِهِ الْإِشْيَاءُ - وَإِنْ كَثُرَتْ - فَإِنَّ أَخْذَهَا يَضُرُّ^(٥) فِي ذِمَّةِ آخِذِهَا ، وَتَبْقَى
تَبِعُتُهَا عَلَيْهِ ، وَيُمنَحُ عَلَيْهِ بِمَا يَمْلِكُهُ أَكْثَرُ مِنْهَا ، وَلَيْسَ فِيهَا بَرَكَةٌ:

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ
فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾^(٦)

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ:

١٤- (الْحَلَالُ يَنْ ، وَالْحَرَامُ يَنْ ، وَبَيْنَهُمَا أُمُورٌ مُشْتَبِهَاتٌ ، لَا يَعْلَمُهَا
كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ ، فَمَنْ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ ، وَمَنْ وَقَعَ فِي
الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الْحَرَامِ ، كَالرَّاعِي يَرعى حَوْلَ الْحِمَى ، يُوشِكُ أَنْ يُخَالِطَ
الْحِمَى ، أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى ، وَحِمَى اللهِ مُحَارِمُهُ)^(٧).

فَيَا مَنْ أَكْثَرَ اللهُ عِزًّا وَجَلًّا لَهُ مِنْ الْحَلَالِ ! مَا لَكَ^(٨) تَكَدَّرُهُ بِالْحَرَامِ ؟

(١) رواه مسلم: ٢٥٨١ ، عن أبي هريرة .

(٢) رواه البخاري: ٨٥٣ ، ومسلم: ١٨٢٩ ، عن ابن عمر .

(٣) هو الذي يصنعُ الخمر .

(٤) هي نوعٌ من دور الجبابة ، ولعلها للمكوس ، أو ما يُقال عنه اليوم: الجمارك !!
وقال ابنُ منظور في « لسان العرب »: ٥٩٤/٢: « يُقال: فلان تُجِبِي له الطعم ،
أي: الخراج والإتاوات » .

وقارن بـ « سير أعلام النبلاء »: ٣٠٥/٢٣ .

(٥) في « الأصل »: « تُضَرُّ » .

(٦) سورة المائدة: ١٠٠ .

(٧) رواه البخاري: ٥٢ ، ومسلم: ١٥٩٩ ، عن الثَّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ .

(٨) في « الأصل »: « لِمَالِكَ » ، وقال شيخنا مُعلقاً - ومن خطه أنقل: « كذا الأصل » ،
ولعلَّ الصواب: « لِمَ تُكَدَّرُهُ » .

وقد رُوِيَ عن النبي ﷺ أَنَّهُ قَالَ:

١٥- (مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً فَعُمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ ، كَانَ لَهُ أَجْرُهَا ، وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أَجُورِهِمْ شَيْئاً وَمَنْ سَنَّ سُنَّةً سَيِّئَةً فَعُمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ ، كَانَ عَلَيْهِ وَزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْئاً)^(١) .

ثُمَّ يَنْظُرُ فِي أَهْلِ السُّجُونِ ، فَإِنَّ بَعْضَهُمْ رُبَّمَا حُبِسَ عَلَى ذَنْبٍ صَغِيرٍ ، وَلَيْسَ لَهُ مَنْ يَسْأَلُ عَنْهُ ، فَيَبْقَى فِي السُّجْنِ مُدَّةً !^(٢)

وقد بَلَّغْنَا فِي هَذِهِ السَّنَةِ أَنَّهُمْ أَكَلُوا إِنْسَاناً مِنَ الْجُوعِ !
وَيَنْظُرُ فِي أَمْرِ الْقَنَاطِرِ^(٣) الَّتِي خَرِبَتْ ، وَالْمَسَارِعَةِ فِي بَنَائِهَا ، فَإِنَّ فِي قِطْعِهَا أَذِيَّةً عَلَى النَّاسِ .

وَيَتَقَدَّمُ إِلَى الْمُحْتَسِبِ^(٤) أَنْ لَا يُسَعِّرَ الْأَشْيَاءَ ، لَكِنْ يَنْظُرُ فِي جَوْدِهَا ، فَإِنَّهُ رُوِيَ أَنَّهُ غَلَا السَّعْرُ فِي زَمَانِ النَّبِيِّ ﷺ ، فَقَالُوا: سَعَّرَ لَنَا !
فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ:

١٦- (إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمُسَعِّرُ الْقَابِضُ الْبَاسِطُ الرَّازِقُ ، إِنِّي لِأَرْجُو أَنْ أَلْقَى اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ وَلَيْسَ أَحَدٌ يَطْلُبُنِي بِمَظْلَمَةٍ فِي أَهْلِ وَلَا مَالٍ)^(٥) .

(١) رواه مسلم: ١٠١٧ ، عن جرير بن عبد الله البجلي ، وقد تقدّم .

(٢) فكيف إذا كان مسجوناً لأنه مسلم حسنٌ !! لأنه يقول: رَبِّيَ اللَّهُ ، ويدعو إلى الله . . .

﴿ وَمَا تَقْمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴾

(٣) هي أشبه ما تكون بالفسور .

(٤) هو صاحب الحسبة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

(٥) رواه أبو داود: ٣٤٥١ ، والترمذي: ١٣١٤ ، وابن ماجه: ٢٢٠٠ ، وأحمد: ١٥٦/٣ ، والدارمي: ٢٤٩/٢ ، عن أنس .

وأشار الحافظ ابن حجر في « التلخيص الحبير »: ١٠٤/٣ ، إلى تصحيحه ، وتابعه شيخنا في « غاية المرام »: ٣٢٣ .

ثُمَّ إِقَامَةُ الْحُدُودِ^(١) ، فَقَدْ رُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ :

١٧- (إِقَامَةُ حَدٍّ فِي الْأَرْضِ خَيْرٌ لِأَهْلِهَا مِنْ مَطَرٍ أَرْبَعِينَ صَبَاحًا)^(٢) .

ثُمَّ اجْتِنَابُ الْخَمْرِ ؛ فَقَدْ سَمَّاهَا النَّبِيُّ ﷺ :

١٨- (... أَمَ الْخَبَائِثِ)^(٣) .

وَرُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ :

١٩- (مُذْمَنُ الْخَمْرِ كَعَابِدٍ وَثْنٍ)^(٤) .

(١) آه علي إقامة الحدود !!

أَيْنَ جُلُ بِلَادِ الْإِسْلَامِ مِنْهَا ؟ ! فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا بَقِيَّةٌ مِنْهَا ... نَسَأُ اللَّهَ السَّلَامَةَ .

(٢) حَدِيثٌ حَسَنٌ لِمَجْمُوعِ طَرَفِهِ ؛ انْظُرْهَا مُخْرَجَةً فِي « سِلْسَلَةِ الْأَحَادِيثِ الصَّحِيحَةِ » : ٢٣١ ، لَشَيْخِنَا الْأَلْبَانِيِّ .

وَقَارَنَ بِهِ « غُوثُ الْمَكْدُودِ فِي تَخْرِيجِ مُتَقَيِّ ابْنِ الْجَارُودِ » : ٨٠١ ، لِأَخِينَا الْفَاضِلِ أَبِي إِسْحَاقَ الْحَوِينِيِّ ، وَ« الْإِحْسَانُ فِي تَقْرِيبِ صَحِيحِ ابْنِ حَبَانَ » : ٤٣٩٨ .

(٣) أَخْرَجَهُ ابْنُ حَبَانَ : ٥٣٤٨ ، وَابْنُ أَبِي الدُّنْيَا فِي « ذَمِّ الْمُسْكَرِ » رَقْمًا : ١ ، عَنْ عُثْمَانَ مَرْفُوعًا بِسَنَدٍ ضَعِيفٍ .

وَصَحَّ مَوْقُوفًا عَلَى عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :

أَخْرَجَهُ النَّسَائِيُّ فِي « سُنَنِ » : ٣١٥/٨ ، وَابْنُ أَبِي الدُّنْيَا فِي « ذَمِّ الْمُسْكَرِ » : رَقْمًا : ٢ ، وَمِنْ طَرَفِهِ أَبُو الْجَوْزِيِّ فِي « الْوَاهِيَّاتِ » : ١١٢٢ ، وَكَذَا الْبَيْهَقِيُّ فِي « السَّنَنِ الْكُبْرَى » : ٢٨٧/٨ ، وَعَبْدُ الرَّزَّاقِ فِي « الْمُصَنَّفِ » : ١٧٠٦٠ .

وَصَحَّحَهُ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ فِي « تَفْسِيرِهِ » : ١٨٠/٣ ، وَالزَّيْلَعِيُّ فِي « نَصَبِ الرِّايَةِ » : ٢٩٨/٤ ، وَكَذَا شَيْخُنَا فِي « صَحِيحِ سَنَنِ النَّسَائِيِّ » : ٥٢٣٦ .

(٤) رَوَاهُ ابْنُ حَبَانَ : ٥٣٤٧ ، وَابْنُ عَدِيٍّ فِي « الْكَامِلِ » : ١٥٢٥/٤ ، وَابْنُ الْجَوْزِيِّ فِي « الْعِلَلِ الْمُتَنَاهِيَةِ » : ١١١٨ ، طَرِيقُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خِرَاشٍ عَنِ الْعَوَّامِ بْنِ حَوْشَبٍ ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ . وَابْنُ خِرَاشٍ ضَعْفُهُ جَمْعُهُ الْمَحْدَثِينَ .

وَتَابِعَهُ حَكِيمُ جُبَيْرٍ :

فَأَخْرَجَهُ الْبَزَّازُ : ٥٩٣٤ ، وَالطَّبْرَانِيُّ فِي « الْكَبِيرِ » : ١٢٤٢٨ ، وَأَبُو نَعِيمٍ فِي « الْحَلِيَةِ » : ٢٥٣/٩ ، وَابْنُ الْجَوْزِيِّ : ١١١٨ ، مِنْ طَرِيقِ حَكِيمِ ابْنِ جُبَيْرٍ ، عَنْ سَعِيدِ

بْنِ جُبَيْرٍ بِهِ .

وَلَكِنْ حَكِيمًا هَذَا ضَعِيفٌ أَيْضًا ...

وَلَهُ طَرِيقٌ أُخْرَى فِي « مُسْنَدِ أَحْمَدَ » : ٢٧٢/١ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ .

وَرِجَالُهُ كُلُّهُمْ ثِقَاتٌ إِلَّا أَنْ رَاوِيَهُ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ مُبْتَهَمٌ . وَلَهُ شَاهِدٌ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، وَفِي سَنَدِهِ ضَعْفٌ :

رَوَاهُ ابْنُ مَاجَهَ : ٣٣٥٧ ، وَالبخاري في « التاريخ الكبير » : ١٢٩/١ ، فَالْحَدِيثُ بِهَذِهِ الطَّرِيقِ وَالشَّوَاهِدِ صَحِيحٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

وَرَوَى عَنْهُ ﷺ قَالَ:

٢٠- (لَعِنَتِ الْخَمْرُ عَلَى عَشْرَةِ وجوه: لَعِنَتِ الْخَمْرُ بَعَيْنَهَا ، وَشَارِبَهَا ، وَسَاقِيَهَا ، وَبَائِعَهَا ، وَمُبْتَاعَهَا ، وَعَاصِرَهَا ، وَمَعْتَصِرَهَا ، وَحَامِلَهَا ، وَالْمَحْمُولَةَ إِلَيْهِ ، وَآكِلَ ثَمَنِهَا) ^(١) .

وَرَوَى عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:

٢١- (لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مُدْمِنٌ خَمْرٍ ، وَمَنْ مَاتَ وَهُوَ يَشْرَبُ الْخَمْرَ ، سَقَاهُ اللَّهُ مِنْ نَهْرِ الْغُوطَةِ ! وَهُوَ مَاءٌ يَسِيلُ مِنْ فُرُوجِ الْمَوْتِئَاتِ يُؤْذِي رِيحُهُ أَهْلَ النَّارِ) ^(٢) .

وَسَأَلَ رَجُلٌ النَّبِيَّ ﷺ عَنْهَا ؟ فَتَهَاها عَنْهَا ، فَقَالَ: إِنَّمَا أَضْعُهَا لِلدَّوَاءِ ! فَقَالَ:

٢٢- (إِنَّهُ لَيْسَ بِدَوَاءٍ ، وَلَكِنَّهُ دَاءٌ) ^(٣) .

وَقَدْ قِيلَ:

(١) رواه أحمد: ٢٥/٢ ، ٧١ ، والطيالسي: ١٩٥٧ ، وأبو داود: ٣٦٧٤ ، وابن ماجه: ٣٣٨٠ ، والحاكم: ١٤٤/٤ ، عن ابن عمر . وصححه الحاكم ووافقه الذهبي . وهو كما قالاً ؛ وله طرق وشواهد تُنظر في « الإرواء »: ١٥٢٩ ، و« التلخيص الحبير »: ٧٣/٤ .

(٢) رواه أحمد: ٣٩٩/٤ ، وابن حبان: ٥٣٤٦ ، والحاكم: ١٤٦/٤ ، من طريق أبي حريز ، عن أبي بردة عن أبي موسى مرفوعاً . وأبو حريز: مُخْتَلَفٌ فِي ثِقَتِهِ ؛ واختار الحافظ ابن حَجَرٍ أَنَّهُ: « صدوق يُخطئ » ، فهو إلى الضعف أقرب . وله شاهدٌ قاصر عند أحمد: ١٤/٣ ، ٨٣ ، عن أبي سعيد الخدري - وفي سنده عطية العوفي - لَا يُقَوِّيه ... فقول المعلق على « الإحسان » ١٦٦/١٢: « لعل حديث الباب يتقوى به ويحسن » غير حسن !!

(٣) رواه مسلم: ١٩٨٤ ، عن طارق بن سويد .

٢٣- (مَنْ تَرَكَ شَيْئاً لِلَّهِ عَوَّضَهُ اللَّهُ خَيْراً مِنْهُ)^(١) .

وينبغي للعبد أن لا يؤخر التوبة ، فإنَّ الموتَ ربَّما أتى بغتةً ، ويندم حين لا ينفعه الندمُ ، فقد قال الله تعالى : ﴿ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾^(٢) .

وقال النبي ﷺ :

٢٤- (اللَّهُ أَفْرَحُ بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ مِنْ رَجُلٍ مَرَّ بِأَرْضِ دَوِيَّةٍ ، مُهْلِكَةٍ ، وَمَعَهُ رَاحِلَتُهُ عَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشِرَابُهُ وَمَا يُصْلِحُهُ ، فَتَزَلَ وَنَامَ ، فَاسْتَيْقَظَ وَقَدْ ذَهَبَتْ ، فَطَلَبَهَا فَعَلَبَتْهُ عَيْنَاهُ فَنَامَ ، فَاسْتَيْقَظَ ، فَإِذَا رَاحِلَتُهُ عِنْدَ رَأْسِهِ ، عَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشِرَابُهُ وَمَا يُصْلِحُهُ)^(٣) .

وروي عن النبي ﷺ :

٢٥- (مِنْ قَبْلِ مَغْرِبِ الشَّمْسِ بَابٌ مَفْتُوحٌ لِلتَّوْبَةِ ، مَسِيرَةُ عَرَضِهِ سَبْعُونَ سَنَةً ، فَلَا يَزَالُ الْبَابُ مَفْتُوحاً حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا)^(٤) .

وروي عن النبي ﷺ أنه قال :

٢٦- (إِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ فِي الْيَوْمِ مِثْلَ مَرَّةٍ)^(٥) .

(١) بل صحَّ نحوُ هذا مرفوعاً عن النبي ﷺ :

رواه وكيع في « الزهد » : ٣٥٦ ، وأحمد : ٣٦٣/٥ ، والنسائي في « الكبرى » - كما في « التحفة » : ١٩٩/١١ - والقضاعي في « مسند الشهاب » : ١١٣٥ ، عن أحد الصحابة بسند صحيح .

وانظر تعليقي على « موارد الأمان » : ص ١٠٢ .

وقارن بـ « الخطب والمواعظ » : ٨ ، لأبي عبيد القاسم بن سلام .

(٢) سورة النور : ٣١ .

(٣) رواه البخاري : ٥٩٤٩ ، ومسلم : ٢٧٤٤ ، عن ابن مسعود ، والدَّوِيَّةُ : الفلاة والمفازة .

(٤) رواه الترمذي : ٣٥٣٥ ، والنسائي في « التفسير » : ١٩٨ ، وابن ماجه : ٤٠٧٠ ، والطيالسي : ١١٦٧ و ١١٦٨ ، وأحمد : ٢٣٩/٤ - ٢٤١ ، عن صفوان بن عسال بنحوه ، وسنده حسن .

(٥) رواه مسلم : ٢٧٠٢ ، وأبو داود : ١٥١٥ ، عن الأغر المزني رضي الله عنه .

وقال ابنُ عمرَ: إِنَّ كُنَّا لَنَعُدُّ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي الْمَجْلِسِ الْوَاحِدِ:

٢٧- (رَبِّ اغْفِرْ لِي وَارْحَمْنِي إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الْغَفُورُ) مئة مرة . هذا وقد عُفِّرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ ^(١).

صلى الله عليه وسلم .

[قال المؤلفُ]

كتبتُ بهذه الوصية نسخةً ، وبَعَثْتُهَا إِلَى الْأَخِ الْإِمَامِ الزَّاهِدِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدِ الْيُونِينِيِّ ^(٢).

فَذَكَرَ لِي بَعْدَ ذَلِكَ أَنَّهُ قَرَأَ عَلَى الْمَلِكِ الْأَشْرَفِ إِلَى هُنَا .

شعرُ:

يَوْمَ الْحِسَابِ قَرِيعَ الْقَلْبِ حَيْرَانَا	مَثَلُ بِنَفْسِكَ يَا ذَا الذَّنْبِ عُرْيَانَا
وَفِي صَحَائِفَ سُودٍ كُلِّ مَا كَانَا	يَوْمًا تَرَى فِيهِ مَا قَدَّمْتَ مِنْ عَمَلِ
بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ لَا يَنْغِيكَ عُذْوَانَا	يَوْمًا يَقُولُ لَكَ الْمَوْلَى كَفَى حَكَمًا
وَانْظُرْ تَرَى فِيهِ شَيْئًا غَيْرَ مَا كَانَا	اقْرَأْ كِتَابَكَ يَا عَبْدِي عَلَى مَهَلِ
إِقْرَارَ مَنْ يَعْرِفُ الْأَشْيَاءَ عَرَفَانَا	إِذَا قَرَأَهُ وَلَمْ يُنْكِرْ أَقْرَأَ بِهِ
رَبُّ الْبَرِيَّةِ مَنْ فِي عَهْدِهِ خَانَا	كَمْ مِنْ فَضَائِحَ يَوْمَ الْعَرْضِ يُظْهِرُهَا
وَكَانَ يَكْتُمُهَا خِلًا وَإِخْوَانًا	نَادَتْ جَوَارِحُهُ بِالْخِزْيِ نَاطِقَةً
وَالشَّيْخُ أَضْحَى لَدَى النَّيْرَانِ وَلِهَانَا	شَابَ الصَّغَارُ بِهَا مِنْ غَيْرِ أَنْ كَبُرُوا ^(٣)
عَلَى الْعُصَاةِ وَرَبُّ الْعَرْشِ غَضْبَانَا	وَالنَّارُ تَزْفَرُ مِنْ غَيْظٍ وَمِنْ حَقْوِ

(١) رواه أحمد: ٢١/٢ ، وأبو داود: ١٥١٦ ، وابن ماجه: ٣٨١٤ ، وابن حبان: ٢٤٥٩ ، وابن السني: ٣٦٤ . عن ابن عمر ، وسنده صحيح .
وانظر - لفائدة جليلة - « سلسلة الأحاديث الصحيحة »: ٥٥٦ ، لشيخنا الألباني ، حفظه الله

(٢) توفي سنة: (٦٥١) ، ترجمته في « السيرة »: ٢٨٠/٢٣ .

(٣) في « الأصل »: يكبروا ، والصواب ما أثبت .

قال الجليلُ خُذوه يا زبَانِيَّتِي
يا ربُّ لا تُخزِنِي يَوْمَ المَعَادِ ولا
غِيْرُهُ:

فَسِيقَ بِالْعَبْدِ نُحُوَ النَّارِ عَطْشَانَا
تَجْعَلْ عَلَى يَدِي لِلنَّارِ سُلْطَانَا

يا مَنْ إِلَيْهِ بِجُسُودِهِ اتَّوَسَّلُ
ادْعُوكَ رَبُّ تَضَرُّعاً وَتَذَلُّلاً
قد قَادَنِي أَمَلٌ إِلَيْكَ وَدَلَنِي
وَعَلِمْتُ أَنَّكَ لَا تُخَيِّبُ أَمَلاً
فَبِنُورِ وَجْهِكَ كُنْ لَذُنْبِي غَافِراً

وَعَلَيْهِ فِي كُلِّ الْأُمُورِ اعْوَلُ
فَإِذَا رَدَدْتَ يَدِي فَمَنْ ذَا أَسْأَلُ
فَقَدْ عَلِيكَ وَفَاقَةٌ وَتَذَلُّ
اضْحَى لِقَضْلِكَ يَا كَرِيْمُ يُؤْمَلُ
فَعَلِيكَ فِي عُفْرَانِهِ اتَّوَكَّلُ

[تَمَّتْ بِحَمْدِ اللَّهِ]

أصول الفرق في الحصول على الرزق

جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي

المتوفى سنة ٩١١ هـ

تحقيق

عبدالقادر أحمد عبدالقادر

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً ، والصلاة والسلام على المصطفى محمد بن عبدالله ، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، وبعد :
فقد قال تعالى في كتابه العزيز : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾ - سورة البقرة ، الآية : ١٨٦ .

من سياق معنى هذه الآية نعلم أن الله سبحانه وتعالى قريب من عبده يجيب دعوته إذا دعاه في أيّ أمر من أمور حياته ، ولا أمر يشغله أكثر مما يغشله رزقه ، لأنه قوام حياته ، وعنصر بقائه والحفاظ عليه .

وأكثر ما يدعو الإنسان ربّه - سبحانه وتعالى - عندما يخرج في الصباح الباكر إلى عمله الذي يرتزق منه ، فأول قوله : « اللهم ارزقني الرزق الحلال » وعندما يتمنى الحصول على شيء ما ، أو عندما تصيبه مصيبة ، أو يطرأ له أمر ، يرفع يديه يجأر بالدعاء .

وقد تضيق الحياة على الإنسان ، فيقلّ ما في يده ، أو تكثر ديونه ، فما عليه إلا أن يجتهد في السعي من أجل الرزق ، أو ينوي سداد دينه ،

فيكون الله سبحانه وتعالى عوناً له على ذلك .

وجاءت هذه الرسالة التي صنفها السيوطي من أجل هذا الغرض شاملة أدعية يدعو بها الإنسان عندما يقلّ ما في يده ، أو تضيق عليه الحياة والرزق ، أو عندما تكثر همومه نتيجة لدين ركه ، مقروناً دعاؤه هذا بالسعي الجاد ، وقد كتبها بعد أن نشر السؤال عن ذلك .

وقد قمنا بتحقيق هذه الرسالة ، معتمدين في ذلك على نسخة مخطوطة ضمن مجموع ، في شستربتي بدبلن ، وقد حصلنا على صورة منها من معهد المخطوطات ، التابع لجامعة الدول العربية .

وهي رسالة صغيرة في حجمها ، كبيرة في معانيها ، كتبت بخط عاديّ مقروء . خلت من اسم الناسخ أو تاريخ النسخ ، وجاءت في ثلاث ورقات .

والنسخة المصرية المطبوعة ، دون تحقيق ، في مكتبة صبيح .

وقد قمنا بتخريج الآيات والأحاديث من مظانها ، ومن مصادرها الأساسية ما استطعنا إلى ذلك سبيلاً ، كما فسرنا بعض الألفاظ ، وعرفنا بالأعلام الواردة في المتن ، وقمنا بعمل الفهارس الفنية .

نرجو أن نكون بعملنا هذا قد خدمنا تراثنا ، فما أردنا بهذا سوى ذلك ، مستمدين العون من الله ، إنه نعم المعين .

المحقق

الفصل الأول في الأذكار والدعوات

أخرج الطبراني^(١) في الأوسط^(٢) عن أبي هريرة^(٣) رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (من ألبسَهُ الله نعمةً فليكثر من الحمد لله ، ومن كثرت ذنوبه فليكثر من الاستغفار ، ومن أبطل عليه رزقه ، فليكثر من لا حول ولا قوة إلا بالله)^(٤) .

(١) هو سليمان بن أحمد بن مطير اللخمي الشامي (٢٦٠ هـ - ٣٦٠ هـ) ، أبو القاسم ، من كبار المحدثين ، أصله من طبرية ، في فلسطين ، وإليها نسبته ، ولد بعكا ، ورحل إلى الحجاز واليمن ومصر والعراق وفارس والجزيرة ، توفي بأصبهان . له ثلاثة معاجم في الحديث ، وكتاب الأوائل ، ودلائل النبوة . الأعلام: ١٢١/٣ .

(٢) المعجم الأوسط: في الحديث ، رتب فيه الطبراني شيوخه على الحروف ، روياً فيه الأحاديث عنهم . انظر كشف الظنون: ١٧٣٧/٢ .

(٣) هو عبدالرحمن بن صخر الدوسي ، أبو هريرة (٢١ ق هـ - ٥٩ هـ) ، صحابي ، كان أكثر الصحابة حفظاً للحديث ، ورواية له ، نشأ يتيماً ضعيفاً في الجاهلية ، لزم النبي ﷺ ، ولي إمرة المدينة مدة ، أكثر مقامه في المدينة ، وتوفي فيها . الأعلام: ٣٠٨/٣ .

(٤) الحديث في فردوس الأخبار: ٢١٢/٤ ، وجاء فيه بزيادة في آخره: ومن دخل دار قوم فليجلس حيث أمره ، فإن القوم أعرف بعورة دارهم ، ومن نزل مع قوم ، فلا يصومن إلا بإذنهم) . رواه الترمذي عن عائشة .

وفي تاريخ بغداد: ١٨٠/٣ ، وفي ضعيف الجامع: ٢٥٤/٥ ، قال ضعيف جداً . وفي مسند الفردوس: ق ١٥٩: رواه أبو القاسم الطبراني رحمه الله عن أبي ثلاثة محمد بن أبي غسان المصري ، عن محمد بن عمرو بن سلمة المرادي عن يونس بن تميم عن الأوزاعي عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة عن أبي هريرة .

وأخرج أحمد^(١) ، وأبو داود^(٢) ، وابن ماجه^(٣) ، عن ابن عباس^(٤) ، رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: (من لزم الاستغفار^(٥) ، جعل الله له من كل ضيق^(٦) قرَجاً^(٧) ، ومن كل هم مخرجاً ، ورزقه من حيث لا يحتسب^(٨)) .

(١) هو أحمد بن محمد بن حنبل ، أبو عبدالله الشيباني (١٦٤ - ٢٤١ هـ) إمام المذهب الحنبلي ، وأحد الأئمة الأربعة ، أصله من مرو . له: المسند ، والتاريخ ، والناسخ والمنسوخ ، سجن بقضية امتناعه عن القول بخلق القرآن . الأعلام: ٢٠٣/١ .

(٢) هو سليمان بن الأشعث بن إسحق بن بشير الأزدي السجستاني ، أبو داود (٢٠٢ - ٢٧٥ هـ) ، إمام أهل الحديث ، رحل رحلة كبيرة وتوفي بالبصرة ، له السنن ، والمراسيل ، وكتاب الزهد . الأعلام: ١٢٢/٣ .

(٣) هو محمد بن يزيد الربيعي القزويني ، أبو عبدالله ، ابن ماجه: (٢٠٩ - ٢٧٣ هـ) أحد الأئمة في علم الحديث ، من أهل قزوين ، له كتاب السنن ، وتفسير القرآن . الأعلام: ١٤٤/٧ .

(٤) هو عبدالله بن عباس بن عبدالمطلب القرشي الهاشمي أبو العباس ، (٣ ق هـ - ٦٨ هـ) ، حبر الأمة ، الصحابي الجليل ، ولد بمكة ، لازم الرسول ﷺ وروى عنه الأحاديث الصحيحة ، وشهد مع علي الجمل وصفين ، وكفّ بصره في آخر عمره ، ينسب إليه كتاب في تفسير القرآن . الأعلام: ٩٥/٤ .

(٥) أي أن يستغفر الله ، أن يقول: أستغفر الله العظيم .

(٦) أي من كل شدة .

(٧) الفرج: السعة .

(٨) المسند: ٢٤٨/١ ، وسنن أبي داود: ١٧٨/٢ ، في الوتر ، باب في الاستغفار ، بلفظ " من كل ضيق مخرجاً ومن كل هم فرجاً " وسنن ابن ماجه: ١٢٥٣/٢ ، في الأدب ، باب في الاستغفار ، والترغيب والترهيب: ٦١٧/٢ ، والنسائي في عمل اليوم والليلة: ١٤٧ ، والتحفة: ١٨٣/٥ ، والمستدرک: ٢٦٢/٤ ، وقال: حديث صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه ، وتعقبه الذهبي بقوله: الحكم فيه جهالة ، قال: لم أجد للحكم متابع . وسنن البيهقي: ٣٥١/٣ ، وابن أبي الدنيا في الفرج بعد الشدة: ٣٠ .

وأخرج أبو عبيد ^(١) في « فضائل القرآن » ^(٢) ، والحارث بن [أبي] ^(٣) أسامة ^(٤) ، وأبو يعلى ^(٥) ، في « مسنديهما » ، وابن مردويه ^(٦) ، في « تفسيره » ، والبيهقي ^(٧) في « شعب الإيمان » ^(٨) عن ابن مسعود ^(٩) ، رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (من قرأ سورة الواقعة ،

(١) هو القاسم بن سلام الهروي الأزدي الخزازي بالولاء (١٥٧ - ٢٢٤ هـ) ، الخراساني ، البغدادي ، من كبار العلماء بالحديث والأدب والفقه ، من أهل هراة ، له: الغريب المصنف ، وأدب القاضي . الأعلام: ١٧٦/٥ .

(٢) ألفه أبو عبيد القاسم بن سلام ، على طريقة المحدثين . انظر كشف الظنون: ١٢٧٧/٢ .

(٣) ساقطة من الأصل .

(٤) لم يذكر عنه في كشف الظنون: ١٦٨٢ شيئاً غير « مسند حارث بن أبي أسامة » . وجاء فيه: ١٦٧٨/٢: هو الحارث بن محمد التميمي ، المتوفى سنة ٢٨٢ هـ .

(٥) هو أحمد بن علي بن المثنى الموصلي ، أبو يعلى (ت ٣٠٧ هـ) ، حافظ من علماء الحديث ، ثقة مشهور ، عمر طويلاً ، له مسندان كبير وصغير ، والمعجم . الأعلام: ١٧١/١ .

(٦) هو أحمد بن موسى بن مردويه الأصبهاني ، أبو بكر (٣٢٣ - ٤١٠ هـ) يقال له ابن مردويه الكبير ، حافظ مؤرخ مفسر ، من أهل أصفهان له كتاب: التاريخ ، ومسند ، وتفسير القرآن . الأعلام: ٢٦١/١ .

(٧) هو أحمد بن الحسين بن علي ، أبو بكر البيهقي (٣٨٤ - ٤٥٨ هـ) ، من أئمة الحديث ، ولد في خسرو جرد ، من قرى يهق بنيسابور ، ونشأ في يهق ورحل إلى بغداد ، ثم إلى الكوفة ومكة ، وغيرهما . له: السنن الكبرى ، وشعب الإيمان ، والأسماء والصفات . الأعلام: ١١٦/١ .

(٨) ذكره حاجي خليفة باسم الجامع المصنف ، روى فيه أن الإيمان بضع وسبعون شعبة أفضلها لا إله إلا الله ، وهو كبير من الكتب المشهورة ، وله مختصرات . انظر كشف الظنون: ٥٧٤/١ ، و ١٠٤٧/٢ .

(٩) هو عبدالله بن مسعود بن غافل بن حبيب الهذلي ، أبو عبد الرحمن ، (ت ٣٢ هـ) . صحابي من أكابرهم فضلاً وعقلاً وقرباً من رسول الله ﷺ ، وهو من أهل مكة ، أول من جهر بقراءة القرآن بمكة ، وكان خادماً رسول الله الأمين ، ولي بعد وفاة النبي ﷺ بيت مال الكوفة . توفي في المدينة . الأعلام: ١٣٧/٤ .

في كُلِّ ليلةٍ ، لم تُصِبْهُ فاقَةٌ (١) .

وأخرج ابن مردويه عن أنس (٢) عن رسول الله ﷺ قال: (سورة الواقعة سورة الغنى ، فاقرؤوها ، وعلموها أولادكم) (٣) .

وأخرج الطبراني في « الأوسط » عن عائشة (٤) رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال: (لما أهبط الله آدم إلى الأرض ، قام إلى الكعبة ، فصلى ركعتين ، فآلهمه الله هذا الدعاء ، وهو: (اللهم إني أعلم سرِّي وعلايتي ، فاقبلْ معذرتي ، وتعلم حاجتي ، فأعطني سؤلي ، وتعلم ما في نفسي

(١) مسند الحارث بن أبي أسامة: ١٧٨ من زوائده ، وابن السني في عمل اليوم والليلة: ٣٢٠ ، وابن لال: ١١٦/١ ، وابن بشران في الأمالي: ١/٣٨/٢٠ ، من طريق أبي شجاع عن أبي طيبة عن ابن مسعود مرفوعاً ، وهذا سند ضعيف . قال الذهبي: أبو شجاع نكرة لا يعرف ، عن أبي طيبة ، وأبو طيبة مجهول . وقال ابن حجر في لسان الميزان: في ترجمة أبي شجاع أن في سند الحديث اضطراباً . وفي فيض القدير: « وقال الزيلعي: معلول من وجوه: الانقطاع ، نكارة متنه ، ضعف رواته ، اضطرابه . وقد أجمع على ضعفه أحمد وأبو حاتم والدارقطني والبيهقي وغيرهم » . قال الألباني في الأحاديث الضعيفة: رقم: ٢٨٩ ضعيف . وفي كشف الخفاء: ٤٥٨/١ . قال: رواه أبو يعلى والبيهقي وغيرهما عن ابن مسعود ، وكذا أخرجه ابن عساكر عن ابن عباس . والفاقة: الحاجة والفقر . النهاية: ٤٨٠/٣ .

(٢) هو أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم النجاري الخزرجي الأنصاري أبو ثمامة ، أو أبو حمزة (١٠ ق هـ - ٩٣ هـ) صاحب رسول الله ﷺ وخادمه ، مولده بالمدينة ، وأسلم صغيراً ، وخدم النبي ﷺ إلى أن قبض ، رحل إلى دمشق ، ومنها إلى البصرة ، فمات فيها ، وهو آخر من مات بالبصرة من الصحابة . الأعلام: ٢٤/٢ .

(٣) الحديث في كشف الخفاء: ٤٥٨/١ ، قال: رواه ابن مردويه عن أنس ، وعند الديلمي: الفردوس: ٤٣/٣ . جاء بلفظ: « علموا نساءكم سورة الواقعة فإنها سورة الغنى » .

(٤) هي عائشة بنت أبي بكر الصديق ، عبدالله بن عثمان (٩ ق هـ - ٥٨ هـ) من قريش ، ألقب نساء المسلمين ، وأعلمهن بالدين ، والأدب ، تزوجها النبي ﷺ في السنة الثانية بعد الهجرة ، أكثر نساؤه رواية للحديث عنه ، ولها خطب ومواقف ، توفيت بالمدينة . الأعلام: ٢٤٠/٣ .

فاغفر لي ذنبي . اللهم إني أسألك إيماناً يُباشِر قلبي ^(١) ، و يقيناً صادقاً ، حتى أعلم أنه لا يُصَيِّني إلا ما كتبت لي ، ورَضَّني بما قَسَمْتَ لي ، فأوحى الله إليهِ ؛ قد قبلتُ توبَتَكَ وعَفَرْتَ لَكَ ذَنْبَكَ ، ولنْ يَدْعَوَنِي أَحَدٌ بهذا الدُّعاء إلا غفرتُ له ذنبه ، وكفَيْتُهُ من أمره ^(٢) ، وزجرتُ ^(٣) عنه الشيطان ، وأقبلتُ إليه الدُّنيا رَاغِمَةً ^(٤) وإنْ لم يُرْذَها ^(٥) .

وله شواهدٌ من حديث بُرَيْدَةَ ^(٦) ، أخرجه البيهقي .

وأخرج الخطيب ^(٧) ، وأبو نعيم ^(٨) ، في رواية أبي [شجاع] ^(٩)

(١) يباشِر قلبي: يلامس قلبي.

(٢) كفَيْتُهُ من أمره: أغنيته .

(٣) زجرت: نهيت . النهاية: ٢٩٦/٢ .

(٤) راغمة: كارهة ، مجبرة .

(٥) الحديث في مجمع الزوائد: ١٨٣/١٠ ، وجاء فيه: « قام وجاء الكعبة » مكان « قام إلى الكعبة » ، و « كفَيْتُهُ المَهم من أمره » مكان « وكفَيْتُهُ من أمره » ، و « .. الشيطان وانجرت له من وراء كل تاجر وأقبلت إليه الدنيا وهي راغمة » مكان « ... الشيطان وأقبلت إليه الدنيا راغمة » .

قال: رواه الطبراني في الأوسط ، وفيه النضر بن طاهر ، وهو ضعيف . وفي الفردوس: ٥٣٦/١ ، في تسديد القوس: أسنده عن بريدة وعائشة ، وفي سندهما النضر بن طاهر وهو واه ، وأخرجه ابن أبي عاصم في الدعاء ، وزاد في أوله: « إن آدم طاف ثم صلى ثم دعا » . وسنده ضعيف أيضاً .

(٦) هو بريدة بن الحصيب بن عبدالله بن الحارث الأسلمي ، من أكابر الصحابة ، أسلم قبل بدر ، ولم يشهدا ، وشهد خيبر ، وفتح مكة ، استعمله النبي ﷺ على صدقات قومه ، سكن المدينة ، وانتقل إلى البصرة ، ثم إلى مرو ، فمات بها . الأعلام: ٥/٢ .

(٧) هو أحمد بن علي بن ثابت البغدادي ، أبو بكر ، (٣٩٢ - ٤٦٣ هـ) ، أحد الحفاظ المؤرخين المقدمين . له تاريخ بغداد . الأعلام: ١٧٢/١ .

(٨) هو أحمد بن عبدالله بن أحمد الأصبهاني ، أبو نعيم ، (٣٣٦ - ٤٣٠ هـ) ، حافظ مؤرخ من الثقات في الحفظ والرواية ، ولد ومات في أصبهان .

له: حلية الأولياء ، ومعرفة الصحابة ، ودلائل النبوة . الأعلام: ١٥٧/١ .

(٩) في المطبوع: أبو مالك ، والتصويب من الأعلام: ١٨٣/٣ .

الدليمي ^(١) في مسند الفردوس ^(٢) عن علي ^(٣) قال: قال رسول الله ﷺ: (من قال في كل يوم ، مائة مرة لا إله إلا الله الملك الحق المبين ، كان له أماناً من الفقر ، وأنساً من وحشة القبر) ^(٤) .

وأخرج الطبراني عن ابن مسعود قال: قال ﷺ: (من قرأ سورة الإخلاص حين يدخل منزله ، نقت الفقر عن أهل ذلك المنزل ، وعن الجيران) ^(٥) .

وأخرج أحمد بسند جيد عن أبي ^(٦) قال: قال رجل: يا رسول الله ، أرأيت ، إن جعلت صلاتي كلها عليك ؟ قال: (إذن يكفيك الله ما أهمك

(١) هو شيرويه بن شهردار بن شيرويه بن فناخسرو ، أبو شجاع ، (٤٤٥ - ٥٠٩ هـ) الدليمي ، الهمذاني ، مؤرخ من العلماء بالحديث ، له: تاريخ همذان ، وفردوس الأخبار . الأعلام: ١٨٣/٣ .

(٢) فردوس الأخبار بمأثور الخطاب المخرج على كتاب الشهاب ، في الحديث ، أورد فيه عشرة آلاف حديث ، ذكر فيه رواية الشهاب مجردة عن الأسانيد ، رتبها ابنه ترتيباً حسناً وسماه مسند الفردوس . كشف الظنون: ١٢٥٤/٢ .

(٣) هو علي بن أبي طالب بن عبدالمطلب الهاشمي القرشي ، أبو الحسن ، (٢٣ ق هـ - ٤٠ هـ) ، أمير المؤمنين ، رابع الخلفاء الراشدين ، ابن عم النبي ﷺ وصهره ، أول الناس إسلاماً بعد خديجة ، ولد بمكة ، وأقام بالكوفة إلى أن قتل . الأعلام: ٢٩٥/٤ .

(٤) في الفردوس: ٨/٤ ، جاء فيه بلفظ: « من قال ، في يوم وليلة ، مائتي مرة: لا إله إلا الله ، الحي ، الحق المبين ، ما يسأل الله عز وجل فيها حاجة إلا قضاها ، إلا في جور أو معاص ، أو قطع رحم » وهو فيه عن أبي هريرة . وفي حلية الأولياء: عن أبي محمد عبدالله بن محمد بن أحمد بن سعيد الواسطي ، عن إسحق بن زريق ، عن سالم الخواص ، عن مالك ، عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده ، أظنه عن علي بن أبي طالب ، أو عنه مراسلاً ، وفي الباب عن أبي هريرة .

(٥) لم أجد الحديث في مجمع الزوائد ، في فضائل القرآن .

(٦) هو أبي بن كعب بن قيس بن عبيد ، من بني النجار من الخزرج ، أبو المنذر (ت ٢١ هـ) ، صحابي أنصاري ، كان قبل الإسلام حبراً من أحبار اليهود ، مطلعاً على الكتب القديمة ، كان يكتب ويقرأ ، فكان من كتاب الوحي ، كتب كتاب الصلح لأهل بيت المقدس ، واشترك بجمع القرآن ، مات بالمدينة . الأعلام: ٨٢/١ .

من دُنياك وآخرتك (١) .

وأخرج الطبراني في « الأوسط » بسند حسنه الهيثمي (٢) عن عائشة: أن رسول الله ﷺ كان يقول: (اللهم اجعل أوسع رزقك عليّ عند كبر سنّي ، وانقضاء عمري) (٣) .

وأخرج المستغفري (٤) في الدعوات عن جابر بن عبد الله (٥) قال: قال رسول الله ﷺ: (ألا أدلكم على ما يُنجيكم من عدوكم ، ويُدرّ لكم أرزاقكم ؟) (٦) تدعون الله في ليلكم ونهاركم ؛ فإنّ الدعاء سلاح المؤمن (٧) .
وأخرج عن أم سلمة (٨) قالت: كان رسول الله ﷺ يقول بعد صلاة

(١) الحديث في مجمع الزوائد: ١٦٠/١٠ ، قال الهيثمي: قلت: رواه الترمذي: في القيامة، ٢٣ ، ولفظه: « إذا تكفي همك ، ويغفر ذنبك » . ورواه أحمد وإسناده جيد عن أبي بن كعب . والمستند: ١٣٦/٥ .

(٢) هو علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي ، أبو الحسن ، نور الدين المصري القاهري، حافظ ، له كتب ، وتخرّج في الحديث ، منها: مجمع الزوائد ، وكشف الأستار ، ومورد الظمآن ، الأعلام: ٢٦٦/٤ .

(٣) الأحاديث الصحيحة: رقم: ١٥٣٩ ، وصحيح الجامع: ٣٩٦/١ ، قال: رواه الطبراني في الأوسط .

(٤) هو جعفر بن محمد بن المعتر بن محمد بن المستغفر النسفي، أبو العباس، (٣٥٠ هـ - ٤٣٢ هـ) ، فقيه ، له اشتغال بالتاريخ ، من رجال الحديث ، كان خطيب NSF ، وتوفي بها .

له: الدعوات في الحديث ، وفضائل القرآن . يأخذ عليه رجال الحديث رواية الموضوعات من غير تبين . الأعلام: ١٢٨/٢ .

(٥) هو جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام الخزرجي ، (ت ٧٣ هـ) ، مفتي المدينة في زمانه . تهذيب التهذيب: ٤٢/٢ .

(٦) يدر: يصب ويتدفق . النهاية: ١١٢/٢ .

(٧) الحديث في الترغيب والترهيب: ٤٨٣/٢ ، قال رواه أبو يعلى . ينجيكم: يبعدكم من أذى الأعداء .

الدعاء سلاح المؤمن: أي قوة دفاعه وما به يتحصن .

(٨) هي هند بنت سهيل ، المعروف بأبي أمية ، ويقال اسمه حذيفة ، ويعرف بزاز الراكب (٢٨ ق هـ - ٦٢ هـ) ، القرشية المخزومية ، من زوجات النبي ﷺ ، تزوجها في السنة الرابعة للهجرة ، من أكمل النساء عقلاً وخلقاً . الأعلام: ٩٧/٨ .

الفجر: (اللهم إني أسألك رزقاً طيباً ، وعلماً نافعاً ، وعملاً مقبلاً)^(١) .

وأخرج المستغفري عن ابن مالك^(٢) : أنه كان إذا صلى الجمعة انصرف ، فوقف في باب المسجد ، فقال: اللهم إني أجبتُ دعوتك ، وصليتُ فريضتك ، وانتشرتُ لما أمرتني^(٣) ، فارزقني من فضلك ، وأنت خيرُ الرّازقين) .

وأخرج البخاري^(٤) في « الأدب المفرد »^(٥) ، والبزار^(٦) ، والحاكم^(٧) ، وصححه ، عن عبدالله بن عمر^(٨) : أن النبي ﷺ قال: (إن نوحاً عليه

(١) الحديث في سنن ابن ماجه: ٢٩٨/١ ، في الإقامة، ما يقال بعد التسليم ، في الزوائد: رجال إسناده ثقات ، خلا مولى أم سلمة ، فإنه لم يسمع ، ولم أر أحداً ممن صنف في المبهمة ذكره ، ولا أدري ما حاله ، وفي المسند: ٢٩٤/٦ ، ٣٠٥ ، ٣١٨ ، ٣٢٢ ، وفي عمل اليوم والليلة لابن السني: ٥١ ، والفردوس: ٥٤٧/١ .

(٢) هو أنس بن مالك بن النضر الأنصاري ، (ت ٩٥ هـ) خادم رسول الله ﷺ ، آخر من توفي من الصحابة ، تهذيب التهذيب: ٣٧٦/١ .

(٣) وذلك لقوله تعالى: ﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون . فإذا قضيت الصلاة فانثربوا في الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون ﴾ . سورة الجمعة ، الآية ٩ ، ١٠ .

(٤) هو محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري ، أبو عبدالله (١٩٤ - ٢٥٦ هـ) حبر الإسلام ، والحافظ لحديث رسول الله ﷺ ، صاحب الجامع الصحيح ، والتاريخ ، والأدب المفرد . الأعلام: ٣٤/٦ .

(٥) الأدب المفرد في الحديث للبخاري . كشف الظنون: ٤٩/١ .

(٦) هو أحمد بن عمرو بن عبدالحالق ، أبو بكر البزار (ت ٢٩٢ هـ) ، حافظ من العلماء بالحديث ، من أهل البصرة ، حدث في آخر عمره بأصبهان وبغداد والشام ، وتوفي في الرملة ، له مسندان أحدهما كبير سماه البحر الزاخر ، والثاني صغير: الأعلام: ١٨٩/١ .

(٧) هو محمد بن عبدالله بن حمدويه بن نعيم الضبي الطهماني النيسابوري ، أبو عبدالله ، (٣٢١ - ٤٠٥ هـ) ، من أكابر حفاظ الحديث والمصنفين فيه ، رحل إلى العراق ، وحج ، من أعلم الناس بصحيح الحديث . له: المستدرك ، والإكلیل . الأعلام: ٢٢٧/٦ .

(٨) هو عبدالله بن عمر بن الخطاب العدوي ، أبو عبد الرحمن (١٠ ق هـ - ٧٣ هـ) صحابي من أعز بيوتات قريش في الجاهلية كان جريئاً جهورياً ، نشأ في الإسلام ، وهاجر إلى المدينة مع أبيه ، وشهد فتح مكة ، أفتى الناس في الإسلام ستين سنة ، كف بصره في آخر حياته ، آخر من توفي بمكة من الصحابة . الأعلام: ١٠٨/٤ .

السَّلَامُ لَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ: قَالَ لِابْنِهِ: أَمْرُكَ بَاثْنَيْنِ ؛ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ،
وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ ، فَإِنَّهَا صَلَاةُ كُلِّ شَيْءٍ ، وَبِهَا يُرْزَقُ كُلُّ شَيْءٍ^(١) .

وَأَخْرَجَ الْمُسْتَفْغِرِي عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: قَالَ ﷺ: (أَلَا أَمْرُكُمْ بِمَا
أَمَرَ بِهِ نُوحٌ ابْنُهُ ، أَنْ يَقُولَ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ ؛ فَإِنَّ كُلَّ شَيْءٍ يُسَبِّحُ
بِحَمْدِهِ ، وَهِيَ صَلَاةُ الْخَلْقِ ، وَبِهَا يُرْزَقُونَ)^(٢) .

وَأَخْرَجَ الْمُسْتَفْغِرِي عَنْ ابْنِ عَمْرٍو: أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قُلْتُ
ذَاتُ يَدَيَّ^(٣) فَقَالَ: (أَيْنَ أَنْتَ مِنْ صَلَاةِ الْمَلَائِكَةِ ، وَتَسْبِيحِ الْخَلَائِقِ ؟ قُلْ
سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ ، سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ ، أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ ، مِائَةَ مَرَّةٍ . مَا بَيْنَ
طُلُوعِ الْفَجْرِ إِلَى صَلَاةِ الصُّبْحِ ، تَأْتِكَ الدُّنْيَا رَاغِمَةً صَاغِرَةً) .

وَأَخْرَجَ الْمُسْتَفْغِرِي عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ^(٤) بْنِ الزَّيْبِرِ^(٥): أَنَّ عَمْرَ بْنَ
الْخَطَّابِ^(٦) أَصَابَتْهُ مَصِيبَةٌ ، فَاتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَشَكَا إِلَيْهِ ذَلِكَ ، وَسَأَلَ

(١) فِي فَرْدُوسِ الْأَخْبَارِ: ٢٤١/٣ ، وَجَاءَ فِيهِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بِلَفْظٍ: « قَالَ نُوحٌ
لِابْنِهِ أَوْصِيكَ بِقَوْلٍ: سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ وَبِحَمْدِهِ ، فَإِنَّهَا عِبَادَةُ الْخَلْقِ ، وَبِهَا ... » .
وَفَرْدُوسِ الْأَخْبَارِ: ١٦٨/١ ، قَالَ رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ عَنْ مُعَاذِ بْنِ أَنَسٍ ، وَتَسْدِيدِ الْقَوْسِ:
٦٥ .

(٢) فَرْدُوسِ الْأَخْبَارِ: ٢٤١/٣ .

(٣) قُلْتُ ذَاتُ يَدَيَّ: افْتَقَرْتُ .

(٤) فِي الْمَطْبُوعِ: ابْنُ عَبْدِ اللَّهِ ، وَالصَّوَابُ ابْنُ عُرْوَةَ .

(٥) هِشَامُ بْنُ عُرْوَةَ بْنِ الزَّيْبِرِ بْنِ الْعَوَامِ ، الْقُرَشِيُّ ، الْأَسَدِيُّ ، أَبُو الْمُنْذَرِ ، (٦١ -
١٤٦ هـ) ، تَابِعِي ، مِنْ أَعْمَةِ الْحَدِيثِ ، مِنْ عُلَمَاءِ الْمَدِينَةِ ، وَلَدَ وَعَاشَ فِيهَا ، زَارَ
الْكُوفَةَ ، وَدَخَلَ بَغْدَادَ وَافْدًا عَلَى الْمَنْصُورِ الْعَبَّاسِيِّ ، وَتُوفِيَ فِيهَا . الْأَعْلَامُ: ٨٧/٨ .

(٦) هُوَ عَمْرُ بْنُ الْخَطَّابِ بْنِ نَفِيلِ الْقُرَشِيِّ الْعَدَوِيِّ ، أَبُو حَفْصٍ (٤٠ ق هـ - ٢٣ هـ) ،
ثَانِيُ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ ، وَأَوَّلُ مَنْ لُقِبَ بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، الصَّحَابِيُّ الْجَلِيلُ صَاحِبُ
الْفَتْوحَاتِ ، شَهِدَ الْوُقَاعَةَ فِي زَمَنِ الرَّسُولِ ﷺ ، بُويعَ بِالْخُلَافَةِ يَوْمَ وَفَاةِ أَبِي بَكْرٍ ،
فِي أَيَّامِهِ تَمَّ فَتْحُ الشَّامِ وَالْعِرَاقِ ، وَافْتَتَحَتِ الْقُدْسُ وَالْمَدَائِنُ وَمِصْرُ وَالْجَزِيرَةُ ، تُوفِيَ
مَقْتُولًا . الْأَعْلَامُ: ٤٥/٥ .

أن يأمرَ له بوسق^(١) من تمر ، فقال عليه السلام : (إن شئتَ أمرتُ لك بوسق ، وإن شئتَ علمتُك كلماتٍ هي خيرٌ لك منه ؛ قل : اللهم احفظني بالإسلام قاعداً ، واحفظني بالإسلام راقداً ، ولا تُطمع فيَّ عدواً ولا حاسداً ، وأعوذ بك من شرِّ ما أنتَ آخذٌ بناصيته ، وأسألك من الخير الذي بيدك .)

وأخرج المستغفري عن عليّ قال : قال عليه السلام : (أيُّما أحبُّ إليك : خمسمائة شاةٍ ورعاتها ، أمبها لك ، أو خمس كلماتٍ تدعو بهنَّ ؟ قل : اللهم اغفر لي ذنبي ، وطيب لي كسبي ، ووسع لي في خلقي ، ولا تمنعني ممّا قضيت لي به ولا تُذهب نفسي إلى شيءٍ صرفته عني) .

وأخرج البزار ، والحاكم ، والبيهقي ، في الدعوات عن عائشة قالت : قال لي أبي : ألا أعلمك دعاءً علمني إياه رسولُ الله ﷺ ؟ وقال : (كان عيسى بنُ مريمَ ، عليه السلامُ يُعلمه الحواريُّن ، ولو كانَ عليك مثلُ أخذٍ ديناً لقضاهُ الله عنك ؟ قلتُ : بلى ، قال : فولي : اللهم كاشف الكرب ، مجيبَ دعوة المضطرِّ ، رحمنَ الدنيا والآخرة ورحيمَهُما ، أنتَ ترحمُني ، فارحمُني ، رحمةً تُعيني بها عمَّن سواك) .

قال أبو بكر : (وكانت عليّ ذبابةً^(٢) من دين ، وكنتُ للدين كارهاً ، فلم ألْبَثْ يَسِيراً حتَّى أتاني الله بقائِدة ، قضى الله بها ما كان عليّ من دين) . قالت عائشة : « وكانَ عليّ لامرأةٍ دينٌ ، وكنتُ أستحيي منها ، وكنتُ أدعو بذلك ، فما لبثتُ إلا يسيراً حتَّى جاءني الله بِرِزْقٍ من غير

(١) الوسق : ستون صاعاً ، وهو ثلاثمائة وعشرون رطلاً عند أهل الحجاز ، وأربعمائة وثمانون رطلاً عند أهل العراق ، والأصل في الوسق الحمل ، وكل شيء وسقته فقد حملته . النهاية : ١٨٥/٥ .

(٢) ذبابة من دين : قليل من دين ، بقية من دين .

مِيراثٍ وَلَا صَدَقَةٍ ، فَقَضَيْتُهُ ^(١) .

وأخرج أبو داود ، والبيهقي ، في الدعوات ، عن أبي سعيد ^(٢) : أن النبي ﷺ رأى أبا أمامة ^(٣) فقال له : (مالك ؟) قال : همومٌ لزمّني ، ودُيُونٌ يا رسولَ الله ، فقال ﷺ : (أفلا أعلمُك كلاماً ، إذا قلته ، أذهبَ الله عنك همّك ، وقضى عنك دينك ، قل ، إذا أصبحت ، وإذا أمسيت : اللهم أعوذُ بك من الهم والحزن ، وأعوذُ بك من العجز والكسل ، وأعوذُ بك من الجبن والبخل ، وأعوذُ بك من غلبة الدين ، وقهر الرجال) . قال : فقلتُ ذلك ، فأذهبَ الله همّي ، وقضى عني ديني ^(٤) .

(١) المستدرک: ٥١٥/١ ، وفيه : « كان لأسماء بنت عميس عليّ دينار وثلاثة دراهم ، فكانت تدخل عليّ فاستحيي أن أنظر إلى وجهها ؛ لأنني لا أجد ما أقضيها فكنت أدعو بذلك » مكان « وكان عليّ لامرأة دين ، وكنت أستحيي منها وكنت أدعو بذلك » . قال : قد احتج البخاري بعبدالله بن عمر النعميري ، وهذا حديث صحيح غير أنهما لم يحتجا بالحكم بن عبدالله الأيلي .

ومجمع الزوائد: ١٨٦/١٠ ، بلفظ : (اللهم فارج الهم وكاشف الكرب مجيب دعوة المضطر ، رحمن الدنيا والآخرة أنت رحمتي) مكان : (اللهم كاشف الكرب مجيب دعوة المضطر ، رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما أنت ترحمني فارحمني رحمة) . قال : رواه البزار وفيه الحكم بن عبدالله الأيلي ، وهو متروك .

والترغيب والترهيب: ٦١٥/٢ ، قال : رواه البزار والحاكم والأصبهاني كلهم عن الحكم بن عبدالله الأيلي عنها ، قال الحاكم : صحيح الإسناد . قال المنذري : كيف ؟ والحكم متروك منهم ، والقاسم لم يسمع من عائشة .

(٢) هو سعد بن مالك بن سنان الخدري الأنصاري الخزرجي ، أبو سعيد ، (١٠ ق هـ - ٧٤ هـ) ، صحابي ، كان من ملازمي النبي ﷺ ، روى عنه أحاديث كثيرة ، توفي في المدينة . الأعلام: ٨٧/٣ .

(٣) صدي بن عجلان بن وهب الباهلي (ت ٨١ هـ) صحابي ، كان مع علي في صفين ، وسكن الشام ، فتوفي في أرض حمص ، وهو آخر من مات من الصحابة بالشام . الأعلام: ٢٠٣/٣ .

(٤) سنن أبي داود: ١٩٥/٢ ، في أبواب الوتر ، باب في الاستعاذة ، في إسناده غسان بن عوف ، وهو بصري ، وقد ضعف .

والمستدرک: ١٢٢/٣ ، ١٥٩ ، ٢٢٠ ، ٢٢٦ ، ٢٤٠ .

وسنن الترمذي: في الدعوات ، باب: ٧٠ .

والنسائي: في الاستعاذة ، ٧ ، ٨ ، ٣٥ ، ٤٥ .

والترغيب والترهيب: ٦١٤/٢ .

وأخرج البيهقي عن علي: أَنَّ مُكَاتِباً ^(١) أتاه ، فقال: أعِنِّي في مُكَاتِبَتِي ، فقال: ألا أعلمك كلمات ، علمنيهنَّ رسولُ الله ﷺ ، لو كانَ عليكَ مثلُ أحدٍ ديناراً لَأَدَّاهُ اللهُ عنكَ ، قل: اللهم ، اكفني بحلالِكَ عن حرامِكَ ، واغنني بفضلكَ عمن سواكَ ^(٢) .

وأخرج المستغفري عن علي: أَنَّ فَاطِمَةَ ^(٣) أتت رسولَ الله ﷺ ، فقالت: هذه الملائكةُ طعامُها التَّهْلِيلُ والتَّسْبِيحُ والتَّحْمِيدُ والتمجيدُ ، فما طعامُنا ؟ فقال ﷺ: (والذي بَعَثَنِي بِالْحَقِّ ما اقْتَبَسَ ^(٤) في آلِ مُحَمَّدٍ نارٌ منذُ ثلاثينَ يوماً ، ولقدْ أَتَنا أَغْزَرُ ، فإنْ شِئْتَ ، أَمَرْنَا لَكَ بِخَمْسَةِ أَغْزَرٍ ، وإنْ شِئْتَ ، علمْتُكَ خمسَ كلماتٍ ، علمَنيها جبريلُ عليه السلامُ ، قولي: يا أوَّلَ الأوَّلِينَ ، ويا آخِرَ الآخِرِينَ ، ويا ذا القُوَّةِ المتينِ ، ويا رَاحِمَ المساكينِ ، ويا أرحمَ الرَّاحِمِينَ) .

وأخرج أبو يعلى عن عائشة ، رضي الله عنها قالت: كان ﷺ ، إذا أوى إلى فراشه ، قال: (اللهمَّ ربَّ السَّمواتِ السَّبعِ ، وربَّ العرشِ العظيمِ ، إلهُ آدمَ وربُّ كُلِّ شيءٍ ، منزلُ التَّوراةِ ، والإنجيلِ ، والفرقانِ ،

(١) مكاتب: من الكتابة ؛ أن يكتب الرجل عبده على مال يؤديه إليه منجماً ، فإذا أداه صار حراً وسميت كتابة لمصدر كتب ، كأنه يكتب على نفسه لمولاه ثمنه ، ويكتب مولاه له عليه العتق ، وقد كاتبه مكاتبه ، والعبد مكاتب ، وإنما خص العبد بالمفعول ؛ لأن أصل المكاتبه من المولى وهو الذي يكتب عبده . النهاية: ١٤٨/٤ .

(٢) في الترغيب والترهيب: ٦١٣/٢ .
قال: رواه الترمذي واللفظ له ، وقال: حسن غريب .
والحاكم: وقال صحيح الإسناد .

(٣) هي فاطمة بنت رسول الله ﷺ محمد بن عبد الله (١٨ ق هـ - ١١ هـ) ، الهاشمية القرشية ، أمها خديجة بنت خويلد ، تزوجها علي ، عاشت بعد أبيها ستة أشهر .
الأعلام: ١٣٢/٥ .

(٤) اقتبس: القبس الشعلة من النار ، واقتباسها الأخذ منها ، والمقصود: لم تشعل نار لعدم وجود شيء يطبخ على النار .

فالق الحب والنوى^(١) ، أعود بك من شر كل شيء أنت آخذ بناصيته
 اللهم ، أنت الأول ، فليس قبلك شيء ، والآخر ، فليس بعدك شيء ،
 وأنت الظاهر ، فليس فوقك شيء ، وأنت الباطن فليس دونك شيء
 اقض عنا الدين ، واغننا من الفقر^(٢) .

وأخرج الطبراني في « الكبير »^(٣) بسند حسن عن قتيلة بنت النضر^(٤)
 أنها كانت ، إذا أخذت مضجعتها بعد العتمة^(٥) ، تقول: (أعود بالله ،
 وبكلمات الله التامات ، التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر ، من شر ما ينزل
 في الأرض ، وشر ما يخرج منها ، وشر فتن النهار ، وطوارق الليل^(٦) ،
 إلا طارقاً يطرق بخير ، آمنت بالله ، واعتصمت بالله ، والحمد لله ، الذي
 استسلم لقدرته كل شيء ، والحمد لله الذي ذل لعزته كل شيء ، والحمد لله

(١) أي الذي يشق حبة الطعام ونوى التمر للإنبات . النهاية: ٤٧١/٣ .

(٢) في الفردوس: ٥٤٣/١ ، عن أبي هريرة . وصحيح مسلم: ٧٨/٨ - ٧٩ .
 والمسند: ٥٣٦/٢ ، وسنن أبي داود: ٣١٢/٤ ، وسنن الترمذي: ٤٧٢/٥ . وقال:
 حسن صحيح .

كلهم عن أبي هريرة ، ورواه أبو يعلى عن عائشة ، وابن ماجه: ١٢٧٤/٢ ، في
 الدعاء ، ما يدعو إذا أوى إلى فراشه .

(٣) المعجم الكبير في الحديث ، رتب فيه مؤلفه الصحابة على الحروف ، مشتملاً على
 نحو خمسة وعشرين ألف حديث .

(٤) هي قتيلة بنت النضر بن الحارث بن علقمة ، من بني عبدالدار ، (ت موالى ٢٠هـ)
 شاعرة ، من الطبقة الأولى في النساء ، أدركت الجاهلية والإسلام ، أسر أبوها في
 وقعة بدر ، فأمر به النبي ﷺ فقتل فرثته بقصيدة أنشدتها بين يدي رسول الله ﷺ ،
 تقول فيها:

ظلت سيوف بني أبيه تنوشه لله أرحام هناك تشقق
 الأعلام: ١٩٠/٥ .

(٥) العتمة: الظلمة . كانت الأعراب يسمون صلاة العشاء صلاة العتمة ، تسمية بالوقت .
 النهاية: ١٨٠/٣ .

(٦) طوارق الليل: المصائب التي تأتي ليلاً ، ومنه سمي النجم طارقاً لأنه يطرق بليل .
 أي يظهر .

الذي تواضع لعظمته كل شيء ، والحمد لله الذي خضع لملكه كل شيء ، اللهم إني أسألك بمعاقِدِ العزِّ^(١) ، من عرشك ، مُتَّهِى الرحمة من كتابك وجَدَّكَ الأعلى^(٢) ، واسمك الأكبر ، وكلماتك الثَّامات ، التي لا يُجاوِزُهن برٌّ ولا قاجر ، أن تنظر إلينا نظرةً ، لا تدعُ ذنباً لنا إلا عَفَرْتَهُ ، ولا فقراً إلا جَبَرْتَهُ ، ولا عدوًّا إلا أَهْلَكْتَهُ ، ولا عارياً إلا كَسَوْتَهُ ، ولا ديناً إلا قَضَيْتَهُ ، ولا أمراً لنا فيه في الدنيا والآخرة خيراً إلا أعطيتناه ، يا أرحم الراحمين ، آمَنْتُ بالله ، واعتصمتُ بالله (ثم تقول : (سبحان الله ثلاثاً وثلاثين مرة ، الله أكبر ، مثل ذلك ، والحمد لله ، أربعاً وثلاثين مرة) ، ثم تقول : « إن ابنة رسول الله ، ﷺ ، أتته تستخدمه ، فقال : (ألا أدلك على شيء أحسن من خادم ؟) فقالت : بلى ، فأمرها بهذه المائة عند الاضطجاع بعد العتمة »^(٣) .

وأخرج ابن عساكر^(٤) في « تاريخه »^(٥) ، من طريق أبي المنذر ، هشام بن محمد^(٦) ، عن أبيه قال : أضاق الحسن بن علي^(٧) ، رضي الله

(١) معاقِد العز: أي الخصال التي استحق بها العرش العز أو بمواضع انعقادها منه ، وحقيقة معناه بعز عرشك . النهاية : ٢٧٠/٣ .

(٢) جدك الأعلى: أي جلالك وعظمتك ، واجد الحظ والسعادة والغنى . النهاية : ٢٤٤/١ .

(٣) وذلك لما جاء في صحيح مسلم : ٢٠٩١/٤ ، في الذكر والدعاء ، باب التسبيح أول النهار ، وسنن الترمذي : رقم : ٣٤٠٥ ، في الدعوات ، ما جاء في التسبيح والتكبير عند المنام ، وسنن أبي داود : رقم : ٢٩٨٨ ، ٢٩٨٩ ، باب الخراج ، بيان مواضع قسم الخمس وجزء منه في الفردوس : ٥٥١/١ .

(٤) هو علي بن الحسن بن هبة الله ، أبو القاسم ، ثقة الدين ، ابن عساكر الدمشقي ، (٤٩٩ - ٥٧١ هـ) ، المؤرخ الحافظ الرحالة ، كان محدث الديار الشامية ، مولده ووفاته في دمشق . له تاريخ دمشق الكبير . الأعلام : ٢٧٣/٤ .

(٥) هو تاريخ دمشق ، كتبه نحو ثمانين مجلداً ، وذكر تراجم الأعيان ومروياتهم على نسق تاريخ بغداد ، لهذا الكتاب أذبال ، ومختصرات . انظر كشف الظنون : ٢٩٤/١ .

(٦) هو هشام بن محمد أبي النضر ، ابن السائب بن بشر الكلبي ، أبو المنذر ، مؤرخ ، عالم بالأنساب وأخبار العرب كآبيه ، له جمهرة الأنساب وكتاب الأصنام ونسب

عنهما ، وكان عطاؤه في كل سنة مائة ألف ، فحبسها عنه معاوية في إحدى
السنين ، فضاق ضيقاً شديداً ، قال : فدعوتُ بدواةٍ لأكتبَ إلى معاوية ^(١)
لأذكره نفسي ، ثم أمسكتُ ، فرأيتُ جدِّي في المنام ﷺ ، فقال : « يا
حسنُ ، كيف أنت ؟ » قلتُ : بخير يا رسولَ الله ، وحدثته بحديثي فقال :
« يا بني ، هكذا حالُ من رجا الخلقَ ، ولم يرجُ الخالقَ » .

= الخيل ، وأسواق العرب . الأعلام : ٨ / ٨٧ .

(٧) هو الحسن بن علي بن أبي طالب الهاشمي القرشي ، أبو محمد (٣ - ٥٠ هـ)
خامس الخلفاء الراشدين وآخرهم ولد في المدينة ، أمه فاطمة بنت الرسول ﷺ ،
بويح بالخلافة بعد مقتل أبيه ، خلع نفسه وسلم الأمر لمعاوية حقناً لدماء المسلمين .
أقام في المدينة إلى أن توفي . الأعلام : ٢ / ١٩٩ .

(١) هو معاوية بن (أبي سفيان) صخر بن حرب بن أمية من عبد شمس (٢٠ ق هـ -
٦٠ هـ) مؤسس الدولة الأموية في الشام ، وأحد دهاة العرب المتميزين ، أسلم يوم
فتح مكة ، ولي الأردن لعمر بن الخطاب ، وولي الديار الشامية كلها في زمن
عثمان ، طالب بئار عثمان عندما علم بعزل علي له ، ونشبت بينه وبين علي حروب
طاحنة . انتهى الأمر إلى أن تسلم الخلافة سنة ٤١ هـ . الأعلام : ٧ / ٢٦١ .

الفصل الثاني فيما ورد من الأفعال

أخرج البخاري عن أبي هريرة قال: قال ﷺ: (من سرَّه أن يُنسط له في رزقه ، وأن يُنسأ ^(١) له في أجله فليصل رحمه) ^(٢) .

وأخرج ابن ماجه عن أنس قال: قال ﷺ: (من أحبَّ أن يُكثر الله عليه رزقه ، فليتوضأ ، إذا حضرَ غداؤه . وإذا رُفِعَ) ^(٣) . والمراد بالوضوء هنا غسل اليدين .

وأخرج عبدالرزاق ^(٤) في « المصنف » ^(٥) عن رجل من قريش قال: « كان رسولُ الله ﷺ ، إذا دَخَلَ عليه بعضُ الضيِّقِ ، أمرَ أهله بالصلاة ، ثم قرأ هذه الآية: ﴿ وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها . لا نسألك رزقاً نحنُ نرزُقُك والعاقبة للمتقوى ﴾ ^(٦) .

(١) ينسأ: النسأ التأخير يقال: نسأت الشيء نسأ ، وأنسأته إنسأء .

(٢) صحيح البخاري: ٦/٢ ، في البيوع ، باب من أحب البسط في الرزق ، عن أنس . و٤٩/٤ ، في الأدب ، من بسط له الرزق ، عن أبي هريرة وصحيح مسلم: ١٩٨٢/٤ في البر ، صلة الرحم ، وبلغز « أو ينسأ له في أثره » ، وسنن أبي داود: ٣٢١/٢ ، في الزكاة ، باب صلة الرحم ، وصحيح الجامع: ٢٢٧/٥ ، والمسند: ١٥٦/٣ ، ٢٤٧ ، ٢٦٦ .

(٣) سنن ابن ماجه: ١٠٨٥/٢ ، في الأطعمة ، باب الوضوء عند الطعام . في الزوائد: في إسناده جبارة بن المغلس ، ثنا كثير بن سليم وهما ضعيفان .

(٤) هو عبدالرزاق بن همام بن نافع الحميري ، مولا هم ، أبو بكر الصنعاني (١٢٦ هـ - ٢١١ هـ) ، من حفاظ الحديث الثقات ، من أهل صنعاء ، له الجامع الكبير في الحديث ، والمصنف في الحديث ، وتفسير القرآن . الأعلام: ٣٥٣/٣ .

(٥) كتاب في الحديث ، مطبوع ، لم يذكره حاجي خليفة في كشف الظنون .

(٦) سورة طه ، الآية: ١٣٢ .

وأخرج سعيد بن منصور ^(١) في « سننه » ^(٢) ، وابن المنذر ^(٣) في « تفسيره » عن معمر بن حمزة بن عبدالله بن سلام ^(٤) ، قال : « كان رسول الله ﷺ ، إذا نزل بأهله ضيقاً أو شدة ، أمرهم بالصلاة ، وتلا : ﴿ وأمر أهلك بالصلاة ﴾ » ^(٥) .

وأخرج الإمام أحمد بن حنبل في « الزهد » ^(٦) ، وابن أبي حاتم ^(٧) في « تفسيره » عن ثابت ^(٨) قال : « كان رسول الله ﷺ ، إذا أصابت أهله خصاصة » ^(٩) ، نادى أهله بالصلاة ، صلوا ، صلوا . قال ثابت : « وكان الأنبياء ، إذا نزل بهم أمرٌ قزعوا إلى الصلاة » ^(١٠) .

-
- (١) هو سعيد بن منصور الخراساني ، (ت ٢٢٧ هـ) له كتاب السنن .
 (٢) كتاب في الحديث لسعيد بن منصور الخراساني (ت ٢٢٧ هـ) ، كشف الظنون : ١٠٠٧/٢ .
 (٣) هو محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري ، أبو بكر : (٢٤٢ - ٣١٩ هـ) ، فقيه مجتهد من الحفاظ ، كان شيخ الحرم بمكة ، له المبسوط في الفقه ، والأوسط في السنن والإجماع ، والاختلاف ، وتفسير القرآن ، توفي بمكة . الأعلام : ٢٩٤/٥ .
 (٤) لم أجد ترجمته .
 (٥) سورة طه ، الآية : ١٣٢ وهي بتمامها : ﴿ وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسألك رزقاً نحن نرزقك والعاقبة للمتقوى ﴾ .
 (٦) ذكره حاجي خليفة في كشف الظنون : ١٤٢٢/٢ .
 (٧) هو عبدالرحمن بن محمد (أبي حاتم) بن إدريس بن المنذر التميمي ، أبو محمد (٢٤٠ - ٣٢٧ هـ) حافظ للحديث من كبارهم ، كان منزله في درب حنظلة بالري وإليهما نسبته ، له : الجرح والتعديل ، والتفسير ، وعلل الحديث ، والمراسيل . الأعلام : ٣٢٤/٣ .
 (٨) هو ثابت بن أسلم البناني (ت ١٣٧ هـ) . ميزان الاعتدال : ٣٦٢/١ .
 (٩) الخصاصة : الفقر والحاجة .
 (١٠) الزهد : ٢٤ ، وجاء فيه بلفظ : « كان رسول الله ﷺ إذا أصابت أهله خصاصة نادى أهله : يا أهلاه صلوا ، صلوا » . والزهد لابن المبارك : ١٦٥ ، وحلية الأولياء : ١٩٦/٢ ، وإتحاف السادة المتقين : ٢١٤/٩ .

وأخرج الطبراني ، وابن مردويه ، عن معاذ بن جبل ^(١) قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: (يا أيُّها الناسُ ، اتخذُوا تقوى الله تجارةً ، ياتِكُم الرزقُ بلا بضاعةٍ ولا تجارةٍ ، ثم قرأ: ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً ، ويرزقه من حيثُ لا يحتسب ﴾ ^(٢) .

وأخرج أحمد ، والحاكم وصححه ، والبيهقي في « شعب الإيمان » عن أبي ذر ^(٣) ، قال: جعلَ رسولُ الله ﷺ يتلو هذه الآية ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً ويرزقه من حيثُ لا يحتسب ﴾ ثم قال: (يا أبا ذر ، لو أنَّ الناس أخذوا بها لكفتهم) ^(٤) .

وأخرج أحمد ، والنسائي ^(٥) ، وابن ماجه عن ثوبان ^(٦) قال: قال رسولُ الله ﷺ :

(١) هو معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس الأنصاري الخزرجي ، أبو عبدالرحمن (٢٠ ق هـ - ١٨ هـ) ، صحابي جليل ، كان أعلم الأمة بالحلال والحرام ، كان أحد جامعي القرآن على عهد النبي ﷺ ، أخى النبي ﷺ بينه وبين جعفر بن أبي طالب . شهد العقبة وبدراً والمشاهد كلها ، أرسله النبي ﷺ قاضياً لأهل اليمن . توفي بناحية الأردن . الأعلام: ٢٥٨/٧ .

(٢) سورة الطلاق، الآية ٢ .

(٣) هو جندب بن جنادة بن سفيان بن عبيد من غفار ، من كنانة من خزيمية ، أبو ذر ، (ت ٣٢ هـ) . صحابي ، من كبارهم ، قديم الإسلام ، يضرب به المثل في الصدق ، هاجر بعد وفاة الرسول ﷺ إلى بادية الشام ، كان كريماً . الأعلام: ١٤٠/٢ .

(٤) المسند: ١٧٨/٥ ، قال: حدثنا كههمس عن أبي السليل عن أبي ذر ، والمستدرک: ٤٩٢/٢ ، من طريق إسحاق بن إبراهيم عن النضر ، قال: صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه ، وابن ماجه: ١٤١١/٢ ، رقم: ٤٢١٩ ، في الزهد ، باب الورع . وجاء فيه بلفظ: « قال رسول الله ﷺ: إني أعرف كلمة ، وقال عثمان: آية ، لو أخذ الناس كلهم بها لكفتهم ، قالوا: يا رسول الله آية قال: ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً ﴾ » .

في الزوائد: هذا الحديث رجاله ثقات ، غير أنه منقطع ، وأبو السليل ضريب بن النضير لم يدرك أبا ذر . وابن أبي الدنيا في الفرج: ٣٢ .

(٥) هو أحمد بن علي بن شعيب بن علي بن سنان بن بحر بن دينار ، أبو عبدالرحمن النسائي (٢١٥ - ٣٠٣ هـ) ، صاحب السنن ، خرج إلى الرملة بفلسطين ، مات ودفن ببيت المقدس . له السنن الكبرى ، والسنن الصغرى . الأعلام: ١٧١/١ .

(إِنَّ الْعَبْدَ لِيُحْرَمَ الرِّزْقَ بِالذَّنْبِ يُصِيبُهُ) ^(١) .

وأخرج ابن أبي حاتم في « تفسيره » عن عمران بن حصين ^(٢) قال : قال رسول الله ﷺ : (من انقطع إلى الله ، كفاه الله مؤنته ورزقه من حيث لا يحتسب ، ومن انقطع إلى الدنيا وكله الله إليها) ^(٣) .

انتهى

(٦) هو ثوبان بن يجدد ، أبو عبدالله (٥٤ هـ) ، مولى رسول الله ﷺ ، أصله من أهل السراة بين مكة واليمن ، اشتراه النبي ﷺ ثم أعتقه ، فلم يزل يخدمه ، إلى أن مات ، فخرج إلى الشام فنزل الرملة في فلسطين ، ثم انتقل إلى حمص ، فابتنى فيها داراً ، وتوفي بها . الأعلام : ١٠٢/١ .

(١) سنن ابن ماجه : ١٣٣٤/٢ ، في الفتن ، باب العقوبات ، وجاء فيه جزءاً من حديث هو بتمامه : (لا يزيد في العمر إلا البر ، ولا يرده القدر إلا الدعاء ، وإن الرجل ليحرم الرزق بالذنب يصيبه) .
في الزوائد : إسناده حسن ، والمسند : ٢٧٧/٥ ، ٢٨١ ، ٢٨٢ .

(٢) هو عمران بن الحصين بن عبيد ، أبو نجيد الخزاعي ، (ت ٥٢ هـ) ، من علماء الصحابة ، أسلم يوم خيبر ، كانت معه راية خزاعة يوم فتح مكة ، أرسله عمر إلى أهل البصرة ليفقههم ، اعتزل في حرب صفين . الأعلام : ٧٠/٥ .

(٣) المعجم الصغير : ١١٦/١ ، قال الطبراني : لم يروه عن هشام بن حسان إلا الفضيل ابن عياض ، تفرد به إبراهيم بن الأشعث . ومجمع الزوائد : ٣٠٣/١٠ ، عزاه للطبراني في الأوسط ، وقال : فيه إبراهيم بن الأشعث ، وهو ضعيف .
وتاريخ بغداد : ١٩٦/٧ . وفي الفرج : ٤٣ .

الأقلية المسلمة في يوغسلافيا "سابقاً"

« الجزء الأول » *

إعداد: سيد عبد المجيد بكر
المحاضر بجامعة الملك عبدالعزيز بجدة

كانت يوغسلافيا السابقة تتكون من ست جمهوريات هي: صربيا وعاصمتها بيوجراد ، وكرواتيا وعاصمتها زغرب ، والبوسنة والهرسك وعاصمتها سراييفو ، ومقدونيا وعاصمتها سكوبي ، وسلوفينيا وعاصمتها ليوبليانا ، والجبل الأسود والعاصمة تيتوجراد ، يضاف إلى هذا إقليمان يتمتعان بالحكم الذاتي وهما كوسوفو وفيفودينا ، وإقليم سنجق الذي اقتسمته جمهوريتا صربيا والجبل الأسود . وتضم يوغسلافيا العديد من القوميات ، وتحدث لغات عدة وتنتشر بينهم المسيحية ، حيث يوجد أتباع للمذاهب المسيحية الكاثوليكية ، والأرثوذكسية ، ويشكل المسلمون حصة كبيرة بين سكان يوغسلافيا السابقة^(١) ، ٢٥٪ تقريباً.

وظهرت يوغسلافيا على خريطة أوروبا السياسية في أعقاب الحرب العالمية الأولى باسم مملكة صربيا ، واحتلها الألمان والإيطاليون في أثناء الحرب العالمية الثانية ، ثم استقلت بعد هزيمة ألمانيا واتحدت في جمهورية فيدرالية باسم يوغسلافيا « أرض الصقالبة الجنوبيين » وسيطر الشيوعيون على حكمها ، حتى سنة (١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م) عندما انهار الاتحاد السابق

Journal . Insititute of Muslim Minority Affairs vol .2.

Europa Year Book 1988 . vol. 2.

(١)

وعاصمة الاتحاد كانت مدينة يوجراد وسكانها حوالي مليون ونصف مليون نسمة ، وبعد سقوط الشيوعية تفككت يوغسلافيا إلى جمهوريات ، شأنها في ذلك شأن الاتحاد السوفيتي ، فأعلنت كرواتيا استقلالها عن الاتحاد اليوغسلافي السابق ، كذلك أعلنت سلوفينيا استقلالها ، كما أعلنت جمهورية البوسنة والهرسك استقلالها أيضاً بعد استفتاء شعبي حدث في ٢٩/٢/١٩٩٢ م «حيث صوت ٥٧٪ من السكان في صالح الاستقلال»^(١)، ولقد اعترفت معظم دول العالم باستقلال هذه الجمهوريات، ولم يتبق من يوغسلافيا السابقة غير صربيا، والجبل الأسود والأقاليم الموضوعة تحت الحكم الذاتي مثل كوسوفو وفويفودينا، وسنجق، وهذه الأقاليم مغلوبة على أمرها تحت حكم الصرب.

الموقع :

توجد في جنوب وسط أوروبا، غربي جزيرة البلقان، وعلى الساحل الشرقي لبحر الأدرياتيک، تحدها رومانيا وبلغاريا من الشرق وبحر الأدرياتيک من الغرب ، وتحدها المجر والنمسا من الشمال ، وإيطاليا من الشمال الغربي ، كما تحدها ألبانيا واليونان من الجنوب ، ولموقعها أهميته بالنسبة لوسط أوروبا ، حيث تشكل مدخلاً لها على بحر الأدرياتيک .

تبلغ مساحة يوغسلافيا سابقاً (٢٥٥,٨٠٤ كم^٢) وسكانها في سنة ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م ٢٣,٥٤٩,٠٠٠ نسمة « أي قبل تفككها »^(٢) .

الأرض :

أرض يوغسلافيا « سابقاً » جبلية في جملتها ، حيث تغطي الجبال ثلاثة أرباعها ، وأبرزها جبال الألب في غربها ؛ حيث جبال ألب « كروات » وألب جوليا في أقصى الشمال الغربي ، وفي ألب جوليا أعلى جبال

(١) د. فکرت کارجيتش - تاريخ التشريع الإسلامي في البوسنة والهرسک .

(٢) د. جودة حسنين - جغرافية أوروبا، ود. علي متصر الكتاني - المسلمون في أوروبا وأمريكا

F.A.O Year Book 1988, The Europa Year Book 1983. vol 1.

يوغسلافيا « سابقاً » (تريجلاف ٢٨٦٥ م) وهذه المنطقة ممزقة بالوديان
العديدة ، وعلى ساحل دلماشيا المشرف على البحر الأدرياتي ، تطل سلاسل
جبليّة شديدة الانحدار ، حيث جبال الألب الدينارية ، وتتكون من صخور
جيرية مسامية سريعة الذوبان (كارست) ، وتوجد بها أحواض نهريّة
صغيرة ، ويلى هذا النطاق الجيري سلاسل تغطيها الغابات ، والمنطقة وعرة
صعبة الاجتياز ، وإلى الشرق من هذا الإقليم (الديناري) تمتد كتلة ردوب
البلورية ، وتعرف بأراضي الدهاليز والأحواض الجبليّة ، وتجري فيها روافد
عديدة ، ويخترقها خط حديد الشرق السريع ، وإلى الشرق من أرض
الدهاليز تمتد سلسلة جبال البلقان اليوغسلافية ، أما السهول فتوجد في القسم
الشمالي حيث سهل الدانوب اليوغسلافي ، ويجري به نهر الدانوب ، وطول
القسم الواقع في يوغسلافيا « سابقاً » من نهر الدانوب حوالي ١٤٠٠
كم^(١) ، وتأتي إليه روافد عديدة من يوغسلافيا السابقة .

المناخ:

يجمع المناخ بين طرازين ؛ الأول يتمثل في مناخ البحر المتوسط ، والثاني
المناخ القاري ، ويفصل بين الطرازين المرتفعات الغربية ، ويسود الطراز الأول
في صربيا ، ويتصف هذا النمط بصيفه الحار والشتاء المعتدل الممطر ، وفي
الداخل يسود الطراز القاري ، فالصيف حار والشتاء بارد ، وأكثر المناطق
أمطاراً تلك المناطق القريبة من البحر الأدرياتي^(٢) ، وينطبق هذا على أرض
جمهورية البوسنة والهرسك ، وجمهورية كرواتيا ، وساحل دلماشيا .

(١) د. جودة حسنين جودة . جغرافية أوروبا

(٢) د. جودة حسنين . مصدر سابق

السكان :

ينتمي السكان إلى مجموعة من العناصر ، أكثرها عدداً الصقالبة الجنوبيون أو كما يطلق عليهم أحياناً السلاف ومنهم الصرب والكروات والبشناق ، يضاف إليهم المقدونيون ، والألبان وجماعات أخرى عديدة منها الأتراك ، وفيها أكثر من عشرين قومية ، ولهذا تتعدد اللغات واللهجات ، وتصل إلى أكثر من عشرين لهجة ولغة ، وقدر عدد السكان في سنة ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م ، بحوالي ٢٣,٥ مليون نسمة . وتختلف الكثافة السكانية ، فتقل الكثافة فوق الجبال ، وتزداد في السهول الزراعية ، وأكثف أجزاء البلاد حول منطقة بيوجراد ، وفي إقليم سلوفينيا ، وفي منطقة زغرب ^(١) .

ويتكون المسلمون في يوغسلافيا « السابقة » من البشناق ، والهرسك ، والألبان ، والأتراك والفجر ، ويصل عدد المسلمين في الوقت الراهن إلى ٦ ملايين نسمة تقريباً ، ويستعمل السكان أبجديتين لاتينيتين : الأولى للسلاف والكروات ، والثانية للصرب والبشناق ^(٢) .

النشاط البشري :

يعمل السكان في الزراعة ، هذا برغم الهجرة الكبيرة من الريف إلى المدن الصناعية ، وتنقسم البلاد من حيث الزراعة إلى نطاقين رئيسيين ؛ إقليم الحبوب والبنجر السكري ، وهذا يوجد في السهول الشمالية ، وهو أهم مناطق الزراعة بالبلاد ، وفي جنوب وادي سافا وعند اتصاله بنهر الدانوب يوجد الإقليم الثاني ، وتشغل الغابات والمراعي حيزاً كبيراً منه .

(١) Richard. V. Weekes Muslim Peoples - Journal - Vol. 2.F.A.O. 1988 ود. جودة

حسين المصدر السابق .

(٢) د. علي المنتصر الكتاني ، المسلمون في المعسكر الشيوعي + مصدر سابق .

و Journal Vol.2 المصدر السابق .

وأهم الغلات تتمثل في القمح والشعير ، ويزرع العنب والعديد من الفاكهة، وتغطي الغابات والمراعي ثلث مساحة البلاد ، وتكون الثروة الحيوانية من الماشية ومن الأغنام وتمتلك احتياطيا عظيماً من الحديد ، والرصاص ، وهي ثانية الدول الأوروبية بعد الاتحاد السوفييتي في إنتاج الرصاص ومعظمه يأتي من إقليم كوسوفو . وبعد تفكك يوغسلافيا ، أصبح لكل جمهورية إنتاجها الخاص بها ، وهناك احتياطي كبير من الفحم ، كما أنها غنية بالمساقط المائية ؛ لهذا تولد الطاقة الكهربائية ، ولقد تطورت الصناعة بها في الآونة الأخيرة ، فتوجد الصناعات المعدنية والكيميائية، والآلات الزراعية ، والسيارات^(١) ، هذا قبل التفكك .

كيف وصلهم الإسلام ؟

من الآراء السائدة أن أول وصول للإسلام جاء مع الفتح العثماني ، غير أن هذا الرأي ينطبق على وصول المسلمين بأعداد كبيرة ، ولكن الوصول الفعلي سابق على غزو العثمانيين ؛ فالإسلام وصل إلى بعض المناطق قبل الفتح العثماني بعدة قرون ، وهناك آراء عديدة تفسر هذا ، بعضها يرى أن الإسلام وصل إلى هذه البلاد بعد فتح صقلية ، ويؤيد هذا ما جاء في رواية ياقوت الحموي في معجم البلدان عندما التقى في مدينة حلب بعدد من المسلمين من بلاد الهندك « هنغاريا » يدرسون الإسلام ، فذكروا له أن في بلادهم ٣٠ قرية مسلمة ، وأنهم على مذهب الإمام أبي حنيفة ، وهذه الرواية تدل على أن الإسلام وصل إلى عمق منطقة البلقان في المجر ، وفي رواية المؤرخ الإنجليزي « توماس آرنولد » في كتابه « تاريخ انتشار الإسلام »، أن الإسلام وصل منطقة البوسنة والهرسك قبل وصول الأتراك إليها ، وظهر هذا في تأثير الإسلام في المذهب البوغوميلي ، ولقد أثر هذا في سرعة

(١) د. محمد السيد غلاب، البلدان الإسلامية - والأقليات المسلمة - ود. جودة حسنين، جغرافية أوروبا و The New Encyclopedia .

انتشار الإسلام عندما وصل الأتراك إلى المنطقة . وللدكتور نيازي شوكرتش الاستاذ بالكلية الإسلامية في سرايفو رأي في وصول الدعوة الإسلامية إلى المنطقة عن طريق التجار المغاربة ، حيث كانت لهم علاقة تجارية بمنطقة البوسنة والهرسك ، وجاء وصول المسلمين بأعداد كبيرة مع الفتح العثماني ، وانتشر الإسلام بعد هذا انتشاراً واسعاً ، وهناك عامل مهم ساعد على تهيئة الظروف لانتشار الدعوة الإسلامية في هذه المنطقة ، وهو ظهور المذهب البوغوميلي ، أو الكنيسة البشناقية ، والتي عارضت المذهبين المسيحيين السائدين في المنطقة ؛ المذهب الكاثوليكي ، والمذهب الأرثوذكسي .

وكانت الكنيسة البشناقية أكثر اعتدالاً في العبادة ، بل رفضت الكثير مما جاء بالمذهبين ، فرفضت تقديس البشر ، والتعميد ، كما رفضت مبدأ النزاع بين الروح والمادة ، وكان أصحاب المذهب البوغوميلي لا يأكلون لحم الخنزير ولا يشربون الخمر . وطالبت بعودة المسيحية إلى أصولها القديمة ، لهذا برز الصراع بينها وبين المذهبين السابقين ، وهكذا كان البشناق مهينين لقبول الإسلام ^(١) .

وفي المرحلة التي سبقت دخول الأتراك العثمانيين إلى المنطقة تأسست دولتان في هذا الجزء من البلقان حسب المذهبين المسيحيين، دولة صربية، أرثوذكسية في الجنوب ، وأخرى كاثوليكية في الشمال ، وكانت بلاد البشناق مسرحاً للصراع بين المذهبين المسيحيين ، ثم استقلت مكونة دولة في سنة ١١٢٧م تتبع الكنيسة البشناقية صاحبة المذهب البوغوميلي .

وعندما دخل العثمانيون شبه جزيرة البلقان وفتحوا جنيبلو في سنة (٧٥٤ هـ - ١٣٥٣م) ، ثم هزموا التحالف النصراني في سنة (٧٦٧ هـ - ١٣٦٥م) قرب أدرنة ، وهزم التحالف مرة أخرى في سنة (٧٧٣ هـ -

(١) Journal Vol.2 مصدر سابق ، والكثاني المصدر السابق ، والرابطة الإسلامية - العدد ٣٣٥ وتوماس أرنولد - تاريخ انتشار الإسلام

١٣٧١ م) وهكذا توغل الأتراك في شبه جزيرة البلقان حتى وصلوا إلى
بيوجراد في سنة (٨٥٦ هـ - ١٤٥٢ م) ، واشتدت حدة الصراع بين
المذاهب المسيحية، وطلب البشناق العون من الأتراك ، ففتح بلادهم السلطان
العثماني محمد الفاتح في سنة (٨٦٨ هـ - ١٤٦٣ م) ، وحسم الصراع بين
المذاهب المسيحية في معركة كوسوفو سنة (٧٩١ هـ - ١٣٨٩ م) التي هزم
فيها التحالف الصربي .

واستغل الصرب هزيمتهم في هذه المعركة حديثاً لإثارة الكراهية ضد
المسلمين في البوسنة ، وكأنها إرث تاريخي أحياء الصرب بعد انقضاء أكثر
من ستة قرون ، وظل هذا الحقد الأسود كامناً في نفوسهم يشير غريزتهم
الشريرة كلما سنحت لهم الفرصة للانتقام من الأبرياء فيبطشون بهم،
ويحملونهم نتيجة أحداث وقعت منذ ستة قرون ، هذا بالرغم من أن البشناق
ينتمون إلى عنصر السلاف شأنهم في ذلك شأن الصرب ولا ذنب لهم بما
حدث في معركة كوسوفو بين الصرب والأتراك ، وعندما تعرف البشناق على
مبادئ الإسلام اعتنقوا الدين زرافات ووحدانا .

ولم ينقض قرن حتى اعتنق جميع البشناق الإسلام طواعية ، وصاروا من
أقوى أنصاره ، وأخذوا في تشييد المدن ذات الطابع الإسلامي ، من أهم
هذه المدن سرايفو ، أو « بشناق سراي » ، وتقدم العثمانيون في فتح بلاد
جديدة، وحسن إسلام البشناق، وظهرت المؤسسات الإسلامية، وانتشرت المساجد
والمدارس الإسلامية، وأقيم الحكم العثماني على عنصرين هما الأحكام الشرعية والقوانين
العثمانية وظهرت وظيفة المفتي، وتأسل نظام الافتاء والقضاء الإسلامي^(١) وعندما
ضعفت الدولة العثمانية استولت النمسا على أجزاء عديدة من المنطقة، وأخذت بعض
المناطق بالاستقلال، مثل بلاد الجبل الأسود، وصربيا، واضطر العثمانيون للتخلي عن بلاد
البشناق والهرسك في سنة (١٢٩٥ هـ - ١٨٧٨ م) لإمبراطورية النمسا والمجر . وهكذا دام
الحكم العثماني في معظم يوغسلافيا أكثر من أربعة قرون^(٢) .

(١) فكرت - مرجع سابق .

(٢) الكتاني - مصدر سابق .

أحوال المسلمين بعد العثمانيين :

تعرض المسلمون في عهد الحكم النمساوي لموجات قاسية من الاضطهاد ، واضطر العديد منهم إلى الهجرة فراراً بدينهم ، وعندما ثار المسلمون ضد الحكم النمساوي انضم إليهم الأرثوذكس ، ونجح المسلمون في الحصول على الحكم الذاتي في الأمور الدينية ، ويظهر الدور الصربية استبشر المسلمون للتخلص من الاستعمار النمساوي ، ولكن غدر بهم الصرب بعد الاستقلال ، وهذه صور من المأساة .

فلقد كان في مدينة بيوجراد ٢٧٠ مسجداً ، والعديد من المدارس الإسلامية و٢٧٠ كتاباً ، وبعد أن انحسر الحكم الإسلامي عن المدينة ، قضى الصرب على المدارس الإسلامية ، وهدمت المساجد لتقام مكانها الفنادق ، والمسارح ، وأقيم البرلمان على أنقاض مسجد بتار ، وكان أجمل مساجد بيوجراد ، والمسجد الوحيد الذي بقي في بيوجراد هو مسجد بيرقلي ، ويعتبر أقدم مساجد بيوجراد حيث بني في سنة (٨٢٨ هـ - ١٥٢١ م)^(١) ، كما تعرض التعليم الإسلامي إلى الانهيار .

أحوال المسلمين في ظل الحكم اليوغسلافي :

بدأت الاضطرابات تظهر ضد النمسا في مناطق الصرب والكروات في سنة (١٣٣١ هـ - ١٩١٢ م) - فسيطر الصرب على مناطق من ألبانيا كانت في يد الدولة العثمانية سابقاً ، وأخذت الاضطرابات تتفشى في مناطق الصرب ضد النمسا ، ففي سنة : (١٣٣٣ هـ - ١٩١٤ م) تأمر الصرب على اغتيال ولي عهد النمسا ، وقتل في سرايفو فانطلقت شرارة الحرب العالمية الأولى ، وانتهت الحرب بهزيمة النمسا ، وفي سنة (١٣٣٧ هـ - ١٩١٨ م) تأسست مملكة الصرب والكروات باسم مملكة يوغسلافيا ، وفي أثناء الحرب العالمية

(١) الكتاني - مصدر سابق ، والمسلمون في أوروبا وأمريكا .

الثانية ، احتلت ألمانيا ، وإيطاليا أرض مملكة يوغسلافيا .

وسادت يوغسلافيا « سابقاً » فترة من الاضطرابات في أعقاب الحرب العالمية الثانية ، وفي هذه الفترة أسس جوزيف تيتو جمهورية يوغسلافيا الشعبية ذات الطابع الشيوعي ، وبعد أن استقرت الأحوال أخذ المسلمون يستردون كياناتهم ، فأعيدت لهم بعض مساجدهم ومدارسهم ، واعترفت الدولة بكيان المسلمين في سنة (١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م) ، وتكونت جمهورية إسلامية في بلاد البشناق والهرسك ، ويشكل المسلمون أغلب سكان هذه الجمهورية، وأصبح للمسلمين حرية التعبد وإقامة المساجد وبناء المدارس ، وشراء الكتب الإسلامية وكذلك نشرها ^(١) ، ولم تنقض مدة وجيزة على هذا الاستقلال حتى تفككت يوغسلافيا بعد وفاة تيتو ، وبدأت جمهورية صربيا تشن هجمات وحشية على الجمهوريات التي أعلنت استقلالها، ولا سيما جمهورية البوسنة والهرسك ، وهي أهم مناطق تجمع المسلمين فيما كان يسمى بيوغسلافيا ، ولقد مارست صربيا عمليات استئصال ديني للمسلمين في هذه المنطقة ، وسوف يأتي الحديث عن ذلك تفصيلاً .

مناطق المسلمين:

يتركز وجود المسلمين في المناطق التالية:

- ١- جمهورية البشناق والهرسك ، وجمهورية كرواتيا ، وجمهورية سلوفينيا حيث المركز الرئيسي للهيئة الإسلامية العليا في مدينة سرايفو ، ويشرف على المسلمين في البوسنة والهرسك .
- ٢- جمهورية صربيا وإقليم كوسوفو وإقليم فويفودينا ، حيث المركز الرئيسي للهيئة الإسلامية العليا في مدينة بريشتينا ، ويشرف على المسلمين في هذه المناطق . ويعاني المسلمون في إقليم كوسوفو العديد من تحديات الصرب من قبل السلطة الحاكمة .

(١) الكتاني - مصدر سابق، ومجلة الرابطة الإسلامية عدد خاص محرم ١٤١٤ هـ.

٣- جمهورية مقدونيا ، حيث المركز الرئيسي للهيئة الإسلامية في مدينة سكوبي ، ويشرف على المسلمين في الجمهورية .

٤- جمهورية الجبل الأسود ، حيث المركز الرئيسي للهيئة الإسلامية في مدينة تيتوجراد ، ويشرف على المسلمين في منطقة الجبل الأسود .

وجملة المسلمين في هذه المناطق حالياً أكثر من ٦ ملايين ، أي أن نسبتهم تزيد على ربع السكان ، وقدر عدد المسلمين في سنة ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م بأكثر من ٥ ملايين نسمة ^(١) .

تطور أعداد المسلمين :

لقد تعرض المسلمون للاضطهاد منذ سنة (١٢٩٧ هـ - ١٨٧٩ م) ، فهاجر الكثير منهم إلى تركيا والبلدان الإسلامية ، ذلك أنهم تعرضوا للاضطهاد والتحدي بعد خروج الحكم التركي وسيطرة النمسا ، ولقد هجر النمساويون أعداداً كبيرة من الكاثوليك إلى أراضي البشناق ، وظهر التحدي للمسلمين من المسيحيين الأرثوذكس ، فقل عدد المسلمين لأسباب عديدة منها الهجرة إلى الخارج ، ومنها جلب الكاثوليك والأرثوذكس إلى أرضهم وزيادة عدد المسيحيين ، ومنها اضطراب أحوال المسلمين في الفترة السابقة .

ولنأخذ حالة المسلمين في جمهورية البشناق والهرسك كمثال لما حدث ، لقد كان عدد سكان هذه الولاية في سنة (١٢٩٧ هـ - ١٨٧٩ م) ١,١٥٣,٠٠٠ نسمة ، وكان عدد المسلمين ٤٤٩,٠٠٠ نسمة أي أن نسبتهم ٣٨,٩ % ، ووصل عدد السكان في سنة (١٣٢٨ هـ - ١٨٩٠ م) ١,٨٤٨,٠٠٠ نسمة ، وكان عدد المسلمين ٥٨٨,٠٠٠ نسمة ، أي أن نسبتهم وصلت إلى ٣٢ % ، وفي سنة (١٣٥٠ هـ - ١٩٣١ م) وصلت نسبة

(١) Journal Vol.2 ، المصدر السابق ، وأخبار العالم الإسلامي ١٤٠٩/١٢/٢٨ هـ .

المسلمين إلى ٣٠,٩٪ ثم تحسنت أحوال المسلمين بعد ذلك فوصلت نسبتهم في جمهورية البشناق والهرسك إلى ٤١,١٥٪ في سنة (١٣٩١ هـ - ١٩٧١ م) وفي إحصاء تم في أغسطس ١٩٩١ م وصلت نسبة المسلمين في البوسنة إلى ٤٤٪ تقريباً من جملة السكان، أي: زادت نسبتهم عن ذي قبل^(١).

القوميات المسلمة في يوغسلافيا السابقة:

يشكل المسلمون البشناق أغلبية المسلمين في يوغسلافيا ، ثم المسلمون الألبان حيث يشكلون مجتمعين ما يقارب ٧٧٪ من جملة المسلمين، وكذلك يتتشر المسلمون الألبان في مقدونيا. ويوشك إقليم كوسوفو «الذي يتكون سكانه من أغلبية ألبانية» على الانفجار نتيجة تحدي الصرب؛ حيث سلب هذا الإقليم من ألبانيا في الحرب العالمية الأولى. ثم يأتي ترتيب الأتراك، وقد قل عددهم بسبب هجرة العديد منهم إلى تركيا. ثم يأتي دور الغجر ويقترب عددهم من مائة ألف نسمة، وهناك مسلمون من قوميات أخرى ولكل قومية لغتها ومدارسها الإسلامية^(٢).

الهيئات الإسلامية في يوغسلافيا السابقة:

يوغسلافيا « سابقاً » كانت دولة علمانية ، وفي البلاد اتحاد إسلامي عام يرأسه كبير العلماء ، ومقره في سرايفو ، وكان في عواصم أربع جمهوريات مجالس للعلماء ينظمون شؤون المسلمين ، ويبلغ عددهم ٣٦٠ مجلساً منها مجلس في سرايفو عاصمة جمهورية البشناق والهرسك ، وفي سكوبي عاصمة جمهورية مقدونيا ، وتيتوجراد عاصمة الجبل الأسود ، وكذلك مجلس للعلماء في بريشتينا عاصمة إقليم كوسوفو ، والمجالس الإسلامية الأخرى موزعة حسب البلديات ، وفي العواصم الكبرى تسمى المجالس

(١) المصدر السابق، وأخبار العالم الإسلامي ١٤١٢/٣/٢٥ هـ.

(٢) د. علي المنتصر الكتاني، مصدر سابق - ج ١ ص ١٢٩، ومجلة العربي صفر ١٤٠٢ هـ. وأخبار العالم الإسلامي ١٤١٠/١/٦ هـ.

الإسلامية مشيخات ^(١) .

ولهذه الهيئات قوتها ونفوذها بين المسلمين ، وكانت الحكومة تعترف بهذا التنظيم ، ولقد تكون حزب إسلامي في البوسنة والهرسك باسم الهيئة الديمقراطية ، ويرأس هذا الحزب على عزت ، وهذا حدث مهم في تاريخ المسلمين بعد غبن دام مدة طويلة تحت الحكم الشيوعي ^(٢) ، ولكن مما يؤسف له أن جمهورية البوسنة والهرسك تمر الآن بمحن لم يسبق لها نظير ، حيث يمارس الصرب عملية استئصال ديني للمسلمين في البوسنة والهرسك ، بل في معظم مناطق يوغسلافيا « السابقة » .

توزيع المؤسسات الإسلامية في يوغسلافيا السابقة :

الطائفة الإسلامية في بريشتينا ، والطائفة الإسلامية في سرايفو ، ومدرسة غازي خسرو بيك في سرايفو ، ومكتبة غازي خسرو بيك في سرايفو ، واتحاد الطلاب المسلمين في شرق أوروبا في لوبليانا ، ومجلس الجمعية الإسلامية في زغرب .

المساجد في يوغسلافيا السابقة :

لقد تعرضت المساجد للهدم في فترة التحدي أيام حكم النمسا ، وقبل الحرب العالمية الأولى وبعدها ، لهذا قل عددها عن ذي قبل ؛ أي في عهد حكم الأتراك ، وبعد أن حصل المسلمون على اعتراف الدولة بدأ عدد المساجد يزداد فوصل إلى ٢٧٠٠ مسجد ، واسترد المسلمون معظم المساجد التي سلبت منهم أيام الاضطهاد ، وتنتشر المساجد في معظم المدن والقرى حيث تعيش الأقلية المسلمة ، ففي إقليم سرايفو ١٠٩٢ مسجداً ، وفي

(١) د. الكتاني - مصدر سابق ، ومجلة العربي صفر / ١٤٠٢ هـ ، وأخبار العالم الإسلامي ١٤١٠/١/٦ هـ .

(٢) د. الفاتح علي حسين مسئول الأقليات المسلمة في شرقي أوروبا بحث (١٩٩٠/٥/٢٦) .

مشيخة بريشتينا ٦٧٠ مسجداً ، وفي سكوبي ٣٧٢ مسجداً ، وفي مشيخة تيتوجراد ٧٦ مسجداً ، والباقي موزع في مناطق أخرى ، ولقد نشطت حركة بناء المساجد في الآونة الأخيرة قبل تفكك يوغسلافيا ، وفي البلاد حوالي ١٩٥٠ إماماً للمساجد .

ويقدر عدد المساجد قبل تفكك يوغسلافيا بأكثر من ٣٠٠٠ مسجد ومصلى . وتقوم الجمعية الإسلامية اليوغسلافية ببناء حوالي ٧٠ مسجداً سنوياً « كان هذا قبل تفكك يوغسلافيا » ولقد تجاوز عدد الأئمة ثلاثة آلاف في هذه الفترة ^(١) . غير أن هذه المساجد لم تسلم من تدمير الصرب في حروبهم ضد المسلمين .

التعليم الديني قبل تفكك يوغسلافيا :

يتعلم الطفل المسلم مبادئ الإسلام والقرآن الكريم في الكتاتيب ، فحسب إحصاء ١٣٩١ هـ - ١٩٧١ م كان بمدارس تحفيظ القرآن الكريم حوالي ١٢٠ ألف طفل ، وكان بسرايفو ٥٦٩ مدرسة ابتدائية (كتاباً) ، وفي بريشتينا ١٢٥ مدرسة ابتدائية إسلامية (كتاباً) ، وفي سكوبي مدرسة ابتدائية ، وفي تيتوجراد مدرستان ابتدائيتان ، ولقد طور المسلمون مناهج التعليم الابتدائي من حيث المناهج والمعلمين ^(٢) .

وهناك عدد من المدارس المتوسطة والثانوية ، فتوجد مدرسة ثانوية إسلامية في مدينة سرايفو (مدرسة خسرو بك) وثانوية أخرى بمدينة بريشتينا ، كما توجد الكلية الإسلامية في سرايفو ، وقد افتتحت في سنة (١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧ م) ووضعت مناهجها وفقاً لنظم الكليات الإسلامية ، كما افتتح بها قسم للمرأة المسلمة ، ولقد ساهمت المملكة العربية السعودية في إقامة الكلية

(١) المصدر السابق، Journal, Vol.2، ومجلة العربي صفر ١٤٠٢ هـ وتقرير مجلس الجمعية الإسلامية زغرب سنة ١٩٨٣ م.

(٢) المصدر السابق.

الإسلامية في سرايفو ، وساهمت فيها رابطة العالم الإسلامي وبعض الدول الإسلامية ، وهناك مكتبة الغازي خسرو بك في سرايفو ، وهي من أشهر المكتبات الإسلامية وتضم الآلاف من الكتب باللغة العربية وكذلك بالتركية ، إلى جانب العديد من المخطوطات ^(١) . ولقد ترجمت معاني القرآن الكريم منذ فترة بعيدة إلى بعض اللغات اليوغسلافية ، وصدرت ترجمة حديثة للمعاني القرآنية وهي مترجمة عن اللغة العربية ، أما الطبقات القديمة فترجمت عن اللغة التركية ، وفي البلاد مدارس لإعداد الأئمة ^(٢) ، ولكن للأسف كل هذا التراث تعرض لتدمير الصرب في حربهم الشرسة المشتعلة حالياً .

المتطلبات :

لقد نشط المسلمون في إقامة المؤسسات الإسلامية وفي بناء المساجد والمدارس قبل تفكك يوغسلافيا ، لهذا تبرز المتطلبات في دعم هذه المؤسسات كتقديم المعونات المادية ، ومساعدة الأقلية المسلمة في تأسيس تعليم جامعي إسلامي ، خصوصاً وقد بدأت الكلية الإسلامية في سرايفو تأخذ مكانها في مجال التعليم الإسلامي منذ خمس سنوات ، وهذه فرصة نادرة ، لهذا ينبغي دعم هذا الاتجاه ، لتحسين الجيل الصاعد من أبناء المسلمين ضد موجات الإلحاد حتى يستعيد الإسلام وضعه الحقيقي بين المسلمين في المنطقة ، ومن المتطلبات حاجة المسلمين إلى المدرسين باللغة العربية ، وأيضاً دعم الدعاة والدعوة ، كذلك الحاجة إلى الكتب والدوريات الإسلامية ودعم وتصحيح مناهج التعليم الإسلامي ، ونتيجة للتدمير الذي أصاب المؤسسات الإسلامية في حرب الاستئصال العرقي والديني حالياً ، أصبحت البنية الأساسية للمؤسسات الإسلامية في حاجة ماسة إلى إعادة تكوينها .

(١) المصدر السابق . Journal . ومجلة العربي / صفر / ١٤٠٢ هـ .

(٢) صفوت السقا - المسلمون في يوغسلافيا ص ٦٣ .

الهيكل الإداري للطائفة الإسلامية :

قبل تفكك يوغسلافيا كان الهيكل الإداري للمسلمين يتمثل فيما يلي :

١- رئيس العلماء : هو الرئيس الديني الأعلى للطائفة المسلمة وينتخبه مجلس خاص مكون من :

أ- أعضاء المجلس الأعلى للطائفة المسلمة في يوغسلافيا « سابقاً » .

ب - مديري المدارس الدينية .

ج - رؤساء الهيئات الإسلامية وأعضائها .

٢- الرئاسة الإسلامية العليا في يوغسلافيا « سابقاً » ؛ وتتكون من رئيس العلماء رئيساً ، ورؤساء الرئاسات الدينية أعضاء ، و ٦ أعضاء ينتخبهم المجلس الأعلى .

٣- المجلس الأعلى للطائفة الإسلامية يضم ٣٥ عضواً تنتخبهم مجالس الطائفة الإسلامية .

الحرب الأهلية في يوغسلافيا :

لقد أصاب يوغسلافيا ما أصاب الكتلة الشيوعية من التفكك والانحيار ، فاشتعلت حرب أهلية في يوغسلافيا في النصف الثاني من عام ١٩٩١م ، فأعلنت جمهورية صربيا الحرب على جمهوريتي كرواتيا ، وسلوفينيا ، مما أدى إلى تدخل هيئة الأمم المتحدة ، ودول غرب أوروبا ، وتأثر بهذه الحرب مسلمو كرواتيا وسلوفينيا .

ولقد دفعت أحداث تسلط الصرب على الجمهوريات الأخرى في يوغسلافيا المسلمين في جمهورية البشناق والهرسك إلى توجيه نداء إلى العالم الإسلامي أكدوا فيه أنهم معرضون لخطر بالغ من جانب النزعات القومية التي تسود البلاد وتمزقها ، وقد وجه هذا النداء الشيخ يعقوب سليموسكي زعيم المسلمين إلى وزراء خارجية العالم الإسلامي . وقال : في حالة اندلاع قتال واسع النطاق سيكون المسلمون معرضين لهجمات لا ترحم . ونتيجة هذه

الأحداث دعا الحزب الإسلامي في البوسنة والهرسك إلى تأسيس جيش خاص بمسلمي يوغسلافيا لا سيما وأن المسلمين في هذه الجمهورية ينظرون إلى الجيش الصربي المعسكر في بلادهم على أنه جيش احتلال ، ودعا الحزب الإسلامي المسلمين في يوغسلافيا إلى الانضمام إلى الجيش الإسلامي ، وأيد تكوين هذا الجيش زعماء المسلمين اليوغسلاف ، ويرون أن تكوين جيش إسلامي يحمي مسلمي يوغسلافيا يعدّ أمراً ضرورياً ، وتسير الأحداث في يوغسلافيا إلى الانهيار والتفكك ، غير أنها تشير إلى ضرورة استقلال الجمهوريات اليوغسلافية ^(١) .

ولقد توالى عمليات استئصال ديني للمسلمين لم يسبق لها مثيل قام به الصرب في جمهورية البوسنة والهرسك ، ولقد خصصت الصفحات التالية لهذا الموضوع .

(١) أخبار العالم الإسلامي ١٤١٢/٣/٢ هـ، وأخبار العالم الإسلامي ١٤١٢/٥/١٩ هـ.

البوسنة والهرسك

تمهيد:

يمر المسلمون في البوسنة والهرسك بمأساة نادرة الحدوث في تاريخ البشرية، مأساة دامية من الاضطهاد، والقتل الجماعي، والتمثيل بجثث الموتى، شلالات من دماء الأبرياء تسيل على روابي أرض البوسنة والهرسك، وهتك لأعراض الحرائر من المسلمات، وتشويه لأجسامهن بعد ارتكاب جريمة الاغتصاب، وبقر لبطون الحوامل، وتدمير للبنية الأساسية لشعب آمن مسالم، وتهجير إجباري لمئات الألوف من الأطفال والنساء والشيوخ، وتغيير للبنية البشرية لمسلمي البوسنة والهرسك، وهدم لبيوت العبادة، وإبادة لحضارة وتراث استمر فيها قرون، إنها في مجملها حرب استتصال ديني وعرقي، هدفها إبادة المسلمين في أرض يعيش فيها الإسلام منذ أكثر من ٦ قرون.

وما أشبه اليوم بالأمس البعيد، فالصراع بين الكفر والإيمان يتكرر على مر العصور، فعندما أشرقت شمس الإسلام على الدنيا، برز الصراع بين الحق والباطل، وخلد هذا الذكر الحكيم في قوله تعالى:

﴿أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير﴾ صدق الله العظيم. (الحج: الآية ٣٩). والله ناصر الفئة المؤمنة بإذنه تعالى.

لقد أفسد الصرب في أرض الله، فدمروا، وأحرقوا بيوت الوادعين الآمنين، فهذا زعيمهم يأمر بتنفيذ سياسة الأرض المحروقة فيدمر الحرث والنسل، ويقتل الأبرياء، ويعبث بأرواح البشر، وصدق الحق عز وجل في قوله تعالى:

﴿وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها، ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد﴾ صدق الله العظيم. (البقرة: الآية ٢٠٥).

وهكذا يفسد الصرب في أرض الله وأخذتهم العزة بالإثم، لا يخشون الله تعالى ولا يخشون ضمير الإنسانية فيمزقون كيان الشعب الواحد، ويستولون على مقدراته، أمام أنظار المجتمع الدولي.

إن معاناة المسلمين في البوسنة والهرسك تزلزل ضمائر الشعوب، وتفتت قلوب المؤمنين، وقدر عطف وتأيد الشعوب على اختلاف أديانهم، ومللهم، فالمعاناة قاسية، والظلم صارخ، ونصرتهم أمر واجب على المجتمع العالمي خصوصاً المجتمع الإسلامي، فهو أحق بهذا تطبيقاً لحديث رسول العالمين عليه الصلاة والسلام:

«مثل المؤمنين في توادهم وتراحهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى» صدق الرسول الكريم عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم.

أيها القارئ الكريم في الصفحات القليلة التالية إسهامة متواضعة للتعريف بمشكلة البوسنة والهرسك، أسأل الله أن تكون فيها الفائدة في إلقاء بعض الضوء على معاناة هذا الشعب.

تقع جمهورية البوسنة والهرسك، وسط ما كان يعرف بيوغسلافيا، تحيط بها كرواتيا من الشمال والغرب وفويفودينا «إقليم تحت حكم الصرب» من الشمال الشرقي، وصربيا من الشرق، وإقليم سنجق، وجمهورية الجبل الأسود من الجنوب. والبوسنة والهرسك دولة حبيسة لا سواحل لها، ويفصلها عن بحر الأدرياتيك شريط ضيق يتبع كرواتيا. ويعرف البسناويون بالبشناق، والبوسنة كانت واحدة من جمهوريات ما كان يعرف بيوغسلافيا «سابقاً» وسكان البوسنة والهرسك حوالي ٤,٥ مليون نسمة، والكثافة العامة حوالي ٢٢١ نسمة في الكيلو متر المربع، وعاصمة الجمهورية سرايفو، ولقد اشتق اسم البوسنة من أحد الأنهار في أرضهم، وهو رافد لنهر سافا الذي يصب في نهر الدانوب، أما كلمة هرسك فمشتقة من لقب هرسك وتعني دوق أو حاكم مقاطعة، ويشكل المسلمون ما يقارب ٤٤٪ من السكان، والصرب ما يقارب ٣١٪، والكروات ١٧٪^(١).

(١) The World ALMANAC, 1993 ود. فكرت كارجيتش - مرجع سابق.

أرض البوسنة :

تبلغ مساحة جمهورية البوسنة والهرسك ما يقارب ٢٠ ألف ميل مربع ، وأرض البوسنة والهرسك مضرسة ، حيث تسودها الجبال والتلال ، وتجري فيها روافد عديدة لنهر سافا ، أبرزها نهر البوسنة بروافده العديدة ، وتبدأ منابعه بالقرب من مدينة سراييفو ، ويتجه شمالاً ليصب في نهر سافا . ومن أنهار أرض البوسنة والهرسك منابع نهر فرباس الذي يمر على مدينة بنياالوكا عاصمة صرب البوسنة ، وينتهي إلى نهر سافا ، وتنبع من أرض البوسنة روافد عدة لنهر درينا ، وتقع على أرض درينا مدينة جوارزدي البوسنية التي شهدت معارك ضارية في هجوم صربي أحاط بها خلال شهري (شوال وذي القعدة سنة ١٤١٤هـ - مارس وإبريل ١٩٩٤م) ويتجه نهر درينا إلى الشمال ليصب في نهر سافا أحد روافد نهر الدانوب . كما ينبع من أرض البوسنة نهر ترتقا الذي يخترق قطاع دلماشيا - التابع لكرواتيا - ويصب في بحر الأدرياتيك ، وتقع عليه مدينة موستار «عاصمة الهرسك» . ويتراوح ارتفاع جبال البوسنة والهرسك بين ١٥٠٠ متر و ٢٢٠٠ متر، ويزداد الارتفاع في الجنوب والوسط وتنحدر الأرض تدريجياً نحو الشمال إلى حوض نهر سافا ، كما تنحدر بشدة نحو الغرب والجنوب الغربي إلى سواحل بحر الأدرياتيك .

المناخ والنشاط البشري :

مناخ البوسنة والهرسك قاري شديد البرودة في الشتاء ، خصوصاً على المرتفعات؛ حيث تنخفض الحرارة إلى درجات عدة تحت الصفر المئوي، وتتساقط الثلوج لفترات طويلة في فصل الشتاء ، وتعتدل الحرارة في نهاية الربيع وطيلة فصل الصيف ، غير أن المناطق المنخفضة تكون حارة في الصيف وتسقط عليها الأمطار في فصلي الشتاء والربيع . وتكتسي أرض البوسنة بالغابات والحشائش التي تشكل مراعى جيدة .

ويزرع السكان الذرة والقمح والشعير والشوفان كمحاصيل أساسية . وإلى

جانبها الخضر والفاكهة، وتتكون ثروتها الحيوانية من الماعز والأغنام والأبقار، أما بالنسبة للثروات المعدنية فهناك الفحم، والحديد الخام والبوكسيت، وبالنسبة للصناعات، فهناك بعض الصناعات الخفيفة مثل الغزل والنسيج، وبعض الصناعات المعدنية. وإجمالاً فإن الاقتصاد يقوم على الزراعة والرعي بدرجة كبيرة، ولقد قام الصرب بتدمير موارد الإقليم وبنيتة الأساسية.

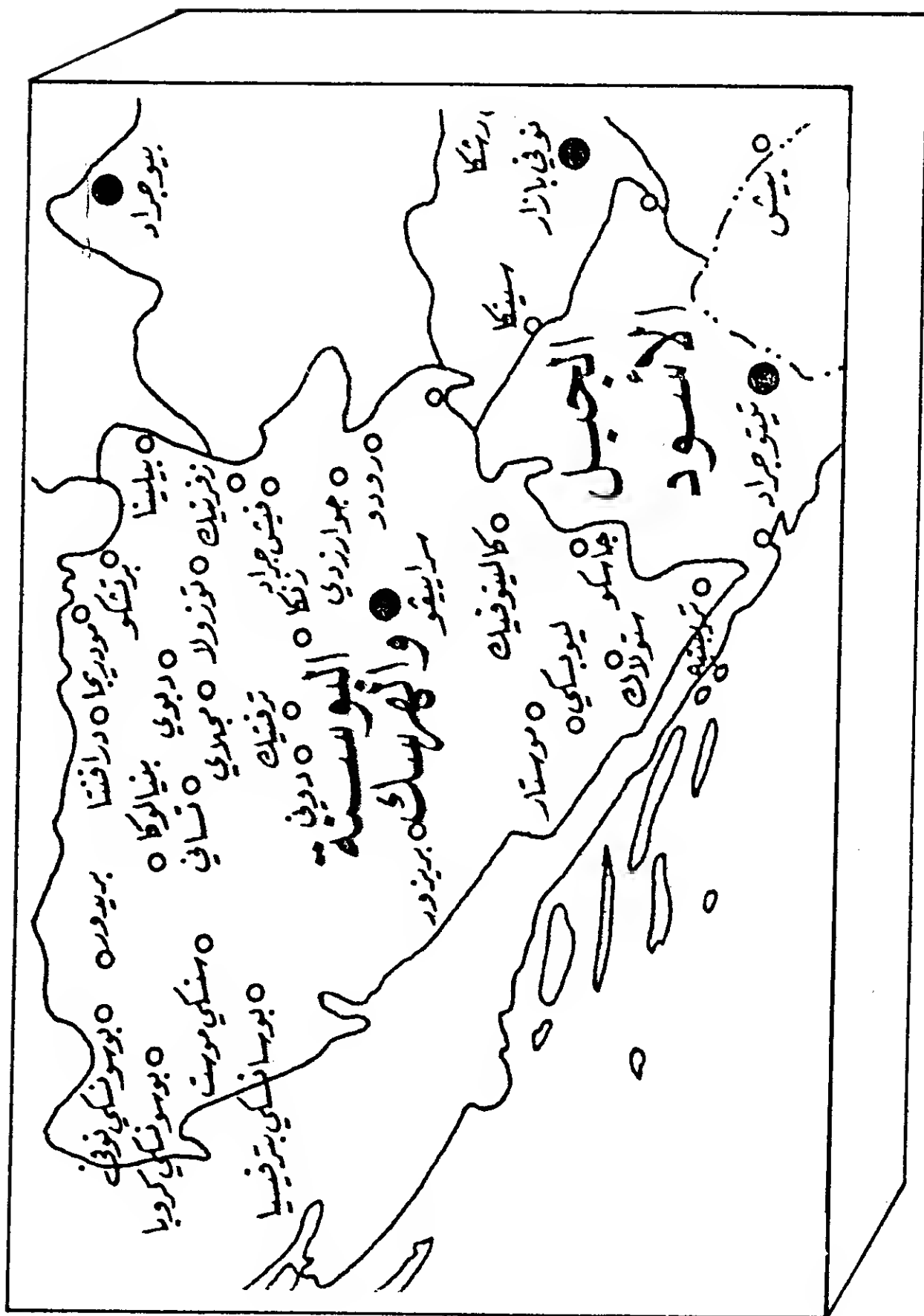
العمق التاريخي للبوسنة:

يعيش البشناقيون في منطقتهم الحالية « البوسنة والهرسك » منذ قرون عديدة، وكان وصولهم إليها نتيجة هجرة « سلافية » قدمت من الشمال ، من منطقة حوض نهر « الفولجا » ، وكان من بينهم مسلمون اعتنقوا العقيدة الإسلامية في موطنهم الأصلي . وجدير بالذكر أن الإسلام وصل إلى منطقة حوض نهر الفولجا في عهد الأمويين وفي العصر العباسي الأول ، فليس غريباً أن يكون من « البشناق » من اعتنق الإسلام - في وطنهم الأول قبل هجرتهم إلى البلقان ، وقبل وصول الأتراك العثمانيين إلى المنطقة . وانتشر الإسلام بين أهلها ، وشكل « البشناق » دولة لهم في المنطقة الجبلية بين الكروات الكاثوليك والصرب الأرثوذكس ، وظهرت هذه الدولة في أواخر القرن الثاني عشر الميلادي، وكانت مقسمة إلى «بانات» أي مقاطعات واعتنق حكامها المذهب النصراني «البوغوميلي»، واشتد الصراع بين البوغوميليين، وأصحاب المذاهب النصرانية الأخرى، وفي القرن الرابع عشر الميلادي ظهر أحد الأمراء في القطاع الجنوبي الشرقي من منطقة البوسنة الحالية وطلب حماية الدولة الرومانية، وتزعم هذا الأمير طائفة الهرسك^(١)، وخضعت لحكم المجر بين سنتي ١٠٠٠ م - ١٢٠٠ م - ثم تكون اتحاد بين البوسنيين والهرسك في مملكة واحدة في نهاية القرن الرابع عشر وحتى النصف الثاني من

(١) الرابطة الإسلامية - عدد خاص عن البوسنة والهرسك محرم ١٤١٤ هـ والرسالة الإسلامية ذو الحجة ١٤١٤ هـ، ود. فكرت - المرجع السابق.

القرن الخامس عشر الميلادي، وظل هذا الاتحاد حتى دخول الأتراك أرض البوسنة والهرسك.

لذلك كانت منطقة «البشناق والهرسك» محل نزاع بين الصرب والكروات، وكان من بين البشناقيين نصارى، تأثروا بإخوانهم من البشناق المسلمين، ومن ثم نشأت كنيسة ومذهب نصراني جديد، وعُرفت بالكنيسة البشناقية كما سبق، واضطهد الصرب والكروات هذه الكنيسة بسبب مذهبها الذي رفض التعميد، وتقديس البشر، ونتيجة اضطهاد البشناق مذهبياً استنجدوا بالدولة العثمانية، واعتنق من تبقى منهم الإسلام بعد وصول الأتراك إلى منطقتهم.



وصول الأتراك العثمانيين إلى بلاد البشناق :

كان أول وصول الأتراك إلى البلقان بين سنتي : (٧٥٤ هـ - ٧٥٥ هـ / ١٣٥٣ م - ١٣٥٤ م) حيث وصلوا إلى شبه جزيرة جاليبولي ، وتقدموا في البلقان وهزموا التحالف المسيحي في سنة (٧٦٧ هـ / ١٣٦٥ م) قرب أدرنة ، وسيطروا على مقدونيا ، وحاول الصرب والبلغار إقامة تحالف آخر ضد العثمانيين ، لكن العثمانيون هزموا هذا التحالف في سنة (٧٧٣ هـ - ١٣٧١ م) ثم بدأ اتحاد الإمارات الصربية الشمالية تحالفه للوقوف ضد العثمانيين ، ولكنهم هزموا في معركة كوسوفو (٧٨٨ هـ - ١٣٨٦ م) ، وضمت الدولة العثمانية أراضي الصرب وكان آخرها يوجراد في سنة (٨٥٧ هـ - ١٤٥٢ م) . ، ولا زال الصرب يتذكرون معركة كوسوفو ، ويدفع البشناق ثمنها عبر مراحل التاريخ حتى الآن ، فحرب الاستقلال الديني التي تدور رحاها حالياً ، ما هي إلا حلقة من الحلقات المستمرة للبطش الصربي بالبشناق ، الذين لا ذنب لهم فيما حدث ؛ فلم يشتركوا في معركة كوسوفو ، ولم يدخل الأتراك بلاد البشناق إلا في سنة (٨٦٨ هـ - ١٤٦٣ م) - أي بعد معركة كوسوفو بحوالي ٧٣ سنة - وبوصول العثمانيين إلى بلاد البشناق والهرسك أقبل السكان على الإسلام فدخلوا فيه أفواجا ، وأخذت بلاد البشناق والهرسك تكتسي بالطابع الإسلامي ، وتحولت البوسنة والهرسك إلى ولاية عثمانية ، وحكم الأتراك البوسنة على أساس الأحكام الشرعية الإسلامية والقوانين العثمانية ونهضت الدعوة الإسلامية في المنطقة ونشب صراع بين العثمانيين والنمسا ، وبين العثمانيين والبنادقة «إيطاليون» ، واستمر مدة طويلة . ودارت الحروب على أرض البشناق ، ولما هزم الأتراك في نهاية هذا الصراع أحرق الجيش النمساوي بقيادة الأمير يوجين مدينة سراييفو «سراي بشناق» في سنة ١١٠٩ هـ / ١٦٩٧ م ، وتراجع الأتراك عن البوسنة والهرسك^(١) .

(١) د. محمد السيد غلاب ، مرجع سابق - والرابطة الإسلامية جمادى الآخر ١٤١٣ والرسالة الإسلامية الحجة ١٤١٢ هـ .

احتلال النمسا للمنطقة :

بدأ احتلال النمسا للمنطقة بعد تراجع النفوذ العثماني ، واحتلوا بلاد الصرب والبشناق والهرسك ، ودافع البشناق عن دولتهم ضد الدول المجاورة الطامعة فيها ، خصوصاً بعد انسحاب العثمانيين ، وفي مؤتمر القسطنطينية تم الاعتراف بالحكم الذاتي لإقليم « البشناق والهرسك » وكذلك في معاهدة سان ستفانو ، وفي معاهدة بودابست وفي مؤتمر برلين سنة (١٢٩٥ هـ - ١٨٧٨ م) ، ولكن في سنة (١٣٢٦ هـ - ١٩٠٨ م) « قررت النمسا ضم إقليم البشناق والهرسك إليها ، خشية أن يؤدي تطور الحركات القومية في البلقان إلى انضمام البوسنة والهرسك إلى الصرب ، واستيلاء الصرب عليها لتحقيق مشروع صربيا الكبرى ، التي كانت تسعى إليها صربيا بمساعدة روسيا وتأييدها ، ونال البشناق والهرسك الكثير من البطش والتنكيل في أثناء حكم النمسا .

ونشطت الحركات السرية التي شكلها الصربيون ضد النمسا ، وقامت حرب البلقان في سنة (١٣٣١ هـ - ١٩١٢ م) ، وزادت مساحة صربيا ، فأصبحت تحيط بالبوسنة والهرسك ، وشكلت صربيا حركة سرية ، في البوسنة ، وتمكنت هذه الحركة من اغتيال ولي عهد النمسا ، في أثناء زيارته لسراييفو ، وتم هذا في (١٣٣٣ هـ - ١٩١٤/٦/٢٨ م) ، وكان هذا الحادث الشرارة التي اشعلت نار الحرب العالمية الأولى .

وبعد انتهاء الحرب العالمية الأولى وهزيمة النمسا ، قامت دولة يوغسلافيا في سنة (١٣٣٧ هـ - ١٩١٨ م) ، وكان هذا تعبيراً عن طموحات الصرب لتحقيق صربيا الكبرى . وفي هذه المرحلة ، أعطت الدول المنتصرة في الحرب العالمية الأولى صربيا إقليم كوسوفو مكافأة لها لدخولها الحرب ضد العثمانيين ، وتعرض المسلمون في كوسوفو وسنجق للذبح والبطش مما أدى إلى هجرات جماعية للمسلمين ، كما تعرض المسلمون في شرق منطقة الهرسك إلى التعذيب والبطش فقتل ما يقارب ٣٠٠٠ مسلم ، وتواصلت حملات الإبادة

في كوسوفو ومقدونيا .

وفي سنة (١٣٤٨ هـ - ١٩٢٩ م) أطلق على الدولة الصربية ، مملكة الصرب والكروات والسلافين ، ثم تحول إلى يوغسلافيا « السلاف الجنوبيون » وحكمتها أسرة صربية ، ومارست الدولة الجديدة نوعاً من الهيمنة على القوميات الأخرى ، ونتج عن ذلك ظهور حركات سرية أدت إلى اغتيال ملك يوغسلافيا الصربي الإسكندر في (١٣٥٤ هـ - ١٩٣٤ م) ، واستمرت المنازعات العرقية حتى قامت الحرب العالمية الثانية ، وتم غزو الألمان ليوغسلافيا في سنة (١٣٦٠ هـ - ١٩٤١ م) ، وفي الفترة بين سنتي : (١٣٦٠ هـ - ١٣٦٤ هـ / ١٩٤١ م - ١٩٤٤ م) ، تعرض المسلمون لمذابح من جانب « الملشيات الصربية » (جيتيك) والملشيات الكرواتية (استاشا) وراح ضحية هذه الأحداث عشرات الألوف من المسلمين .

وفي سنة (١٣٦٤ هـ / ١٩٤٤ م) ، تمكن جوزيف بروز تيتو من انتزاع السلطة من الألمان ، وتمكن الشيوعيون من إعادة تكوين يوغسلافيا ، وأصبحت تتكون من ٦ جمهوريات هي : صربيا ، وكرواتيا ، وسلوفينيا ، والبوسنة والهرسك ، والجبل الأسود ، ومقدونيا ، هذا بالإضافة إلى أقاليم كوسوفو فويفودينا وسنجق ، وهكذا أصبحت البوسنة والهرسك جمهورية داخل الاتحاد اليوغسلافي ، وبعد انهيار الاتحاد السوفيتي ، و وفاة تيتو ، أصاب بناء يوغسلافيا الهش الانهيار والتفكك .

ففضلت كل من كرواتيا ، وسلوفينيا ، ومقدونيا ، والبوسنة والهرسك الاستقلال والانفصال عن الاتحاد المنهار ، ولم يبق من الإتحاد غير صربيا والجبل الأسود . وعندما أعلنت البوسنة والهرسك استقلالها بعد استفتاء شعبي في ١٩٩٢/٢/٢٩ م ^(١) - أخذ الصرب يدكون مدنها وقراها ، ويشنون حملات إبادة جماعية ، ويهتكون أعراض بناتها ونسائها ، أمام

(١) د. محمد السيد غلاب - البلدان الإسلامية ، والأقليات المسلمة ، والرابطة الإسلامية - جمادى الآخرة - ١٤١٣ هـ - ، والرسالة الإسلامية - ذي الحجة ١٤١٢ هـ .

أنظار العالم وعلى مرأى ومسمع من هيئة الأمم المتحدة ، فالجيش الاتحادي يحاصر مدن البوسنة والهرسك وقراها، والملشيات الصربية تنكل بالمسلمين من أبناء البوسنة والهرسك ، ولم يسلم من تنكيلهم الشيوخ والنساء والأطفال ، فكأنما كتب على البوسنة والهرسك أن تتحمل كل مشاكل شبه جزيرة البلقان المعقدة .

توالي الأحداث :

ترجع الأحداث إلى سنة (١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م) بمناسبة مرور ٦٠٠ سنة على هزيمة الصرب أمام جيوش الدولة العثمانية ، وقتل (لازار) أمير الصرب ، فبهذه المناسبة أخرج سلوبودان ميلو سفيتش ديكتاتور الصرب عظام « لازار » من قبره ، ووضعها في تابوت ، وأمر بالمرور به في جميع أنحاء يوغسلافيا « سابقاً » خصوصاً في المناطق التي يسكنها الصرب ، ليذكرهم بهزيمة وقعت منذ ٦٠٠ سنة ، وليبث فيهم الحقد الأسود ضد المسلمين في شتى أنحاء يوغسلافيا المنهارة ، وتحول هذا الحقد إلى مظاهرات تطالب بالانتقام وهكذا بدأت مأساة المسلمين الحالية في جمهوريات يوغسلافيا « السابقة » بدأت بمسرحية دبرها ديكتاتور الصرب .

وبدأت المأساة بالمسلمين في إقليم كوسوفو ، المجاور لحدود ألبانيا ، ويخضع لحكم الصرب ، ولقد شعر المسلمون في الإقليم بالحنة القادمة إليهم، فوجهوا نداءات الاستغاثة إلى العالم ، وبدأت عمليات البطش بقيادة ديكتاتور الصرب في سنة (١٤٠٩ هـ / ١٩٨٩ م) ، وبدأت المأساة بالقبض على زعماء المسلمين والزج بعشرات الآلاف من المسلمين في سجون الصرب، وتصعدت عمليات البطش فقتل آلاف من المسلمين ، ثم أجل ديكتاتور الصرب عمليات الإبادة حين فراغه من مسلمي البوسنة والهرسك .

أحلام ديكتاتور الصرب :

يحلم الديكتاتور سلويدان زعيم الصرب بأن يحقق هدفين :

أولهما : توحيد جمهوريات يوغسلافيا المنهارة تحت سلطة الصرب ، ولقد اصطدم هذا الحلم باعتراف دول العالم باستقلال كرواتيا وسلوفينيا ، بعد أن مرت كرواتيا بقتال مرير خاضته ضد بربرية الصرب ، ووقف مجلس الأمن ضد طغيان الصرب ، فتحول حلم الديكتاتور إلى السيطرة على كل الأقاليم التي يسكنها الصرب في شتى أنحاء يوغسلافيا « سابقاً » لكي يحقق قيام دولة الصرب الكبرى ، هذا هدف للدكتاتور .

والهدف الثاني انبعث من الحقد والانتقام بسبب هزيمة مضى عليها ٦٠٠ سنة ، ولكي يحقق هذا تحول إلى قتل المسلمين ، وتعذيبهم وتدمير مدنهم وقراهم ، وجاء دور البوسنة والهرسك ، وبعد البوسنة والهرسك سيتوجه الديكتاتور الصربي إلى إقليمي كوسوفو وسنجق وغيرها ، ليطش بالمسلمين ويستأصلهم .

مأساة البوسنة والهرسك :

في سنة ١٤١٠هـ / ١٩٩٠ م . جرت أول انتخابات ديمقراطية في يوغسلافيا « سابقاً » ونتج عن هذه الانتخابات فوز الأحزاب القومية في كل جمهورية ، حيث تكون تلك القومية هي السائدة ، والذي يعنينا في هذا المجال الانتخابات التي جرت في تلك الفترة في البوسنة والهرسك ، وكانت نتيجتها حصول الحزب الإسلامي بقيادة علي عزت بيكوفتش على ٣٧٪ ، وحصل الحزب الصربي على ٣١٪ ، والحزب الكرواتي على ١٧٪ ، وتشكلت حكومة من الأحزاب الثلاثة ، واختير علي عزت رئيساً للجمهورية ، وتوزعت المناصب الحكومية على الأحزاب حسب حصتها من نتائج الانتخابات ، وتلا هذه الفترة إعلان استقلال الجمهوريات التي شكلت

اتحاد يوغسلافيا السابقة .

وكان هذا ضد أحلام الصرب في تكوين صربيا الكبرى ، فأعلنت صربيا الحرب على الجمهوريتين ، ورأى المسلمون في البوسنة والهرسك أنهم أمام أمرين ؛ إما إجراء استفتاء شعبي للحصول على الاستقلال ، وإما أن تبقى البوسنة والهرسك تحت نفوذ الصرب وتنضم إلى الصرب الكبرى ، فاختارت الجمهورية إجراء استفتاء شعبي في ٢٩/٢/١٩٩٢ م ، وقاطع صرب البوسنة الاستفتاء ، وكانت نتيجة الاستفتاء أن وافق ٦٤٪ من الشعب على انفصال البوسنة والهرسك ، وهنا بدأت السلسلة الصربية الدموية تتوالى أحداثها ^(١).

ووجه الديكتاتور سلوبودان الجيش المركزي لحصار جمهورية البوسنة والهرسك ليشن عليها حرب إبادة بضرب المدن والقرى البوسنية وتعاون مع رادفان كاراديفتش زعيم صرب البوسنة ، واستغل تخاذل الدول الغربية عن الوقوف في وجهه وأصبح أمر المسلمين في البوسنة والهرسك مؤلماً ، فالجيش المركزي يحاصر مدنها وقراها ، ويفرض عليهم حصاراً حديدياً حتى لا تصلهم إمدادات الغوث أو المساعدة من العالم الخارجي ، وترك المليشيات الصربية تقوم بمهمة الإبادة والمذابح ، وقتل الأطفال والشيوخ ، والاعتداء على أعراض المسلمات ، وبقر بطون الحوامل منهن ، فالجوع يفتك بهم نتيجة الحصار المضروب حولهم ، والمليشيات الصربية تبطش وتقتل وتعذب ، وتنتهك الأعراض ، ومدفعية الجيش المركزي التي تحاصر مدنها وقراها تقذفهم ببوابل من القنابل ، وتذك ييوتهم ، فالمرت يمحيط بهم من كل فج ، وتتوالى الأحداث .

أحداث سنة ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م :

في شهر إبريل سنة ١٩٩٢م الموافق لشهر رمضان المبارك عام ١٤١٢ هـ

(١) الرابطة الإسلامية - جمادى الآخرة ١٤١٣ هـ .

بعد أن أعلنت البوسنة والهرسك استقلالها ، بدأ حصار الصرب للبوسنة والهرسك ، وبدأت مدفعية وصواريخ الجيش المركزي الصربي تقذف سرايفو قصفاً عنيفاً ، وكان الصرب يركزون على المساجد والمؤسسات الإسلامية ، وعلى الأحياء القديمة في المدينة حيث التراث الإسلامي^(١) .

في شهر ذي القعدة ١٤١٢ هـ الموافق لشهر مايو سنة ١٩٩٢ م ، جاء بيان الشيخ أحمد صالح جوالا كوفيتش رئيس المشيخة الدينية الإسلامية بالبوسنة والهرسك معبراً عن الأحداث الدامية ، فذكر أن الصربيين هاجموا مدن بوسانسكا كروبا وبها أغلبية مسلمة تقدر بما يقارب ٤٠ ألف نسمة فهدم الصرب سبعة مساجد ، وسقط عدد كبير من شهداء المسلمين ونقلوا العديد منهم إلى معسكرات الإبادة الجماعية ، وانتقل هجوم الصرب إلى ما جاورها من المناطق الإسلامية وإلى جونيدس في منطقة الهرسك ، وأحرقوا أقدم مسجد في مدينة فوجا « المسجد السلطاني » ومقر الجماعة الإسلامية في فوجا ، وأغلبية سكانها من المسلمين يقارب عددهم ٢٠ ألفاً ، وأشعلوا فيها النيران ، وقصفوا مدينة موستار عاصمة منطقة الهرسك وهدموا ١٨ مسجداً ، ونتج عن قصف الصرب لهذه المدن قتل أعداد كبيرة من المسلمين العزل .

وفي ذي القعدة ١٤١٢ هـ أيضاً صرح رئيس البوسنة والهرسك علي عزت فقال: « إن المسلمين في البوسنة والهرسك يتعرضون لدمار وخراب ، خصوصاً في العاصمة سرايفو ، فالقوات الصربية تشن هجوماً بالأسلحة الثقيلة عليها » . وجاء في بيانات وكالات الأنباء ، أن الجيش الفيدرالي يشن غارات جوية على البوسنة والهرسك ، فأصبح القذف الصربي من الجو والأرض ، وقصفت أهدافاً مدنية عديدة ، وذكرت الصحف في ذي القعدة (١٤١٢ هـ / مايو ١٩٩٢ م) أن الصرب قصفوا سبع مدن في البوسنة

(١) الأهرام ١٠/٨/١٩٩٢ ، ومصادر متعددة من الصحافة الإسلامية والعربية .

والهرسك ، وقد تم إحراق الكثير من القرى الإسلامية ، هذا بالإضافة إلى سرايفو ، وكانت حصيلة القتال في البوسنة والهرسك في نهاية شهر مايو ٢٠٠ ألف قتيل وجريح ، ومليون مشرد خلال شهرين من القتال الصربي ضد المسلمين العزل.

وشهدت أحداث أواخر شهر ذي الحجة ١٤١٢هـ / مايو ١٩٩٢ م خطة لتقسيم البوسنة والهرسك بين الصرب والكروات ، وذلك بعد أن انتهى الصرب من تغيير البنية السكانية في هذه الجمهورية ، فلقد فر عدد كبير من سكانها ، مما جعل نسبة المسلمين تنخفض بصورة واضحة ، وأن الصرب والكروات اتفقوا على هذا التقسيم في اجتماع سري عقد بالنمسا ، وحملت نفس الأخبار القصف العنيف للبوسنة والهرسك ، مما دمر العديد من المنازل والمساجد ، واعتقلت ملشيات الصرب عشرات الآلاف من مسلمي البوسنة والهرسك ^(١).

وشهدت البوسنة والهرسك في شهر ذي الحجة ١٤١٢ هـ / يونيو ١٩٩٢م أحداثاً أعنف مما شهدته في الشهور السابقة ، فلقد زاد القصف عنفاً من مدفعية الصرب المحاصرة لمدن البوسنة والهرسك ، واتبع الجيش الفيدرالي سياسة الأرض المحروقة وذلك في أثناء انسحابه من البوسنة والهرسك ، فهدموا أعداداً كبيرة من المساجد والمؤسسات الإسلامية ، وأشعلوا الحرائق في كثير منها ، واستغلوا مكبرات الصوت الموجودة بالمساجد فأذاعوا منها أغانيهم القومية للاستهزاء بمشاعر المسلمين ، وشهدت سرايفو والمدن البوسنية المحاصرة عشرات الآلاف من جثث الموتى ، كما شهدت حرق المكتبات الإسلامية ، وشهدت نهاية شهر ذي الحجة ١٤١٢ هـ / يونيو ١٩٩٢ م قتل وجرح ٢٠٠ ألف من البوسنة والهرسك ، كحصيلة للأحداث الدامية في الشهور السابقة .

(١) أخبار العالم الإسلامي العدد ١٢٦٢ والعدد ١٢٦٣ ، السنة ٢٧ .

القصص تحكي مأساة المسلمين المعذنين في البوسنة والهرسك ، ودماء المؤمنين تروي أرض وطنهم ، ودموع العذارى تحكي بشاعة انتهاك الأعراض، فالحوامل تبقر بطونهن ، وأسر تذبح بكامل أفرادها ، ويمثل بجثثها ثم يرسم الصليب على جبهات الشهداء ، وهكذا ترتكب المثلثات الصربية ، أو ما يسمى « بالصقور البيضاء الصربية » مذابح لم يشهدها البوسنيون عبر تاريخهم، إن مذابحهم تتم مقرونة بشرب الخمر ، فذبح المسلم عقيدة عندهم تعلموها في المدارس والكنائس ، فالكنائس عندهم أوحى لهؤلاء القتلة أن عملية ذبح المسلم عندما تكون مقرونة بشرب النبيذ « أمر يجلب مرضاة الرب »، فكلية اللاهوت المسيحية في صربيا تقر هذا ، وتدرسه لمن سيكونون قساوسة ، وفي سرايفو وزع الحزب القومي الصربي منشورات تحمل شعار التنصير أو الذبح ! وكذلك فعلوا في المدن التي تم احتلالها ، لقد بلغت الوحشية الصربية مداها في سفك دماء المسلمين ، فيقومون بذبح المسلمين وقطع رؤوسهم ويلعبون بها كرة القدم في الشوارع ، وييقرون بطون الحوامل ويضعون القطط الحية مكان الأجنة ، ويقصفون طواير الجوعى وهم يتسلمون مواد الإغاثة ، أمر يندى له جبين البشرية .

أحداث سنة ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م :

وهكذا تمر الشهور والبطش لا يتوقف ، فيأتي شهر المحرم من سنة (١٤١٣ هـ / يوليو ١٩٩٢ م) ، والقتل والتشريد لمسلمي البوسنة والهرسك مستمر ، مذابح جماعية ، عشرات الآلاف من الأسرى الذين يتركون في المعسكرات الصربية حتى يموتوا جوعاً ، هتك الأعراض بالمئات ، عذاب بالجملة ، أبناء يرون الآباء والأمهات يذبحون أمام أعينهم فيصابون بالجنون ، ويقيم الصرب محاكم عسكرية ميدانية لإعدام العلماء وأئمة المساجد في الشوارع ، وهكذا امتلأت مقابر البوسنة والهرسك بجثث المسلمين ، وانتشرت في الشوارع جثث الضحايا الذين وصلت حصيلتهم إلى ما يقارب

الأربعين ألف قتيل .

وفي (٢٣/٢/١٤١٣ هـ / ١/٨/١٩٩٢ م) تحمل الأنباء قصف سرايفو بالمدفعية والصواريخ الصربية ، وإعلان رادفان كاراديفتش زعيم الصرب في البوسنة والهرسك عن تقسيمها بين الصرب والكروات ، لكي يكتمل الجانب الآخر من الحرب وهو « الحرب النفسية »^(١) .

وفي (٥/٢/١٤١٣ هـ / ٣/٨/١٩٩٢ م) كشفت التقارير الأمريكية ، عن أن الصرب أقاموا معسكرات اعتقال للمسلمين في البوسنة والهرسك ، ويتركونهم يموتون جوعاً ، وذلك في معسكر أومارسكا في شمال غربي البوسنة ، ومعسكر بركو في شمال شرقي البوسنة ، بل أضافت هذه التقارير « أن هناك ٤٥ معسكراً في أنحاء البوسنة » تمتلئ بعشرات الآلاف من المسلمين »^(٢) .

وفي (١٤/٢/١٤١٣ هـ / ١٢/٨/١٩٩٢ م) هاجم الصرب مدينة بوسانسكي حيث ٧ آلاف مسلم ، وتعرض العديد من سكان المدينة للذبح من قبل المليشيات الصربية ، وكان عدد المهاجرين في هذا اليوم قد وصل إلى ٢٨ ألف مهاجر ، وفي (١٦/٢/١٤١٣ هـ / ١٥/٨/١٩٩٢ م) أعلن ديكتاتور البوسنة والهرسك أنه سيحول البلاد إلى بؤرة للجحيم إذا استخدمت هيئة الأمم القوة لتوصيل معونات الإغاثة لمسلمي البوسنة والهرسك ، وحتى هذا التاريخ استولى الصرب على ٧٠٪ من جمهورية البوسنة والهرسك^(٣) .

وحملت أخبار يوم (٢١/٣/١٤١٣ هـ / ١٩/٨/١٩٩٢ م) ، أنباء الصرب وهم يدمرون كل ما هو إسلامي بشراسة ، كما اغتصبوا ١٠٠ سيدة

(١) الأهرام ١٤١٣/٢/٣ هـ ، والأهرام ١٤١٣/٢/٥ هـ و ١٩٩٢/٨/٣ .

(٢) الأهرام ١٤١٣/٢/١٤ هـ و ١٩٩٢/٨/١ .

(٣) جريدة الوفد - ١٤١٣/٣/٤ هـ عن الفينشال تايمز البريطانية .

مسلمة في بلدة روجاتيكا ، وتعاقب على اغتصابهن جنود الصرب لمدة ٧ أيام بصورة يندى لها جبين الإنسانية ، ونقلت الصحف هذا الخبر المحزن عن صحيفة الفايننشال تايمز البريطانية ، وشهدت بهذا السيدة مليجا انما نوفتش ، وهي طبيبة من البوسنة والهرسك ، وذلك في اللجنة النسائية التابعة لهيئة الإغاثة الإسلامية العالمية بمدينة جدة في يوم (١٤١٢/١٢/٢٤ هـ) ، بل سردت مأساة شعب البوسنة والهرسك .

ونقلت جريدة الوفد عن مصادر أمريكية ، أنه تمت عمليات إعدام جماعية للمسلمين في البوسنة والهرسك ، كذلك عمليات إعدام جماعية ضد بنات المسلمين المعتقلات في معسكرات الصرب في البوسنة والهرسك ، كما أن المعتقلين يموتون من الجوع والتعذيب . ولم تسلم من عدوانهم قبور المسلمين ، ولقد رفع الصرب شعار « اقتلوا الأئمة والعلماء المسلمين » .

وأكدت التقارير الصادرة عن الكونغرس الأمريكي ، أن الحملة الصربية لطرد المسلمين من البوسنة والهرسك أسفرت عن إخلاء ٧٠٪ من أراضي الجمهورية ، وأن القوات الصربية ارتكبت أعمالاً وحشية واسعة النطاق ، وذلك في أثناء عمليات الطرد الجماعي . ولقد شهدت بهذا الصحف الغربية ، فقالت صحيفة الجارديان اللندنية: إن ما يحدث في البوسنة والهرسك هو حرب إبادة ، وشهدت بهذا أيضاً جريدة الأوبزيرفر البريطانية ، وذكرت الجريدة أن البوسنة والهرسك تشهد حرباً عنصرية ضد المسلمين ، فلقد دمر في سرايفو والقرى القريبة منها أكثر من ١٥٠٠ مسجد .

وأوردت جريدة « المسلمون » عن مراسلها في البوسنة والهرسك قصصاً دامية عن قتل جماعي وهتك للأعراض ، وبقر بطون الحوامل ، قصصاً محزنة تحمل ملامح الهلاك والدمار في البوسنة والهرسك ، فكل يوم يأتي بجديد من مأساة يشهدها العالم ، ملحمة من العذاب والقتل والتشريد وهتك للأعراض على مرأى ومسمع من الهيئات الدولية ، وتحمل أخبار الثلاثاء

(٣/٤/١٤١٣ هـ / ٢٩/٩/١٩٩٢ م) نبأ تقرير مقدم إلى هيئة الأمم المتحدة من الولايات المتحدة يؤكد أن الصرب قتلوا في أحد معسكرات الاعتقال ٣٠٠٠ أسير من البوسنة والهرسك أغلبهم من المسلمين ، وأخفى الصرب جثثهم في إحدى حظائر الماشية ولقد تم اكتشاف مقابر جماعية عثر فيها على ٢٠٠ جثة بالقرب من مدينة موستار ، عاصمة مقاطعة الهرسك ، كما ارتكبت مجازر ضد المسلمين بعد سقوط مدينة بوسانسكي برود التي تربط بين شمال البوسنة والهرسك وجنوبها ، وتعرضت المنطقة إلى الاستتصال الديني.

احتلال مدينة يايثسا :

ما زالت المأساة تتوالى في البوسنة والهرسك ، فلقد احتلت القوات الصربية مدينة يايثسا ، وذلك بعد صمود دام أكثر من ٥ شهور ، ولقد قدم المسلمون آلاف الشهداء ، وخرج السكان العزل في طابور بلغ طوله أكثر من ١٦ كيلومتراً ، يضم الشيوخ والنساء والأطفال ، عشرات الآلاف من المهاجرين فروا من مذابح الصرب التي روعت الشيوخ والأطفال .

نتائج بربرية الصرب :

منذ أن أعلنت البوسنة والهرسك نتيجة الاستفتاء الشعبي في فبراير ١٩٩٢ م - الذي جاء مؤيداً لانفصال البوسنة والهرسك عن الكيان اليوغسلافي المنهار، اشتعلت معارك الاستتصال العرقي والديني لمسلمي البوسنة والهرسك في حرب بربرية يشنها الصرب على كل ما هو بوسني في قرى ومدن المسلمين في البوسنة والهرسك ، ولم تسلم القرى والمدن من وحشية الصرب وبربريتهم التي لم يحدث لها مثيل في الحروب ، فالقتل والذبح أمور عادية يرتكبها الصرب دون هوادة ، واستتصال المسلمين من مناطقهم أمر عادي ، وإشاعة الرعب والذعر بين الأطفال والشيوخ والنساء لإجبارهم على الهجرة وترك وطنهم خطة يطبقها الصرب بكل دقة أمام العالم كل العالم ، وهتك

الأعراض والاعتداء على الحرائر من المسلمات أمر مألوف عند هؤلاء المتبربرين، وبقر بطون الحوامل والسفاح طابع صربي موروث ، وتدمير المساجد والآثار الإسلامية والبنية الأساسية لشعب البوسنة والهرسك سمة مميزة لهمجية الصرب، وتدمير المساكن ، وحرق القرى ، والبطش والتعذيب والتكيل طابع مميز لهمجيتهم ، وقد نتج عن هذه الحرب القذرة - بإجماع آراء الهيئات الدولية والعالم كله - آثار يندى لها جبين الإنسانية وفيما يلي نتائج هذه الاستتصال لشعب يقيم في أرضه منذ عشرات القرون .

١- المهاجرون من الجحيم :

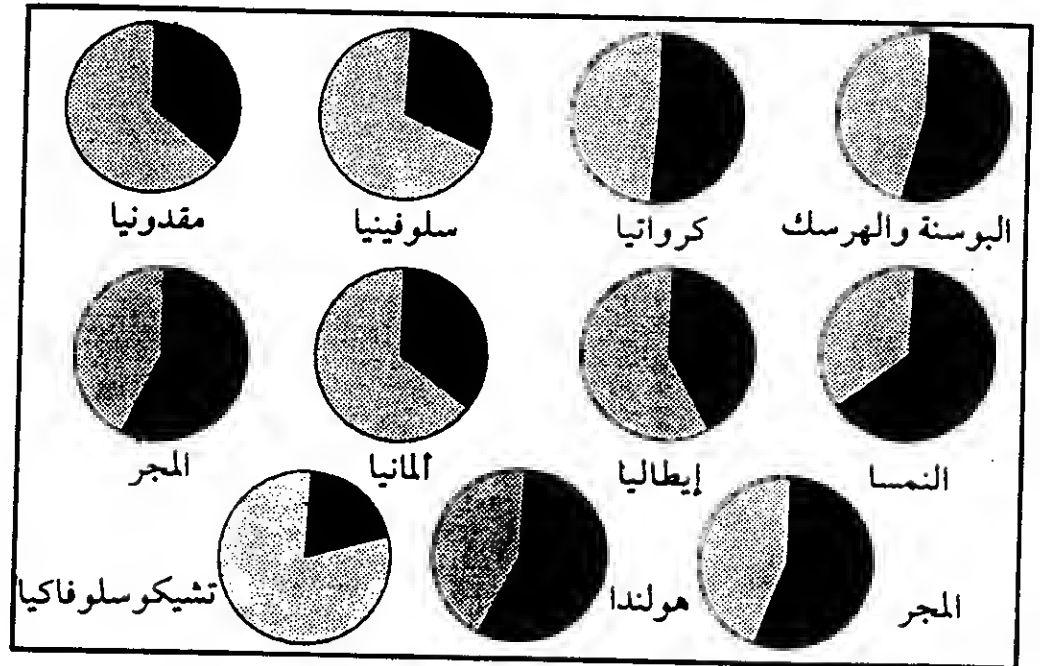
لقد أدت الحرب الدائرة في البوسنة والهرسك إلى وجود أكبر أزمة للاجئين منذ الحرب العالمية الثانية ، فجاء في تقرير وزيرة الهجرة الإيطالية « مارجريتا بونيفا » أن عدد المهاجرين من البوسنة والهرسك وصل إلى ١,٤٠٠,٠٠٠ مهاجر ومهاجرة في الشهور الأولى منذ اندلاع الحرب ، ووصلت مئات الآلاف منهم إلى كرواتيا ، وسلوفينيا ، وإيطاليا ، ووصلت مئات الآلاف منهم إلى دول أخرى مجاورة ليوغسلافيا المنهارة ، وأورد التقرير أن ما يقارب ٣٠٠ ألف طفل في سرايفو وحدها مشردون ، منهم ١٠ آلاف طفل يعيشون في حالة مأساوية لا يجدون ما يأكلون^(١) ، هذه حصيلة بربرية الصرب التي أسفرت عن الاستيلاء على ٧٠٪ من أراضي البوسنة والهرسك، فوق جثث القتلى وتدمير المساكن ودور العبادة والمستشفيات التي تأوي الجرحى . حصيلة مخزية ، وعدوان مدمر على شعب أعزل تحدث في نهاية القرن العشرين !! - وفي دراسة لمنظمة الإذاعات الإسلامية قدرت عدد اللاجئين من البوسنة والهرسك بما يقارب ١,١٩٧,٠٠٠ مهاجر ومهاجرة^(٢) .

(١) المسلمون ١٤١٢/١١/١٣ هـ - الأهرام ١٤١٢/١٢/١٧ - ١٩٩٢/٦/١٨ .

(٢) الرابطة الإسلامية العدد ٣٣٨ - رمضان ١٤١٣ هـ - مارس ١٩٩٣ .

وهذا بيان بعدد اللاجئين في البوسنة والهرسك والدول الأوروبية:

الدولة	عدد اللاجئين	عدد الأطفال
البوسنة والهرسك	٧٥٠,٠٠٠	٤٠٠,٠٠٠
كرواتيا	٤٥٠,٠٠٠	٢٣٠,٠٠٠
سلوفينيا	٨٠,٠٠٠	٢٥,٠٠٠
مقدونيا	١١,٠٠٠	٤,٠٠٠
النمسا	٧٠,٠٠٠	٤٥,٠٠٠
إيطاليا	١٢,٠٠٠	٥,٠٠٠
ألمانيا	١٠,٠٠٠	٣,٥٠٠
المجر	٧,٠٠٠	٤,٠٠٠
هولندا	٤,٥٠٠	٢,٥٠٠
تشيكوسلوفاكيا	٥٠٠	١٠٠
المجموع	١,٣٩٥,٠٠٠	٧١٨,١٠٠



دوائر بيانية توضح نسبة الأطفال إلى المجموع الكلي لعدد اللاجئين في كل دولة على حدة.

اللاجئين من غير الأطفال



الأطفال



هذه الأرقام في أواخر عام ١٩٩٢ م . ويتضح أن الرقم الإجمالي يقارب ١,٤ مليون نسمة كما ذكرت وزيرة الهجرة الإيطالية (مارجرىتا بونيفا) .

ولقد تغير الرقم الإجمالي بسبب تدفق اللاجئين الذين هربوا من جحيم الصرب ، ويقدر العدد في أوائل عام ١٩٩٣ م ، كما قدرته منظمة إذاعات الدول الإسلامية في دراسة لها عن البوسنة والهرسك ١,٨٩٧,٠٠٠ نسمة^(١) . ونتيجة لاستمرار معارك الاستئصال الديني التي يشنها الصرب على مدن وقرى البوسنة والهرسك زاد عدد اللاجئين فوصل إلى ٢ مليون كما قدره الشيخ صالح جولا كوفيتش مفتي البوسنة في حديث لجريدة العالم الإسلامي^(٢) ، وتستمر المأساة ، ويتزايد عدد اللاجئين خصوصاً بعد ضرب الصرب لمدينة جوارازدي التي تضم ٦٥ ألف نسمة ، ولا شك في أن أغلبهم هرب من عملية الاستئصال التي يشنها الصرب لتحقيق هدفهم في إعادة تشكيل البنية البشرية للبوسنة والهرسك . ويضم هذا العدد مهاجرين كروات .

٢- اغتصاب المسلمات من أبشع جرائم الصرب :

لقد برهنت حرب البوسنة والهرسك على بربرية الصرب وهمجيتهم التي لا نظير لها في التاريخ ، فلقد أثبتوا للعالم أنهم شعب من مصاصي الدماء ، والقتلة ، تجردوا من كل المبادئ والقيم والخلق ، فسجلهم في البوسنة يزخر بالقتل والذبح وإراقة دماء الأبرياء ؛ يستوي في هذا الأطفال والشيخوخ والنساء . ويتبعون سياسة الأرض المحروقة في كل قرية أو بلدة أو مدينة يدخلونها ؛ فالخراب والدمار شعارهم ، والاستئصال العرقي والديني أبرز مبادئهم ، واغتصاب الحرائر من النساء والبنات من أهم سلوكياتهم . وليست هذه شهادة المسلمين وحدهم ، وإنما هي إدانة دولية شهد بها العالم ، ولم تسلم من هذه الجريمة البشعة بنات المسلمين ونسائهم من سن ٧ سنوات إلى

(١) منظمة إذاعات الدول الإسلامية - مسلمو البوسنة والهرسك - رمضان ١٤١٣ .

(٢) العالم الإسلامي ٢٢ محرم ١٤١٤ هـ .

سن ٦٠ سنة ، فلقد أصبح هتك معنويات المسلمين واستئصال بنيتهم البشرية والاقتصادية سلاحاً من أسلحة حرب الصرب ، لقد شهدت بذلك وسائل الإعلام الغربية ، بل شهدت بذلك الهيئات والمنظمات الدولية الرسمية وغير الرسمية، بل يشهد الصرب بذلك ويتفاخرون به، فلقد أعلنت الميليشيات الصربية عن اغتصاب أكثر من ١٥ ألف مسلمة في البوسنة والهرسك، وقدمت، كشف حساب بهذا جاء فيه ، أنه تم اغتصاب ٢٠٠ فتاة بين ٧ و ١٨ سنة ، و ٨ آلاف أعمارهن بين ١٨ - و ٣٥ سنة ، و ٦ آلاف امرأة مسلمة أعمارهن بين ٣٥ و ٥٠ سنة ، و ١٠٠٠ امرأة فوق ٥٠ سنة ، هذا كشف حساب قدمه الصرب وما هو إلا جزء من الواقع ، فلقد وصل عدد المغتصابات من المسلمات إلى ٤٠ ألفاً بين سن ٧ سنوات و ٥٠ سنة . حتى أواخر سنة ١٩٩٣ م ؛ هذا في بيان صربي كله صلافة وغرور دون خجل من بشريتهم .

وتتوالى أخبار قصص الاغتصاب المحزنة التي يندى لها جبين الإنسانية ، فهذا تقرير سري قدم إلى مجلس وزراء المجموعة الأوروبية - في أوائل عام ١٩٩٣م ومنتصفه - يذكر أن القوات الصربية اغتصبت أكثر من ٢٠ ألف فتاة وامرأة مسلمة ، وقد نشرته صحيفه « إندبندت » البريطانية ، وكان الاغتصاب أمام الآباء والأمهات ، والزوجات أمام أزواجهن ، والأمهات أمام أطفالهن^(١) .

وأعلن وزير خارجية إيرلندا « ديفيد أندروز » الذي شارك في بعثة التحقيق في جرائم الصرب: « إن الاغتصاب ارتكب بطرق تلحق بالضحايا أكبر قدر من المهانة والإذلال ، فأصبح الاغتصاب أداة حرب وليس نتاجاً جانبياً لها » .
هكذا تتوالى شهادات الجهات المحايدة في قضية الاغتصاب ، وأصدر الصرب فتوى تبيح اغتصاب المسلمات لجنودهم ، ولم يتوقف الأمر عند حد

(١) العالم الإسلامي - ١٤١٣/٧/٢٤ هـ .

الاغتصاب ، بل تعرية الضحايا من الملابس وقطع ثديهن ، وبقر بطون الحوامل ، والتمثيل بالأجنة ، هؤلاء هم الصرب ... قصص لا تنتهي من التنكيل والتعذيب والبطش ، وتتوالى التقارير المحزنة .

نشرت صحيفة « الجارديان » البريطانية لمراسلها في البوسنة والهرسك جرائم الاغتصاب كما رواها : تتم عملية الاغتصاب في المقاهي ، وفي المدارس الابتدائية ، وفي ورش النجارة ، والصالات الرياضية ، والمصانع ، وفي الفنادق ، وأورد المراسل ١٧ مكاناً في البوسنة والهرسك ترتكب فيها هذه الجرائم ، وهذا كشف للمراسل بمعسكرات الاغتصاب .

- ١- معسكر يوسانسكي جراديكا ٢- ورشة نجارة في ديب بيليا بالقرب من كوزارك ٣- ورشة نجارة في كوتور فاروس بالقرب من بنجالوكا ، ٤- منزل خاص في فيلا جيشي ، ٥- مقهى بيركو في دوبوي ، ٦- فندق ومقهى فستقاليا ، ٧- معرض للأثاث في كاباردو ، ٨- منازل في قرية بوليكونيكا ، ٩- مقهى سونيا في فوغوسكا ، ١٠- بيت للطلبة في حي فراكا بسرايفو ، ١١- منازل في سوالاك بالقرب من سرايفو ، ١٢- منزل للقساوسة الأرثوذكس في فرروجاتيكا ، ١٣- مدرسة ثانوية في روجاتيكا ، ١٤- فندق ديسيا في فيلينا فلاس في فشجراد ، ١٥ - مدرسة ابتدائية في فوكا ، ١٦ - مدرسة ابتدائية في كالينوفيك ، ١٧ - فندق في مليفينا ^(١) .

ولقد أدانت منظمة العفو الدولية جرائم الصرب للمسلمات في بيان لها في يناير ١٩٩٣ م ، ومن الأمور المخزية ما جاء في شهادة أحد النواب الألمان من أن الصرب كانوا يقومون بعمليات إجهاض للمسلمات ، ويضعون أجنة الكلاب في أرحامهن بعد قتلهن ، ونشرت صحيفة نيويورك تايمز تحقيقاً جاء فيه أن الملتشيات الصربية اغتصبت عدداً كبيراً من النساء والفتيات المسلمات ، ومن بين هؤلاء ١٥٠ فتاة مسلمة تعرضن لنوع رهيب من الاغتصاب في أثناء

(١) العالم الإسلامي ١٤١٣/٨/٣ هـ - ١٩٩٣/١/٢٥ م .

أسرهن ، إذ أجبرن على البقاء في المعتقل حتى تظهر عليهن أعراض الحمل ، وأجبرن على البقاء في الأسر تحت الحراسة إلى أن أصبح حملهن في حالة لا تسمح بالإجهاض ، ثم طردن بعد ذلك إلى سرايفو^(١) .

ووصلت قضية اغتصاب الصرب للمسلمات لهيئة الأمم المتحدة دون جدوى ، واستنكرت منظمة الصحة العالمية جرائم اغتصاب الصرب للمسلمات دون جدوى أيضاً ، وهكذا يواصل الصرب أبشع الجرائم في البوسنة والهرسك . ونتيجة هذه الجرائم البربرية كان اغتصاب ٤٠ ألف مسلمة حتى أواخر عام (١٤١٣ هـ / ١٩٩٣ م) . فأين الضمير العالمي ؟ ، وأين الهيئات الدولية ؟ بل أين المدافعون عن حقوق الإنسان ؟ وأين ...

٣- معسكرات الاعتقال :

حول الصرب معسكرات الاعتقال إلى مذابح لاستئصال المسلمين الأسرى ، وتحولت معسكرات الاعتقال إلى مجازر جماعية للمسلمين ، فلقد نقلت جريدة هيرالد تريبون الدولية ، أن الجندي الصربي بوريسلاف هيراك الذي وقع أسيراً في أيدي الجنود المسلمين قام بقتل ٢٩ مسلماً من بينهم ٤ أطفال أقل من ١٢ سنة وامرأتان مستتان وأربعة رجال ، كما قام بثماني عمليات اغتصاب ، ثم قتل النساء بعد اغتصابهن ، ووصف هيراك عمليات قتل جماعية قام بها الجنود الصرب في أحد المعسكرات القريبة من سرايفو ، وكيفية إخفاء الجثث في الغابات المحيطة بالمنطقة .

ونشرت جريدة « لوس أنجلوس تايمز » أحداث مجازر جماعية وقعت في مجمع مناجم فحم حجري ، حيث اقتاد الجنود الصرب آلاف المسلمين والكروات إلى داخل هذا المجمع الضخم ، وعلى مسافة غير بعيدة من مبنى المجمع يوجد مبنيان ، كانا يمثلان كابوساً مرعباً للضحايا ، يسمى المبنى الأول « الدار الحمراء » ولم يبق فيه سجين حي ، ويسمى المبنى الثاني

(١) الرابطة الإسلامية ، عدد خاص عن البوسنة والهرسك ، ربيع الأول ١٤١٤ هـ .

«البيت الأبيض» وفيه يتولى الحراس ضرب المساجين حتى يقضى عليهم . أما معسكر أومرسكا ، فقد ذكرت الجريدة أن شهود العيان ذكروا لمراسلها أن ألفاً من المسلمين قتلوا في هذا المعسكر ، ولكن الصليب الأحمر الدولي ذكر أن الرقم أكبر من ذلك ، فقدر العدد بما يقارب ألفين ، وكان الصرب يرغمون الأسرى على نقل جثث الضحايا . ولقد ذكر أحد الأسرى الذين عادوا من أومرسكا أنه كان ينقل يومياً ٢٥ جثة من الدار البيضاء في المعسكر المذكور ، وكان هذا المعسكر تحت قيادة « زيلكو ميهاجيك » الصربي ، وهكذا اختفى عشرات الآلاف من البوسنيين في معسكرات الاعتقال التي كانت مرحلة تمهيدية للقتل الجماعي .

وبلغ عدد المعتقلات ١٧٣ معسكراً منها ١٥٩ معسكراً للاعتقال في البوسنة والهرسك ، و١٤ معسكراً اعتقال في صربيا والجبل الأسود ، وضمت معسكرات الاعتقال أكثر من ٢٦٠,٠٠٠ شخص ، وكانت نسبة المسلمين في هذه المعتقلات أكثر من ٦٥٪ والباقي من الكروات ، وهذه قائمة ببعض أماكن المعتقلات وأعداد المعتقلين نشرتها جريدة الشرق الأوسط في ٢٩ صفر سنة ١٤١٣ هـ .

كشف بأماكن بعض المعتقلات البشعة للمسلمين في البوسنة

عدد المعتقلين	المكان	مسلسل
٢٥٠٠	بالي	١
٨٥٠	سرايفو - كولا	٢
٥٢٠	اليدذا - ستاري دوم جرافليا	٣
١٥٠	اليدذا - سوب	٤
٤٠٠	اليدذا - كرفيني كريسب	٥
٦٥٠	اليدذا - كامب لوزاني	٦
٧٤٠	راجلوفاك - معمل البترول	٧
٢٢٠٠	راجلوفاك - مركز التوزيع	٨
٧٣٠	راجلوفاك - كاسرانا يوتلي	٩
٢٥٠٠	راجلوفاك - المركز الرياضي	١٠
٩٥٠	فوجوكسكا - تنل كرفولا فيكي	١١
٦٢٠	فوجوكسكا - بنكر	١٢
١٧٥٠	فوجوكسكا - المركز الرياضي	١٣
٨٤٠	سيميدوفيش	١٤
٤٥٠	الياس ستوفاسكو (١)	١٥
٣٨٠	الياس ستوفاسكولا (٢)	١٦
٦٦٠	الياس ماجاسن	١٧
١٦٨٩٠		

٥٠٠	روجاتيكا - سلادرا	١٨
٢٥٠٠	فوكا	١٩
١٣٣٠	ذفورنيك	٢٠
٦٧٠	كاكو	٢١
١٣٨٠	لوزينكا	٢٢
١٤٠٠	أوزرين	٢٣
٨٠٠	ماجيفيكا	٢٤
٢٦٠٠	بيليكا	٢٥
٢٥٠٠	ماجينيكا (٢)	٢٦
١٤٢٠	سوكولاك	٢٧
٢٢٠٠	بلجراد (١)	٢٨
٢٥٠٠	بلجراد (٢)	٢٩
١٥٤٠	ن ي س	٣٠
٥٠٠٠	سوبوتيكا	٣١
٢٦٠٠	بربادور (المركز الرياضي)	٣٢
٩٨٠	بنيالوكا	٣٣
٣٨٠	هرشيچ نوفي	٣٤
٤٨٠	بربيولي	٣٥
٨٤٠	نيكسيك	٣٦
١٤٦٠	ساباك	٣٧
١٠٣٠	فيشجراد	٣٨
٣٤١١٠		

٩٠٠	براتوناس	٣٩
٧٠٠٠	أوجليجيفنك (١)	٤٠
٦٠٠	أوجليجيفنك (٢)	٤١
١٣٢٠	بيجلجنا	٤٢
١٤٩٠	تريينجي	٤٣
٧٦٠	سانسكي موس	٤٤
١٢٠٠	سيكوفيكي	٤٥
٨٦٠	دونجي فاكوف (١)	٤٦
٤٤٠	دونجي فاكوف (٢)	٤٧
٤٧٠٠	براكو	٤٨
٧٥٠	بودلوكوفي	٤٩
١١٠٠	بلاذوجي	٥٠
٢٣٠٠	روجاتيكا	٥١
٦٠	كالينوفيك (١)	٥٢
١٥٠	كالينوفيك (٢)	٥٣
٣٦٠٠	جرجيدور (١)	٥٤
١١٠٠٠	جرجيدور (٢)	٥٥
٧٢٠	جرجيدور (٣)	٥٦
٢٣٠٠	جرجيدور (٤)	٥٧
٤١٢٥٠		
٩٣٢٥٠		المجموع

تابع مسلسل جرائم الصرب :

٤- هدم المساجد والآثار الإسلامية :

لم يخطر ببال البشر أن يرتكب الصرب في يوغسلافيا السابقة هذه الجرائم البشعة والمآسي التي لم تشهد البشرية مثيلاً لها من القتل الجماعي وذبح المسلمين بصور يعجز الوصف عنها ، وحشد من بقوا أحياء في معسكرات الإبادة ينتظرون مصيرهم المحتوم على أيدي جزاري الصرب ، لم يخطر ببال البشر هذا الاغتصاب الجماعي لأعراض النسوة والفتيات من عمر الزهور إلى سن الشيخوخة ، لم يخطر بذهن الإنسانية أن يدمر الصرب كل ما هو مسلم من المدن والقرى الآمنة ، ولم يخطر في ظن مسلمي البوسنة والهرسك أن حضارتهم الإسلامية التي بنيت دعائمها في قرون عدة فوق أرض البلقان سوف تدمر بكاملها ، فإلى جانب حرق المنازل وتدميرها في القرى والمدن ، امتدت يد الإجرام لتدمر المساجد وبيوت العبادة والآثار الإسلامية من المدارس والمعاهد والمكتبات .. ببربرية ووحشية فاقت بربرية التتر والمغول ، هكذا حطم الصرب البنية الأساسية ، والتراث التاريخي والديني والثقافي في البوسنة والهرسك ، ولقد أصدر المكتب الإعلامي لحكومة البوسنة والهرسك كتاباً خاصاً عن المساجد والآثار التي دمرها الصرب منذ منتصف عام ١٩٩١م إلى منتصف عام ١٩٩٣ م ، كما أوردت النشرة الإخبارية (العدد ١٩) معلومات موثقة عن تدمير الصرب للمعالم التاريخية والثقافية في البوسنة والهرسك .

المساجد :

لقد دمر الصرب في الفترة من منتصف عام ١٩٩١ م - إلى منتصف عام ١٩٩٣ م - أكثر من ١٠٠ مسجد أثري تحمل تراث شعب البشناق المسلم لقرون عديدة ، دمر المتبربرون هذا التراث الذي لا يقدر بثمن ، التراث الذي يحمل آثار الأجيال الماضية ، ففي بلدة فوجا وحدها دمروا ١٧ مسجداً ، منها مسجد السلطان بايزيد الذي بني في سنة

١٥٠٠ م - ومن هذه المساجد أقدم مسجد بقي في البوسنة شيد عام ١٤٤٨ م . كما دمرت معظم مساجد سرايفو التي بنيت منذ القرن الخامس عشر حتى اندلاع همجية الصرب في الوقت الراهن ، ودمروا مساجد مدينة جورازدي التي تتعرض للتدمير في ذي القعدة (١٤١٤ هـ / إبريل ١٩٩٤ م) . كذلك مساجد مدينة توزلا ، ومساجد مدينة موستار (١٢ مسجداً) . ومساجد مدينة بنيالوكا ، ومساجد بلدة دوبي ، ومساجد مدن بوسنسكي برود ، وبوسنسكي نوفي ، ومساجد بلدة تازار ، ولم تسلم مساجد قرى ومدن البوسنة من التدمير .

لم يقتصر التدمير على المساجد ، وإنما امتدت الأيدي العابثة إلى الآثار الإسلامية ، فمن الآثار التي دمرت : المعهد الإسلامي المعروف بمدرسة محمد باشا ، ومدرسة الفقه الإسلامي التي بنيت سنة ١٨٨٧ م ، وكانت متحفاً للمدينة ، والكلية الإسلامية في سرايفو ، ورباط الخانقاه الذي يعود للقرن السادس عشر الميلادي ، ومدرسة الغازي خسرو بك في سرايفو التي بنيت في سنة (٩٣٤ هـ / ١٥٣٧ م) ، وتكية حاجي سنان في سرايفو التي بنيت في القرن السابع عشر الميلادي . كما لم تسلم شواهد القبور من تخريب الصرب . ومن أبشع جرائمهم جريمة تدمير معهد الدراسات الشرقية ، وهي جريمة ضد التراث والحضارة تضاف إلى سجلات تدميرهم للمساجد والآثار .

٥- معهد الدراسات الشرقية :

فلقد ورد خبر تدمير المعهد في نشرة خاصة أصدرها المكتب الإعلامي لجمهورية البوسنة والهرسك في (١٩٩٢ / ٦ / ٢ م) نشرة خاصة عن تدمير هذا المعهد ، ولقد أنشئ المعهد في (١٣٧٠ هـ / ١٩٥٠ م) - كمركز للعلم والبحث ، يهدف إلى جمع وحفظ الوثائق والمخطوطات العربية والتركية ، والفارسية ، والبوسنية ، ويضم المعهد مجموعة من المخطوطات عددها ٥٢٦٣ باللغات السابقة الذكر ، كما يضم ٧٠٠٠ وثيقة تتناول الفترة من القرن السادس عشر إلى القرن التاسع عشر ، ويضم المعهد بعض الفرمانات

السلطانية ، ووثائق الحكومة البوسنية . ومن مقتنيات المعهد ٢٠٠٠٠٠ وثيقة ترجع إلى إدارات الأقاليم ، كما تضم محتويات المعهد مكتبة المعهد والتي تعتبر واحدة من أشهر المكتبات المتخصصة ، وهكذا ضاعت ذخيرة قيمة من التراث الحضاري المكتوب نتيجة بربرية الصرب .

تابع مسلسل جرائم الصرب :

٦- أمثلة من المدن التي أصابها تدمير الصرب :

أنهار الدماء الزكية تتدفق على تلال وروابي أرض البوسنة والهرسك ، وتسبح فيها جثث الشهداء الأبرياء من الأطفال والنساء والشيوخ ، ويرتكب وحوش الصرب كل يوم مذابح تغذى بها روافد أنهار الدم الزكي المراق على أرض القتال والجهاد ، ويشهد بزوغ فجر كل يوم مأساة لشعب أعزل ... سلاحه الإيمان بعقيدته ووطنه ، والعالم من خلفه ينظر لما يحدث دون مبالاة، كأن أصل البوسنة والهرسك أناس من كوكب آخر ، جاءوا لغزو الأرض ، كأنهم غرباء عن كوكبنا ، وترك العالم للصرب حق إبادتهم بأبشع الوسائل وأخس الطرق ، كل يوم يأتي بجديد في ملحمة دموية لا تنتهي ، ولا كاشف لها إلا الله ، ولكم الله يا شعب البوسنة ، وهو المنتقم الجبار القاهر، الغالب المهيمن ، إن خذلكم الخلق فلن يخذلكم الخالق .

لم تتوقف روافد الدم الزكي بأيدي القتلة الفجرة ، لم تسلم من بطشهم قرية واحدة ، أو مدينة ساكنة ، حول المتبربرون الليل إلى جحيم ترتكب فيه المذابح تحت جناح الظلام وتتصاعد صرخات العذارى ، والأمهات الثكلى ... دموع تختلط بالدماء ، والقتلة لا يرحمون أطفالاً أبرياء لا ذنب لهم سوى أنهم ولدوا على أرض البلقان ، وشارك الجلادون من الصرب آباءهم في المهد الذي ترعرع فيه هؤلاء الأبرياء .

إن القرى والمدن في البوسنة والهرسك تعاني يومياً من قصف المدفعية والصواريخ والأسلحة الثقيلة الصربية ، بل إن بعض المدن والقرى تعاني من

القصف والتمشيط مرات عديدة يومياً، وبعضها يستمر قصفه دون انقطاع .

فتيجة التداخل العرقي في بنية يوغسلافيا السابقة احتلت الملشيات الصربية المواقع الاستراتيجية ، فأصبح التداخل يشمل البنية البشرية الأرضية ، يضاف إلى هذا التفوق في التسليح نتيجة استيلاء الصرب على أسلحة الجيش الفيدرالي في يوغسلافيا السابقة ، والإمدادات المتدفقة على الملشيات الصربية من جمهورية صربيا ، ومن روسيا ، ومن بعض الدول المجاورة لصربيا ؛ فالخطر على تصدير السلاح للأطراف المتنازعة في يوغسلافيا السابقة لا يطبق إلا على مسلمي البوسنة والهرسك ، وأما تطبيقه على الصرب فأمر نظري فقط ، لا يتجاوز الأوراق التي كتبت عليها قرارات حظر السلاح .

تتمتع جمهورية الصرب بجهات عدة منفتحة على جيرانها ، وبالمقابل نجد البوسنة والهرسك جمهورية حبيسة ليس لها روافد تطل بها على الخارج ؛ لذا يتعذر وصول الإمدادات من الأسلحة إليها ، وحتى لو أمكن ذلك ، فالملشيات الصربية تسيطر على مداخل الطرق بسيطرتها على المواقع الاستراتيجية لمدن وقرى البوسنة والهرسك ، ولقد نقلت وكالات الأنباء أخبار تعذر وصول المعونات الغذائية والأدوية ، وكل المساعدات الإنسانية لشعب البوسنة والهرسك بسبب تحكم الصرب في الطرق والممرات ، ونتج عن ذلك إلقاء المساعدات الإنسانية من الجو ، فكيف تصل إمدادات السلاح إلى البوسنيين ؟ هذا من الأمور الصعبة التي تجعل كفة الصرب راجحة في القتال ، يضاف إلى هذا نية الصرب المبيتة مسبقاً والاستعداد لهذه المذابح ، فادخروا كميات من السلاح تكفيهم لمواصلة الحرب لسنوات عدة . لهذا تصل أسلحة الصرب الثقيلة قرى ومدن البوسنة والهرسك . وهذه قائمة بالمدن التي دمر الصرب بنيتها الأساسية بشريا وعمرانياً ، وسوف يجد القارئ أن القائمة تشمل عدداً كبيراً من المدن تصل إلى ٢٣ مدينة ، عدا ما يستجد من عمليات التدمير لمدن وقرى أخرى ، فكل يوم تأتي الأنباء بالجديد من تدمير وتخريب وإبادة مدن البوسنة والهرسك .

١- سرايفو Sarajevo :

عاصمة جمهورية البوسنة والهرسك ، كان عدد سكانها قبل اشتعال الحرب المدمرة يقارب ٦٠٠ ألف نسمة ، وتتكون بنيتها البشرية من ٤٩٪ من المسلمين ، و ٧٪ من الكروات ، و ٢٨٪ من الصرب ، والباقي من قوميات مختلفة . نال سرايفو من التدمير والإبادة ما لم ينل مدينة أخرى ، لا داخل يوغسلافيا السابقة ولا خارجها حتى في الحرب العالمية الثانية ، فحتى أواخر عام (١٤١٣ هـ / اوائل عام ١٩٩٣ م) ، سقط على سرايفو ٢٥٠ ألف قذيفة ، يضاف إلى هذا ما ألقي عليها خلال عام (١٤١٣ هـ / ١٤١٤ هـ / ١٩٩٣ م) ، فلا شك في أنه ضعف الرقم السابق ، فدمر الصرب مساجدها ومنازلها ، فأصبحت خرابا تقتصر الحياة فيها على أولئك البؤساء الذين لم يستطيعوا الفرار من الجحيم ، فسرايفو ملحمة من البؤس والجحيم يطول الحديث عنها ، وهنا نطرح سؤالاً .. كم بقي من سكانها ؟ .. وماذا بقي من بنيتها الأساسية ... وكم بقي من مواردها ؟

وقد قدمت سرايفو الآلاف من الشهداء والجرحى .

٢- بنيا لوكا Banjaluka :

عاصمة ما يسمى بجمهورية صرب البوسنة والهرسك ومركز التخطيط للأعمال الفاشية ، والتنسيق لتدمير البوسنة والهرسك ، تسكنها أغلبية صربية ، وحصّة المسلمين ١٥٪ من سكانها الذين عددهم ١٠٠ ألف ، لم تسقط عليها قذيفة واحدة ، ارتكب الصرب فيها فظائع ضد المسلمين ، مما اضطرهم إلى الهجرة ، واستولى الصرب على ممتلكاتهم ومساكنهم ، يحكمها الحزب الصربي الديمقراطي المتطرف ، وضع الصرب المتفجرات في مساجد بنيالوكا ، ودمروها ، وفيها مساجد ترجع للقرن السادس عشر الميلادي ، من بينها جامع فرهاديا وهو من أجمل مساجد البلقان ، ولم يقتصر تخريب الصرب على هذا ، بل فجروا مقابر المسلمين ولم يبق بها شيء إسلامي .

٣- مدينة موستار Mostar

عاصمة مقاطعة الهرسك ، كان يسكنها ما يقارب ١٣٠ ألف نسمة أغلبهم من المسلمين « البشناق والهرسك » ومن سكانها ٣٤٪ من الهرسك ، و١٩٪ من الصرب ، دمر الصرب فيها ١٨ مسجداً ، وبعد أن حررها البشناق والهرسك وجدوا فيها كل شيء مدمراً ، ولم يبق منها شيء دون تدمير حتى جسرها القديم التاريخي .

٤- مدينة فوجا Foga

مدينة ذات أغلبية مسلمة ، يزيد عدد سكانها عن ٢٠ ألف نسمة ، عامل الصرب أهلها بوحشية لم يسبق لها نظير ، فسرقوا محتويات مساكنها ثم دمروها بالمتفجرات ثم أحرقوها ، فهرب بعض سكانها ، أما من بقوا منهم فقد تركوا وسط لهيب النيران ، ومن بقوا بعد ذلك على قيد الحياة فقد نحروا كما تنحر الشياه ، وكان من بين من ذبحوا أئمة المساجد وعلماء المسلمين ، واقتادوا من فر منهم إلى جمهورية الجبل الأسود شقيقة الصرب في هذه المهزلة .. قادهم أهل الجبل الأسود إلى معسكرات التعذيب ، واستخدموهم كدروع بشرية ، ولم يعرف مصير هؤلاء ، ودمر الصرب مساجد مدينة فوجا وكل آثارها الإسلامية ، فهذه المدينة ذات طابع إسلامي مميز ، ومعظم مساجدها بنيت في القرنين السادس عشر والسابع عشر ، وجملة ما دمره الصرب ١٧ مسجداً في هذه المدينة الصغيرة .

٥- مدينة زفورنيك Zvarnik

يسكنها أكثر من ٧٠ ألف مسلم وهم أغلبية ، دخلتها عصابات ملشيات الصرب ، وهم تحت تأثير الخمر ، بمساعدة الجيش الفيدرالي ، وقاموا بالتخريب والتدمير وحرق منازل المسلمين ، فقتلوا أكثر من ١٠٠٠ مسلم ، وفر السكان من الجحيم ، ومن تخلف أخذ إلى معسكرات الموت . وألقوا

بجث الضحايا في نهر درينا ، وأخذوا الأسرى إلى جهات غير معلومة ، وهدموا ثمانية مساجد . ولقد بلغ طول قافلة الهاريين من الجحيم عدة كيلومترات ، ولم تسلم القرى الإسلامية المجاورة للمدينة من مذابح الصرب ، فعثر في إحدى القرى على ٤٠ جثة متعفنة ، وقادوا الشباب لأعمال السخرية عند الصرب .

٦- مدينة بريدور Brijdor

يسكنها ما يقارب ١١٢ ألف نسمة نصفهم من المسلمين ، أي أكثر من ٥٠ ألف مسلم ، نالها من بطش الصرب ما نال غيرها ، تركت هذه المدينة تحت سيطرة ملشيات الصرب ، فأبادوا الكثير من مساكنها وسكانها .

٧- مدينة بيخاج Bihag

يسكنها أكثر من ٥٠ ألف مسلم ، وهم أغلبية سكان المدينة ، ولم يتوقع المسلمون أن يصلها القصف المدفعي الصربي لأنها على أطراف جمهورية الصرب من ناحية كرواتيا ، ولقد استمر قصف الصرب للمدينة أياماً عدة لتكبيد المسلمين عدداً أكبر من الضحايا ، واستغلت الملشيات الصربية وفود عدد كبير من اللاجئين إلى هذه المدينة ، وقاموا بعمليات القتل والاغتيال ، ففر اللاجئون مع من سلم من سكان المدينة إلى أرض أخرى .

٨- مدينة بوسانسكا كروبا

يعيش فيها ما يقارب ٤٠ ألف مسلم ، ويشكلون أغلبية سكان المدينة ، هاجمها الصرب ، وهدموا ٧ مساجد بها ، وسقط العديد من الشهداء من تركيز القصف المدفعي ، ودمروا معظم القرى حول المدينة لا سيما قرية عريوشا ، لأنها مسقط رأس العالم الإسلامي جمال الدين حاوشفج رحمه الله .

٩ - مدينة بيلينا Bijeljina

كان يعيش في هذه المدينة ما يقارب ٤٠ ألف مسلم ، ارتكب الصرب فيها مجازر في ثاني أيام عيد الفطر ، وما زالت إلى الآن تعاني من جرائم الصرب ، فقد جلبوا إليها تعزيزات من صربيا والجبل الأسود ، ودمروا أغلب مساجدها ، وذبحوا عدداً غير معلوم من المسلمين .

١٠ - مدينة سربرنيسا Srebrenica

كان يسكنها ما يقارب ٣٠ ألف مسلم ، وقد تعرضت لقصف مدفعي ثقيل مدة طويلة ثم دخلها الصرب ، وأشعلوا النار بالمساجد ومئات المساكن التي تخص المسلمين ، ونهبوا ممتلكات المسلمين ، وما زالوا يحاصرونها ..

١١ - مدينة براتوناس Bratunac

يقدر عدد المسلمين فيها بما يقارب ٢٥ ألف نسمة ، شهدت من بربرية الصرب ما لم تشهده مدينة أخرى ، فكلها سقطت في أيديهم ، خصوصاً العصابات التي يطلق عليها ملشيات الصرب ، وفي بادئ الأمر تم توقيع اتفاقية بين المسلمين والجيش الفيدرالي اليوغسلافي السابق ، ونصّت الاتفاقية على أن يسلم المسلمون أسلحتهم للجيش ، ويقوم الجيش بحماية المدينة من الملشيات الصربية ، وكانت خدعة ، وما أكثر خدع الصرب ! فجمع الجيش الفيدرالي المسلمين في الملاعب الرياضية وتم تصنيفهم إلى مجموعتين ، الأولى ساقوها إلى معسكرات التعذيب ، والأخرى بقيت للاستجواب والتعذيب ، وخلال ٣ أيام قتلوا ٣٠٠ مسلم وألقوا بجثثهم في النهر ، وتم الحصول على جثث النساء والبنات وهن عاريات ، وقد اغتصبن عنوة ، كما تم العثور على عدد كبير من جثث الأطفال دون سن الخامسة ، وقتلوا إمام المدينة ، كما حل تدمير الصرب بالقرى المحيطة بالمدينة .

١٢- مدينة برجكو Brcko

كان يعيش في هذه المدينة ٢٠ ألف مسلم ، حاصرها الصرب ، وطلبوا من جميع المسلمين الخروج وساعدهم في ذلك الجيش الفيدرالي ، وبعد خروجهم قتلوا أكثر من ألف من المسلمين ، وقادوا مجموعة منهم إلى معسكرات التعذيب ، وهرب باقي السكان .

١٣- مدينة فيشجراد Visegrad

كان بها ما يقارب ١٧ ألف مسلم ، قصفها الصرب بالمدفعية الثقيلة ، وبعد قصفها بمدفعية الجيش الفيدرالي اليوغسلافي (السابق) تعرضت المدينة والقرى المحيطة بها إلى حملات تخريب وسرقات ، فخرجت الجموع هاربة من الجحيم الصربي إلى القرى والمدن ، ووصل عدد منهم إلى مدينة جورازدي « تتعرض الآن للقصف العنيف » ، أما الذين لم يستطيعوا الهرب من جحيم الصرب ، وتخلفوا بالمدينة ، جمعهم الصرب بما فيهم الشيوخ والجرحى والمرضى وزجوا بهم في معسكرات الجحيم ، وقبضوا على الأئمة وذبحوا بعضهم ومثلوا بجثثهم .

١٤- مدينة جورازدي Gorazde

عند كتابة هذه السطور تتعرض المدينة لهجوم صربي عنيف ، بعد أن دمر الصرب ٥١ قرية محيطة بهذه المدينة ، وقد ذكرت وكالات الأنباء أن سكان المدينة يصلون إلى ما يقارب ٦٥ ألف نسمة ، أغلبهم من المسلمين ، ولقد لجأت إليها جماعات كبيرة مهاجرة من بطش الصرب ، ووصل الزحف الصربي المدمر إلى المدينة ، وقصف المستشفى وسيطر على النصف الشرقي من المدينة ، وأخذ يقصف نصفها الغربي ، وقد أثار هذا العمل الإجرامي المجتمع الدولي ، وطالب قائد قوات الأمم المتحدة بقصف القوات الصربية بطيران حلف الأطلسي ، ولكن مفوض هيئة الأمم المتحدة « الكاشي » أخذ يفاوض الصرب على وقف القتال ، ورفض القصف الجوي ، وعقد مع

الصرب اتفاقية لوقف القتال بحضور المندوب الروسي ، ولم يجف مداد الاتفاقية حتى كان الصرب يدكون المدينة وضربوا بالاتفاقية عرض الحائط ، مما أخرج موقف هيئة الأمم أمام العالم ، ولقد استغل الصرب الأمم المتحدة كستار لتنفيذ أهدافهم ، وهذه ليست المرة الأولى التي ينقض فيها الصرب اتفاقيات وقف القتال ، فربما تكون المرة الخامسة والعشرين .

ويعيش في هذه المدينة وفي وسطها ٦٥ ألف نسمة من الهاربين من الجحيم نصفهم من المسلمين ، ولا زال الموقف الدولي في تردد هل يتم قصف القوات الصربية بطيران الأطلنطي ؟ وجدير بالذكر أن جورازدي تتعرض لقصف الصرب منذ شهور عدة ، وأخيراً هدد حلف الأطلنطي بقصف الصرب في جورازدي من الجو ، وحدد لهم مهلة موقوتة ، وتفيد الأنباء أن الصرب أخذوا في التراجع نتيجة هذا التهديد .

١٥- مدينة كالينوفيك Kalinovik

يعيش فيها ما يقارب ١٥ ألف مسلم ، يقاومون التحدي الصربي ، وقد قصفها الصرب مرات عديدة من الثكنة العسكرية المجاورة لها ، وطلبوا من المسلمين إخلاء المدينة ، وحاصروهم لمنع وصول الأغذية والمساعدات ، لإجبارهم على ترك المدينة . ولكن سكان المدينة رفضوا تركها ، واستبسلا في الدفاع عنها لحمايتها من الفساد والبطش الصربي .

١٦- مدينة فلاسنيسا Vlasenica

يسكنها ما يقارب ١٥ ألف مسلم ، ويشكلون أغلب سكانها ، وفي هذه المدينة جرت معارك طاحنة ، أدت إلى تخريب مساكن المسلمين ، وهدم جميع مساكنها ، وعشر الصحفيون الذين مروا بالمدينة على عشرات الجثث على قارعة الطريق ، وخرب الصرب القرى المحيطة بالمدينة وأرغموا من بقي حياً من أهلها على الهروب ، وتم القبض عليهم ورحلوا إلى معسكرات الموت ، وقتل الصرب الأئمة ومثلوا بجثثهم ، وتم العثور في إحدى القرى

المجاورة للمدينة على ٤٠٠ جثة .

١٧- مدينة درفتنا Drventa

عدد سكانها يقارب ٥٦ ألف نسمة ، ويزيد عدد المسلمين فيها عن ١٥ ألف نسمة ، يعيشون تحت قهر الأغلبية ، يرزح المسلمون تحت الضغط الصربي - شأنهم في هذا شأن المسلمين في المدن التي يشكلون فيها أقلية - ويحاصر الصرب مداخل المدينة ، ويتشرون في الأحياء المسلمة ، لإرغام المسلمين على الهجرة الإجبارية ، وإلا فالمصير معروف .

١٨- مدينة سانسكي موست Sanski Most

تسكنها أغلبية مسلمة تعدادها أكثر من ٢٧ ألف نسمة ، وتعرضت لمذابح الصرب ، فلقد تم العثور على جثث ٨٠٠ مسلم ذبحوا في مجزرة جماعية ، وحرق الصرب ممتلكاتهم ، وأرغموا ١٥ ألفاً على الهجرة الإجبارية .

١٩- مدينة بوسانسكي برود Posanski Brad

عدد سكانها يقارب ٣٤ ألف نسمة ، يشكل المسلمون بها أقلية تقارب ١٥٪ ، توجد على حدود كرواتيا ، وأغلب سكانها من الكروات ، وبها أقلية صربية ، وبالرغم من هذا حاصرها الجيش الفيدرالي الذي يتحكم فيه الصرب ، وقصفها ، واستعمل الطائرات في ضربها ، ودخلها الجيش الفيدرالي والملشيات الصربية ، وألقوا القبض على الشخصيات البارزة ، ثم نسفوا الجسور التي تربطها بالبوسنة والهرسك ، ودمروا أغلب مساجدها ، ونقل الصرب عدداً من الأطفال والنساء وذبحوهم ، وفعلوا هذا في القرى المحيطة بالمدينة .

٢٠- مدينة مدريجا Modriga

عدد سكانها يقارب ٣٥ ألف نسمة ، ثلثهم تقريباً من المسلمين ، و٣٥٪

من الصرب ، و ٢٧٪ من الكروات ، عاشت هذه المدينة في بداية الحرب أياماً صعبة بسبب حصار الصرب لها مدة شهرين ، وركز الصرب عليها القصف المدفعي ، فأحرقوا الأحياء المسلمة والكرواتية ، ودمروا بها ٥ مساجد. وكذلك نالت القرى المسلمة المجاورة المصير نفسه ، وعندما حررت هذه المدينة عثر على عدد كبير من جثث النسوة والبنات وهن عاريات ، كما عثر على ٦٠٠ جثة ، كما عثر على جثث لأطفال وقد شوهدت ووضعت في خلاط للأسمنت .

٢١- مدينة بوسانسكي بتروفسيا Bosanski Petrovac

عدد سكانها يقارب ١٥ ألفاً ، يشكل المسلمون ١٨٪ منهم ، وأغلب سكانها من الصرب الذين فرضوا سيطرتهم على المدينة ، وجندوا المسلمين للعمل في صفوف الجيش الصربي ، وزجوا بهم في الصفوف الأمامية ، وهاجر المسلمون من المدينة إلى المدن المجاورة مثل بيناج ، وكلوج .

٢٢- مدينة جاينيجا

يسكنها ما يقارب ٤ آلاف نسمة ، سيطر عليها الصرب وأخرجوا جميع المسلمين ، واستولوا على ممتلكاتهم ، وأسكنوا الصرب محلهم ، دخلها صحفيون أجانب وشاهدوا عشرات الجثث التي مثل الصرب بها . وقد استولى الصرب على القرى المجاورة .

٢٣- مدينة دوبوى Dobo

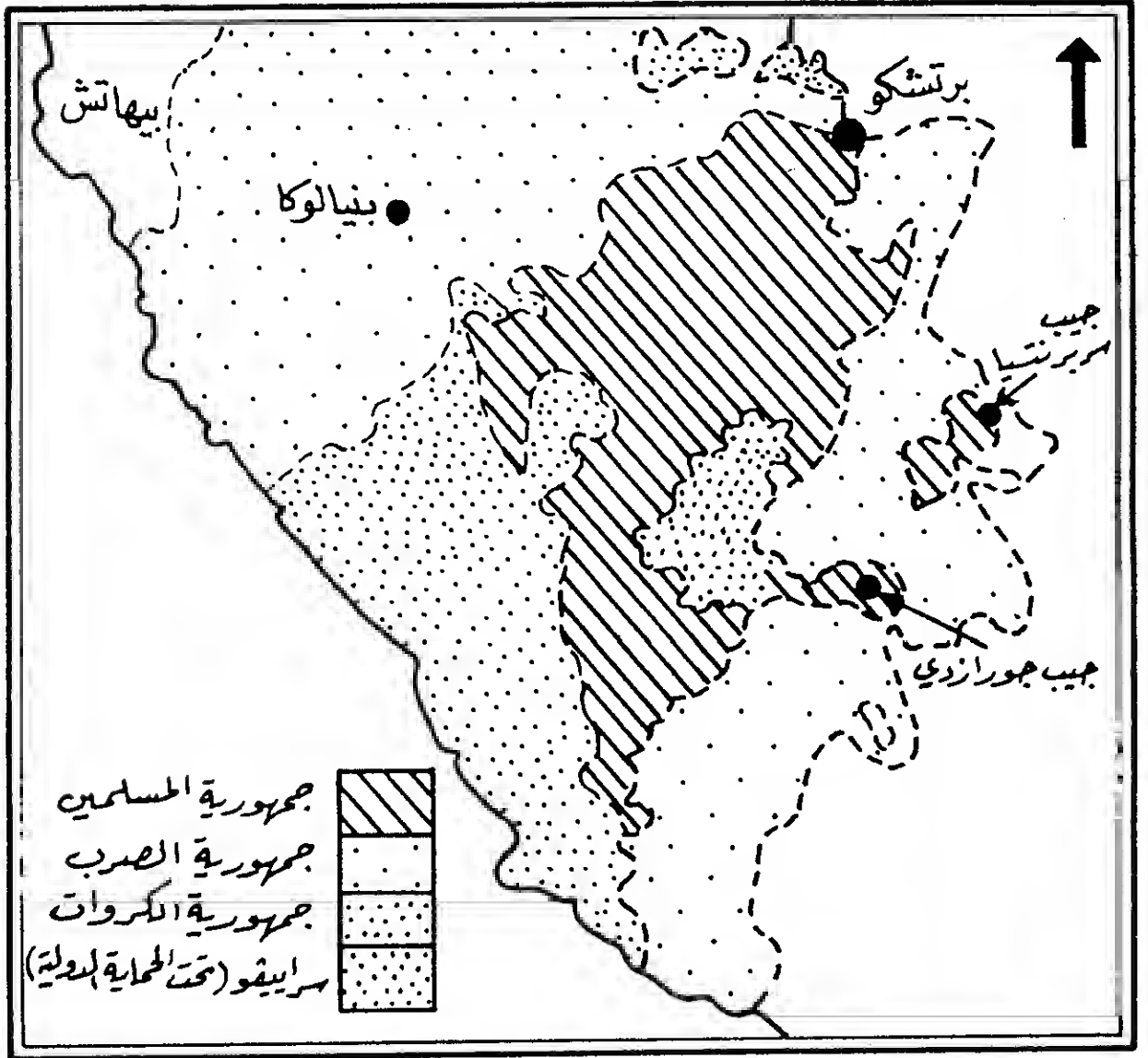
كان يسكنها ما يقارب ٤٠ ألف مسلم ، حاصرها الصرب ، واستخدموا المدفعية الثقيلة في ضربها ، هدموا ١٥ مسجداً ، وجمعوا أبرز رجال المسلمين وقادوهم إلى معسكرات الموت . ولم تسلم منهم القرى المجاورة للمدينة ، ففي إحدى القرى ذبح الصرب ٢٠٠ مسلم ، كما ذبحوا عشرات المسلمين وألقوا بجثثهم في الأنهار .

عرضت فيما سبق بعض ملامح مشكلة المسلمين في البوسنة والهرسك ؛ كما عرضت بعض جوانب مسلسل جرائم الصرب التي لم تتوقف ، ولم يوضع لها حد أو نهاية ، فلقد صَدَمَ الصرب العالم بتوقيعهم على ٢٥ اتفاقاً لوقف إطلاق النار حضرها مندوبون عن الأمم المتحدة ، ودول غرب أوروبا ، وروسيا ، وللأسف لم يحترم الصرب اتفاقاً واحداً منها ، إذ يفاجئ الصرب العالم بين الحين والآخر بجريمة جديدة ، واعتداء آخر في مسلسل إبادة المسلمين ، فعلى الرغم من أنهم استولوا على ٧٠٪ من أرض البوسنة والهرسك - كما يتضح من الخريطة المرفقة - فإن عملية الإبادة لشعب البوسنة والهرسك لا تتوقف ؛ فالجريمة مستمرة ، والموقف الدولي في مفترق الطرق ، وتحايل الصرب مستمر ، وجرائم إبادة المسلمين لا تنقطع ، على الرغم من أن حق البشناق والهرسك في وطنهم ثابت منذ أكثر من ألف عام ، فدماء المسلمين خضبت أرضهم عبر عشرات القرون .

ولقد مرت عمليات التفاوض بمراحل متعددة ، كان آخرها تقسيم البوسنة والهرسك إلى ثلاث دويلات بين المسلمين والكروات والصرب - كما يتضح من الخريطة - وآخر عمليات التفاوض ، نجاح اتحاد المسلمين والكروات في تشكيل كيان سياسي في البوسنة والهرسك .

بقية الموضوع :

سوف نتابع في العدد القادم - إن شاء الله - بقية الموضوع عن موقف العالم الإسلامي ، وموقف هيئة الأمم المتحدة والمجتمع الدولي ، وتطور قضية البوسنة والهرسك ، وإلى اللقاء - بإذن الله تعالى - في العدد القادم .



مخطط تقسيم البوسنة والهرسك
إلى ثلاث دويلات

أهم المصادر

- ١ - تومس أرنولد - الدعوة للإسلام - تعريب د. إبراهيم حسن، لجنة التأليف والترجمة - القاهرة.
- ٢ - د. جودة حسنين جودة - جغرافية أوروبا - الطبعة الثانية - منشأة المعارف، الإسكندرية.
- ٣ - رابطة العالم الإسلامي - دليل المنظمات الإسلامية في أوروبا، مكة المكرمة ١٤١٠ هـ.
- ٤ - سيد عبد المجيد بكر - الأقليات المسلمة في أوروبا - هيئة الإغاثة الإسلامية العالمية بالمملكة العربية السعودية - جدة ١٤١٤ هـ.
- ٥ - صفوت السقا - المسلمون في يوغسلافيا - رابطة العالم الإسلامي، مكة المكرمة.
- ٦ - د. علي المنتصر الكتاني - المسلمون في أوروبا وأمريكا - دار باديس، المملكة المغربية.
- ٧ - د. علي المنتصر الكتاني - المسلمون في المعسكر الشيوعي.
- ٨ - د. فكريت كارجيتش - تاريخ التشريع الإسلامي في البوسنة والهرسك - استنبول، تركيا ١٤١٣ هـ.
- ٩ - د. محمد السيد غلاب، ود. حسن عبد القادر، ومحمود شاكر، البلدان الإسلامية والأقليات المسلمة في العالم المعاصر، جامعة الإمام محمد بن سعود - الرياض.
- ١٠ - منظمة إذاعات الدول الإسلامية - مسلمو البوسنة: تواطؤ عدواني لاغتيال شعب مسلم - رمضان ١٤١٣ هـ - جدة المملكة العربية السعودية.

مصادر باللغة الإنجليزية

- 11 - Journal - Institute of Muslim Minority Affairs Vol.1-1. King Abdulaziz university - Jeddah 1978.
- 12 - Journal - Institute of Muslim Minority Affairs Vol. 2-2 King Abdulaziz university, Jeddah 1980.
- 13 - Journal - Institute of Muslim Minority Affairs Vol. 3-2 Kind Abdulaziz university - Jeddah, 1981.
- 14 - The New Encycolopedia of world Geography Octopus books - limited - London.
- 15 - Richard. V. Weeks. Muslim peoples - Green wood - press - London - 1978.
- 16 - The world Almanac and book of Facts- 1993 - An Imprint of Pharos books - Ascrips.
- 17 - Haward Company New York.
- 18 - The University ATLAS. George philip & Son Limited - London.

تقارير

- ١٩ - تقرير صادر عن مجلس الجمعية الإسلامية - زغرب - كرواتيا سنة ١٤١٣ هـ.
- ٢٠ - تقرير عن د. الفاتح علي حسنين - الأقليات المسلمة في شرق أوروبا ٢٦ / ٥ / ١٩٩٠.
- ٢١ - نداء مسلمي شعب كوسوفو ٣١ / ٣ / ١٩٨٩.

دوريات

- ٢٢ - العالم الإسلامي - ١٤٠٩ / ١٢ / ٢٨ هـ - رابطة العالم الإسلامي - مكة المكرمة .
- ٢٣ - العالم الإسلامي - ١٤١٢ / ٣ / ٢ هـ - رابطة العالم الإسلامي - مكة المكرمة .
- ٢٤ - العالم الإسلامي - ١٤١٢ / ٣ / ٢٥ هـ - رابطة العالم الإسلامي - مكة المكرمة .
- ٢٥ - العالم الإسلامي - ١٤١٢ / ٥ / ١٩ هـ - رابطة العالم الإسلامي - مكة المكرمة .
- ٢٦ - العالم الإسلامي - ١٤١٢ / ١٢ / ١٢ هـ - رابطة العالم الإسلامي - مكة المكرمة .
- ٢٧ - العالم الإسلامي - العدد ١٢٦٢ - رابطة العالم الإسلامي - مكة المكرمة .
- ٢٨ - العالم الإسلامي - العدد ١٢٦٣ - رابطة العالم الإسلامي - مكة المكرمة .
- ٢٩ - العالم الإسلامي - جمادى الآخرة ١٤١٣ هـ - رابطة العالم الإسلامي - مكة المكرمة .
- ٣٠ - العالم الإسلامي - ١٤١٣ / ٧ / ٢٨ هـ - رابطة العالم الإسلامي - مكة المكرمة .
- ٣١ - العالم الإسلامي - ١٤١٣ / ٨ / ٣ هـ - رابطة العالم الإسلامي - مكة المكرمة .
- ٣٢ - العالم الإسلامي - ١٤١٤ / ٢ / ٢ هـ - رابطة العالم الإسلامي - مكة المكرمة .
- ٣٣ - مجلة الرابطة الإسلامية - رابطة العالم الإسلامي - مكة المكرمة - عدد خاص عن البوسنة والهرسك محرم ١٤١٤ هـ .
- ٣٤ - مجلة المجتمع - الكويت .
- ٣٥ - جريدة الأهرام ١٤١٢ / ١٢ / ١٧ هـ - القاهرة .
- ٣٦ - جريدة الأهرام - ١٩٩٢ / ١١ / ١٠ م - القاهرة .
- ٣٧ - جريدة الأهرام - ١٤١٣ / ٢ / ٣ هـ - القاهرة .
- ٣٨ - جريدة الأهرام - ١٤١٣ / ٢ / ٥ هـ - القاهرة .
- ٣٩ - مجلة المسلمون - ١٤١٢ / ١١ / ١٣ هـ - القاهرة .
- ٤٠ - جريدة الوفد - ١٤١٣ / ٣ / ٤ هـ - القاهرة .

الجريد في عالم الكتب المطبوعة

حرصاً منا على تعريف قراء مجلتنا بالجديد في عالم الكتب العلمية الشرعية المؤلفة أو المحققة ، فإننا عزمنا على أن نفرّد باباً في كل عدد من أعداد مجلتنا للمستجدات في عالم المطبوعات .

وهذا الباب مفتوح مجاناً لمراكز البحث العلمي ودور النشر كما هو مفتوح للعلماء والباحثين والدارسين .

وكل ما نطلبه ممن يحب أن يتحفنا ويتحف القراء الكرام بالجديد من إنتاجه أن يتفضل فيرسل لنا: اسم الكتاب ، واسم المؤلف ومحققه ، وحجم الكتاب ، واسم دار النشر وعنوانها مع رقم الهاتف .

ويمكن إرسال هذه المعلومات بطريق الفاكس:

(السعودية : ٠٦ ٣٦٤٧٧٥٨) .

كما يمكن إرسالها بطريق البريد على العنوان التالي:

(السعودية - القصيم . عنيزة : ص.ب: ٩٤١) .

ومنطلقنا فيما ندعو إليه التعاون على البر والتقوى .

والحمد لله رب العالمين

رئيس التحرير
أبو عبد الله الزبيدي

اسم الكتاب	المؤلف	دار النشر	المحقق وحجم الكتاب
أحكام الطفل	أحمد العيسوي	دار الهجرة - السعودية - الثقة ، ص.ب ٢٠٥٩٧ ، ت ٨٩٨٣٠٠٤	تقديم/ مصطفى العدوي ، مجلد (٥٢٠ صفحة)
تحقيق الكلام في وجوب القراءة خلف الإمام	محمد بن عبدالرحمن المباركفوري ، صاحب « تحفة الأحوذى »	دار الهجرة	الدكتور وصي الله بن محمد عباس مجلد (٥٦٦ صفحة)
تربية المراهق بين الإسلام وعلم النفس (رسالة دكتوراة)	د. محمد السيد محمد الزعلابي	مكتبة التوبة - الرياض ص.ب ١٨٢٩٠ ت ٤٧٦٣٤٢١	مجلد (٥٧٩ صفحة)
مسند فاطمة الزهراء رضي الله عنها	الحافظ جلال الدين السيوطي	دار ابن حزم - بيروت لبنان - ص.ب ١٤/٦٣٦٦ ت ٨٣١٣٣١	فواز أحمد زمرلي مجلد (٢٧٢ صفحة)
الإمام بأحاديث الأحكام	القاضي تقي الدين بن دقيق العيد	دار المعراج الدولية الرياض - ص.ب ٨٥٨ ت ٤٠٣٦٢٧٨	حسين اسماعيل الجمال مجلدان
سلاح المؤمن في الدعاء والذكر	أبو الفتح محمد بن محمد بن همام (ابن الإمام) ت (٧٤٥)	دار ابن كثير . دمشق ص.ب ٣١١	محي الدين مستو مجلد (٥٨٨)
الإقناع في حل ألفاظ أبي شجاع	شمس الدين محمد بن محمد الخطيب الشربيني	دار الكتب العلمية - بيروت - ص.ب ١١/٩٤٢٤ ت ٣٦٦١٣٥	علي محمد معوض وعادل أحمد عبد الموجود. مجلدان
الموقف الإسلامي من مشروع السلام العربي اليهودي	د. سفر بن عبدالرحمن الحوالي	مكتبة السنة - مصر القاهرة ت ٣٩٠٠٣١٨ ص.ب ١٢٨٩	٩٥ صفحة

اسم الكتاب	المؤلف	دار النشر	المحقق وحجم الكتاب
موازنة بين دلالة النص والقياس الأصولي وأثر ذلك على الفروع الفقهية	د. حمد بن حمدي الصاعدي	مكتبة العلوم والحكم السعودية - المدينة المنورة ت ٨٤٧٣١٤٨ ٨٣٦١٠٦٥٢	مجلدان
موسوعة رسائل ابن أبي الدنيا	الحافظ عبدالله بن محمد ابن أبي الدنيا (ت ٢٨١ هـ)	مؤسسة الكتب الثقافية - بيروت ت ٦٤٠٢٠٨ ص.ب ١١٤/٥١١٥	خمس مجلدات يتضمن (١٩ كتاباً)
الربا والمعاملات المصرفية في نظر الشريعة الإسلامية (رسالة دكتوراة)	معالي الشيخ الدكتور عمر بن عبدالعزيز المتروك (ت ١٤٠٥ هـ)	دار العاصمة - السعودية - الرياض ص.ب ٤٢٥٠٧ ت ٤٩١٥١٥٤	بكر بن عبدالله أبو زيد مجلد (٤٧٨ صفحة)
البنوك الإسلامية بين النظرية والتطبيق (رسالة دكتوراة)	الدكتور عبدالله بن محمد الطيبار	دار الوطن - السعودية - الرياض ص.ب ٣٣١٠ ت ٤٧٩٢٠٤٢	مجلد (٣٨٧ صفحة)
الروضة الندية شرح الواسطية	زيد بن عبدالعزيز بن فياض	دار الوطن	مجلد واحد
نواقض الإيمان القولية والعملية	د. عبدالعزيز بن محمد العبد اللطيف	دار الوطن	مجلد واحد
الطهّور	أبو عبيد القاسم بن سلام (ت ٢٢٤ هـ)	مكتبة الصحابة - السعودية . جدة - الشرقية ت ٦٥٢١٠٦٠	مشهور حسن محمود سلمان مجلد (٢٧٥ صفحة)
الصاحب في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها	أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا الرازي ت (٣٩٠ هـ)	مكتبة المعارف - بيروت ص.ب ١٧٦١ - ١١	الدكتور عمر فاروق الطباع مجلد (٨٩٠ صفحة)
منهج الإمام الشوكاني في العقيدة (رسالة دكتوراة)	الدكتور عبدالله نومسوك	مكتبة دار القلم والكتاب - السعودية الرياض ص.ب ٤٦٥٠٣٣٦ ت ٢٥٣٤٩	مجلد (٨٩٠ صفحة)

اسم الكتاب	المؤلف	دار النشر	المحقق وحجم الكتاب
معاني القراءات	أبو منصور الأزهرى حمد ابن أحمد ت (٣٧٠)	دار المعارف - مصر	د. عيد مصطفى درويش عوض القوزي ثلاثة مجلدات
القضاء والقدر في ضوء الكتاب والسنة	د. عبدالرحمن بن صالح الحمود	دار النشر الدولي الرياض - ص.ب ٥٠٧٨٢ ت ٤٦٤٢٥٤٥	مجلد (٣٤٥ صفحة)
فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها	غالب بن علي عواجي	مكتبة لينة - مصر - دمهور ت ١٩٩٩ / ٣٣٥ / ٤٥	مجلدان
جامع بيان العلم وفضله	الحافظ أبو عمر يوسف ابن عبد البر	دار ابن الجوزي - السعودية - الدمام ت ٨٤٢٨١٤٦ ص.ب ٢٩٨٢	أبو الأشبال حسن مجلدان
مناظرات السلف	سليم الهلالي	دار ابن الجوزي	مجلد واحد
صحيح وضعيف الأدب المفرد للإمام البخاري	بقلم / محمد ناصر الدين الألباني	دار الصديق - السعودية - الجبيل ت ٣٦١٣٠١٨ ص.ب ٥٧٣	مجلدان
الخلافيات	الإمام البيهقي	دار الصمعي الرياض - ص.ب ٤٩٦٧ ت ٤٢٦٢٩٤٥	المجلد الأول في الطهارة مشهور بن حسن سلمان
إنحاف الجماعة بما جاء في الفتن والملاحم وأشرط الساعة	الشيخ حمود التويجري (ت ١٤١٣ هـ)	دار الصمعي	ثلاث مجلدات
القول البليغ في التحذير من جماعة التبليغ	الشيخ حمود التويجري (ت ١٤١٣ هـ)	دار الصمعي	مجلد (٣٥١ صفحة)
المسلمون وكتابة التاريخ	د. عبدالعليم عبدالرحمن خضر	المعهد العالمي للفكر الإسلامي - هيرندن - فيرجينيا - أمريكا	(٣٢٠ صفحة)

اسم الكتاب	المؤلف	دار النشر	المحقق وحجم الكتاب
الحزبية ما لها وما عليها	الشيخ عبدالمجيد الرمي	دار الغيث - السعودية - الرياض ت ٤٢١٢٦٦٠ ص.ب ٣٢٥٩٤	(٥٦ صفحة)
خمسون مفسدة جليلة من مفاسد الديمقراطية والانتخابات والحزبية	الشيخ عبدالمجيد الرمي	دار الغيث	(٥٦ صفحة)
وقفات مع فتيات	مجموعة من طلبة العلم	دار الغيث	ترتيب عيسى الغيث (٨٠ صفحة)
العالم الإسلامي الجديد	محمد بن عبدالله العتيق	دار الغيث	(١١٢ صفحة)
العدر بالجهل وقيام الحجة	عبدالمعظم مصطفى حليلة - ابو بصير	دار البشير الأردن - عمان ص.ب : ١٨٣٤٨٢	(١٣٦ صفحة)
صفة الطائفة المنصورة	عبدالمعظم مصطفى حليلة - ابو بصير	دار البشير	(١٣٦ صفحة)
هداية السالك إلى المذاهب الأربعة	عز الدين بن جماعة الكناني ت : ٧٦٧ هـ	دار البشائر - بيروت	ثلاث مجلدات د. نور الدين عتر
الفوائد الزينية في مذهب الحنفية	زين الدين بن نجم الحنفي ت ٩٧٠ هـ	دار ابن الجوزي الدمام	مجلد ابو عبيده مشهور بن حسن ال سليمان
مرويات الإمام أحمد بن حنبل في التفسير	جمع وترتيب د. حكمت بشير ياسين	مكتبة المؤيد - الرياض - الروضة ت : ٤٩٣٢٥٨١ ص.ب ٩٢٧٢٨	اربع مجلدات

اسم الكتاب	المؤلف	دار النشر	المحقق وحجم الكتاب
اصول مذهب الشيعة	تأليف الدكتور ناصر عبدالله القفاري		ثلاث مجلدات رسالة دكتوراة
الحجاب لماذا ؟ باللغة الإنجليزية	تأليف: د. محمد بن اسماعيل المقدم ترجمة: الدكتور صالح الصالح	دار البخاري للنشر والتوزيع القصيم - بريدة ص.ب ٨٩١ ت : ٣٢٣٦٠١٧	
الغاية من الخلق والعودة إلى الخالق / باللغة الإنجليزية	تأليف الدكتور/ صالح الصالح	دار البخاري	
النيات في العبادات	د. عمر سليمان الأشقر	دار النفائس للنشر والتوزيع عمان - الأردن ص.ب ٢١١٥١١ ت : ٦٩٣٩٤٠ فاكس : ٦٩٣٩٤١	٣٥٢ صفحة
الإخلاص	د. عمر سليمان الأشقر	دار النفائس	٢٣٠ صفحة
صحيح السيرة النبوية	إبراهيم العلي راجعه: د. همام سعيد قدم له : د عمر الأشقر	دار النفائس	٧٠٠ صفحة
بيع المرابحة وعقد الاستصناع	د. محمد سليمان الأشقر	دار النفائس	١٢٠ صفحة
الواضح في أحكام التجويد	محمد عصام القضاة	دار النفائس	١٧٠ صفحة
مشمولات مصرف في سبيل الله	د. عمر سليمان الأشقر	دار النفائس	٩٦